تراث

@turath_cmc turath_cmc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 201 يوليو 2016

ورسان

العلم في خدمة عروبة الخيل

الأرشيف الوطني

نصف قرن على درب الذاكرة

شهاب غانم

الشعر الإماراتي بحاجة إلى نقد

«بَلَرْم»

التقاء فني بين الشرق والغرب

التبالغ

نظرية تواصلية في التراث

شعراء القبائل

سعيد بن ماجد بالعنصا

أطعمة العيدين

طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية

تُراث

مجلة شهرية تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن: مركز زايد للدراسات والبحوث- نادي تراث الإمارات، أبوظبي

الموالد بين الدين والتدين ص 126

محتويات العدد

17 أطعمة العيدين، طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية

للعادات الغذائية وشم الخصوصية وطعم الهوية، وتجري عليها سُنن التغير التي تنوب جميع أحوال العمران البشري، كما تسري على الطعام ذاته قوانين النقل الثقافي من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، وحسب الباحث عماد صولة فإن الطعام على صعيد المعرفة التاريخية سجل يحفظ ذاكرة كاملة بأحداثها ومقدساتها ومذاقاتها. هنا ملف يسلط الضوء على تراث مسلمي العالم في استقبال العيدين بالطعام.

34

108

16 شعر: زاد الفرح نورٍ على نور
18 التنور أو المشوي، وجبة العيد العود
21 الفسيخ، أكلة عيد الفطر السحرية
22 المخَمَّر طعام الأعياد في صعيد مصر
26 أكلات العيد في فلسطين تكافح الصهيونية!
30 طعام يوم العيد بالمغرب الصحراوي، نظرة انثروبولوجية
33 الطعام وعيد الفطر عبر التاريخ
34 حلويات الأعياد بالمغرب، طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية
38 نجوم المطبخ الأفريقي في العيدين

عساكم من العايدين

كانت هديتنا مع اقتراب عيد الفطر المبارك زيارة خاصة لمجلة تراث إلى اسطبلات ورسان، الشهيرة باهتمامها بالحفاظ على سلالة الحصان العربي الأصيل.

"إسطبلات ورسان ليست واحة خضراء تتمتع بالراحة والهدوء فحسب، ولكن فكرتها أن تخدم عددًا من الأهداف، تتحد جميعها في سبيل توفير كافة احتياجات تربية الخيول العربية الأصيلة والحفاظ عليها، كونها مفردة تراثية مهمة"، بهذه الكلمات تصف تيدري هايدي رؤية إسطبلات ورسان التي تعمل مديرة لها، يدعم حديثها ما تتزين به جدران وأرفف مكتبها من صور وجوائز ومجسمات لألقاب عالمية حصدتها الخيول التابعة للإسطبلات.

كان لـ"تراث" شرف أن تكون أول وسيلة إعلامية تتجول داخل اسطبلات ورسان لننقل لقارئنا بعض ملامح الجهد البحثي العلمي المبذول في خدمة الحصان العربي.

في هذا العدد أيضًا، اخترنا أن نحتفل معكم بالعيدين، عيد الفطر المبارك الذي نعيش أجواءه هذه الأيام، وعيد الأضحى المبارك الذي ننتظر قدومه، من مدخل يتسق ورؤية "تراث"، وهو "الطعام".

المختصون في الترث يعرفون أن الأكلات الشعبية تمثل علامات مائزة للمناطق التي تُعرف بها، وأن الطعام دليل انتماء وجزء من هوية المكان والناس، "فالعادات الغذائية لها وشم الخصوصية وطعم الهوية، وتجري عليها سُنن التغير التي تنوب جميع أحوال العمران البشري، كما تسري علي الطعام ذاته قوانين النقل الثقافي من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى".

والطعام بهذا المعنى مصدر للمعرفة التاريخية وسجل يحفظ ذاكرة كاملة بأحداثها ومقدساتها ومذاقاتها.

من هذه الزاوية خصصنا ملف العدد لجولة معرفية في عدد من ثقافات المسلمين عبر العالم للتعرف على الأطعمة التي يحتفلون من خلالها بالعيدين، وما تحمله من قصص وتكتنزه من خبرات متوارثة.

وسوف يكتشف القارئ الكريم كم أن قصص الطعام ساحرة ومدهشة وشديدة الغنى والدلالة وفيها الكثير من الفكر والخيال والروح.

وكل عام وأنتم بخير.

ورسان: العلم والتكنولوجيا في خدمة التراث

إسطبلات ورسان ليست مجرد واحة خضراء تتمتع بالراحة والهدوء، إنها مختبر علمي يعمل في سبيل توفير كافة احتياجات تربية الخيول العربية الأصيلة والحفاظ عليها، كونها مفردة تراثية مهمة.

شعراء القبائل

صاحب أول قصيدة لتحية العلم
الشاعر سعيد بن ماجد بالعنصا

اشتهرت للشاعر بالعنصا قصيدة ألقاها في حضرة الشيخ زايد طيّب الله ثراه، في الاحتفال بعيد جلوسه الأول عام 1967م كحاكم لإمارة أبوظبي. وبعد أن سمعها الشيخ زايد أمر أن تُلحن وتُنشد مع تحية العلم في مدارس أبوظبي آنذاك، وقد لحنها الفنان جابر جاسم فصارت أول قصيدة تُنشد مع تحية العلم في الإمارات.

محتويات العدد

63

42 رحلة المقيظ تلهب خيال الشعراء
46 الطريق إلى المياه الدافئة
60 هل نعيد النظر في تاريخنا؟
62 مرّتان في عمّان!
63 «بَلَرْم» التقاء فني بين الشرق والغرب
70 أنطونيو ألفاريز وبثينة بنت المعتمد
76 المقامات وممكنات القراءة الثقافية
79 الهلال، الهَلّال، التهلال
80 نحو نظرية تواصلية في التراث
83 الطبقة في التراث
84 إشراقة سودانية
86 صورتان لصلاح الدين الأيوبي!
89 في نقد النص التراثي
90 «شربات» الأمم المتحدة
92 نصف قرن على درب الذاكرة
97 القراءة والسعادة
98 شهاب غانم: الشعر الإماراتي بحاجة إلى نقد
102 ابن زيدون ومعشوقته ولادة
104 الحكمة في الشعر الشعبي الخليجي
107 أوهام أيمن ماردينيّ
108 سـباق إلى قلب
111 شعب وحكام
112 قصة لم يكتبها الكاتب
114 التراث كنز أم لعنة؟
117 « ماريو كوينتانا»
118 الأيديولوجيا وشباب الشعراء
120 الأنفوشي، أقدم مدرسة لصناعة السفن يدويًا
125 أنت أكثر من ذلك
126 الصورة الذهنية للموالد
129 العقلية الكونية والثقافة العربية
130 السائرون نحو السعادة

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - قطر 10 ريالات - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

حوار خاص 72

الهلالي: كتب الفقه اجتهاداتٌ لا قدسية لها

نفى الدكتور عز الدين الهلالي أستاذ الفقه المقارن فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر أن يكون لكتب التراث أو لأصحابها وصاية على أحد، ورأى بداية تجديد الخطاب الديني في أن يتعلم الناس ثقافة النقد.

قضايا وآراء 76

المقامات وممكنات القراءة الثقافية

إن البحث عن الممكنات الثقافية المتوارية يتيح لنا تعريفًا جيدًا للمقامات ويمنحنا إمكانيات فضح الأساليب المتبعة لتمركز الأنساق الثقافية والنسق المركزي تحديدًا؛ أي نسق الاحتيال والشحاذة الذي تدور المقامة في فلكه، وبهذا سيبرز الممكن الثقافي بشكل غير مباشر ونحن ندرس المقامات ونفكك بعضًا من أنساقها المهيمنة.

الغلاف: الحصان **dostatok** من مزرعة ورسان, تصوير حسن مصطفى

كتّاب وشعراء ومحررو العدد:

الفاضل أبو عاقلة، سرور خليفة سالم الكعبي، محمد محمد مستجاب، محمد شحاته علي، سما حسن، د. بوزيد الغلى،مجدي إبراهيم ، إبراهيم الحجري، عمرو منصور، د. وائل إبراهيم الدسوقي، خالد عزب، محمود شرف، منتصر لوكيلي، أحمد فرحات، محمد زين العابدين، عبد الرزاق هيضراني، هشام بنشاوي، عبد الهادي سعدون، أحمد محجوب، جمال مشاعل، ناصر عراق، تقية العامري، عبد المقصود محمد، سعيد الشفاج، محمد عيد إبراهيم، محمد بركة، د. هويدا صالح، محمد غبريس، حسام عبد القادر، رانيا هلال، سيد ضيف الله،

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 100 درهم/ للأفراد من خارج الدولة: 150 درهماً - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200درهم.

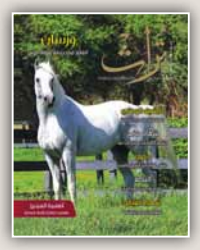

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث- نادي تراث الإمارات، أبوظبي

المشرف العام
د. راشد أحمد المزروعي

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الاخراج والتنفيذ
غادة حجاج

الموقع على الإنترنت:
www.mags.ae

عناوين المجلة

الادارة والتحرير:
الامارات العربية المتحدة-ابوظبي
مدير التحرير: waleedalaa@hotmail.com
موبايل: 00971556929190
هاتف: 026666130
مسؤول التوزيع: أحمد عباس
marketing@cmc.ae
+971 56 3150303

أبوظبي للإعلام-توزيع
الرقم المجاني : 8002220 فاكس : 02 4145050
للاتصال من الخارج: 02 4145000 971+
distribution@admedia.ae

عروبة الخيول هدفُها الأول

اسطبلات ورسان

العلم والتكنولوجيا في خدمة التراث

استطلاع- الفاضل أبوعاقلة
تصوير- حسن مصطفى

لم يسعفني الخيال كي أتوقع، بدقة، ما يوجد خلف البوابة، لظنِّي أنني أزور إسطبل خيول، وهو حتمًا سيشبه غيره من الإسطبلات الكثيرة، لكنّ ظنِّي تلاشى ما إن أصبَحت البوابةُ خلفنا.

مساحات فسيحة، وطرق داخلية مسفلتة، وأشجار على جانبي الطريق مصطفة بدقَّة. تَبعتُ اتجاهَ سهم مرسوم على لافتة زرقاء، كُتب عليها «الإسطبلات». عبر زجاج السيارة، أخذت تتكشف معالم واحة خضراء، هادئة وذات بيوت محدَّبة، بدا المنظر كما لو أننا في قلب الريف الإنجليزي التقليدي، بأناقته الطبيعية الهادئة، ولسنا في إسطبلات للخيول، إنها إسطبلات ورسان.

منذ عـدة سـنـوات، تعمل «ديـدري هايد» مسؤولة قسم التوليد باسطبلات ورسـان، وفي مكتبها تتزين الجدران والأرفف بالكثير من الصور والجوائز والمجسمات، لألقاب عالمية حصدتها الخيول التابعة للإسطبلات، لم أتأخر في إبداء دهشتي وإعجابي ببيئة إسطبل لا يشبه غيره. تقول هايد: «إسطبلات ورسـان ليست واحـة خضراء تتمتع بالراحة والهدوء فحسب، ولكن فكرتها أن تخدم عـددًا من الأهـداف، تتحد جميعها في سبيل توفير كافة احتياجات تربية الخيول العربية الأصيلة والحفاظ عليها، كونها مفردة تراثية مهمة».

القصة بدأت بثلاثة خيول

أمضت هايد 18 عامًا في إسطبلات ورسان. وتقول إن قصة ورسان بدأت عندما قـام سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، بشراء ثلاثة من الخيول العربية من المغرب، وكان حريصًا على اختيار الخيول العربية الأصيلة التي لا تحمل في عرقها أو نسبها سوى النسب العربي الأصيل، فعروبة الخيول ظلت هدفه الأول.

وكانت مهمة هايد تتعلق بالعمل البحثي المطول والدقيق، لدراسة أصل الخيل المرشحة، للتأكد من عروبتها التامة. وبدأت هذه المهمة في ورسان منذ عـام 1998 بعدد مـحـدود من الخيول، لكن الإسطبل اليوم أصبح من أكبر الإسطبلات في الشرق الأوسط.

إسطبلات ورسان ليست واحة خضراء تتمتع بالراحة والهدوء فحسب، ولكنها مختبر يعمل في سبيل توفير كافة احتياجات تربية الخيول العربية الأصيلة والحفاظ عليها، كونها مفردة تراثية مهمة

وتذكر هايد مصاعب جمّة واجهتها في تحديد نسل الخيول ومعرفة أصلها العربي، لعدم توافر التقنيات الحديثة التي تظهر أصل الخيل من حيث نسبها العربي، في ذلك الوقت، لكنها الآن فخورة بكون الإسطبل الذي يملكه سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، يحوي ما يقارب 559 حصانًا، جميعها من أصل عربي صاف، وذلك بفضل اعتماد الإسطبل فحوصات الحمض النووي المختبرية.

يزخر المكان بأدوات تدريب الخيول، التي انتشرت في مساحات واسعة،

بدأت القصة بثلاثة خيول اشتراها سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان من المغرب، وكان حريصًا على ألّا تحمل سوى النسب العربي الأصيل، وظلت عروبة الخيول هدف سموه الأول

بفضل اعتماد فحوصات الحمض النووي المختبرية، تضم اسطبلات ورسان حوالي 559 حصانًا، جميعها من أصل عربي صاف، تحظى برعاية صحية وتدريبية راقية ومناخ ملائم وبيئة محفِّزة للنمو والتميز

تمثال للحصان مورناك إهداء من فنان عراقي

يشرف عليها، بالتوجيه والمتابعة، سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، وتُقدَّم الرعاية الصحية والتدريبية للخيل، وذلك بخلق المناخ الملائم، والبيئة المحيطة المحفِّزة لنمو الخيل، وهي المرة الأولى، في إمارة أبوظبي، التي تُبنى فيها ساحات تدريب داخلية مكيَّفة، ومسبح بطول «70» مترًا، يمكن استخدامه للتدريب طوال العام.

مورناك، ملكٌ بين رفاقه

وبفضل هذه العناية، تحظى إسطبلات ورسان بخيول مميزة، مثل الحصان مورناك، الذي تم شراؤه عام 2000، من إسطبلات الخيول العربية الشهيرة (ماجنيس)، حيث استطاع مورناك تحقيق الفوز بـ19 سباقًا من أصل 23 في الولايات المتحدة الأمريكية. ويعد مورناك مَلِكًا بين رفاقه، لكونه أحد الخيول المعمرة، إذ يبلغ من العمر 29 سنة، إلا أنه مفعم بالحيوية والنشاط، رغم سنه، وأكثر إقبالًا على الحياة، ويبدي الكثير من التفاعلات والأنشطة التي تخفي عمره الحقيقي وتظهر شباب روحه، كذلك حققت خيول من نسله الكثير من الألقاب.

فكر ثاقب ورؤية عميقة

لسمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، فكر ثاقب ورؤية عميقة، يدل عليها تصدُّر إسطبلات ورسان السباقات الرياضية الشهيرة حول العالم؛ بسبب جودة الاهتمام بكل الخيول، وتقديم أفضل الرعاية والتربية والتدريب لها، سواء أكانت خيول سباقات السرعة، أو التدريب والترويض، أو منافسات القدرة والتحمل، وذلك قبل الانضمام إلى مجموعة التوليد، حيث وجَّه سموه بتسجيل الفحول التي حصدت أداءً عاليًا، وتلك الخيول ذات النسب، التي تتوافق ورؤية سموه واهتماماته من ناحية النقاء والجَمال والمعايير الأساسية الأخرى. وتقول هايد إنها لاحظت اهتمام سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، الفائق، بنقاء دماء الخيول العربية.

جولة في أرجاء المكان

بعد أن تحدثنا مع مسؤولة قسم التوليد بالإسطبلات، دعتنا إلى جولة في أرجاء المكان لتفقد ومشاهدة أقسام الإسطبلات. صعدنا أنا وزميلي المصور في السيارة رفقتها، واستمرت الصورة الذهنية الممتعة التي حظيت بها فور دخولنا ورسان في الترسخ أكثر، فالمساحات متسعة ومرتبة في الوقت ذاته. تقول هايد أثناء تجوالنا: «في هذا المكان يعمل

أكثر من 600 شخص، ضمن منظومة محددة لا مجال للحياد عنها، للحفاظ على منجزات ورسان، والأمر يبدو سهلًا وممتعًا لنا جميعًا لأننا نعمل كأسرة واحدة».

في أثناء سيرنا، لفت نظري تمثال معدني ضخم لحصان، سألتها: «ما هذا؟». أجابت هايد: «إنه تمثالٌ برونزي أهـداه أحد النحاتين العراقيين لسمو الشيخ سلطان بن زايـد آل نهيان، والتمثال للحصان مورناك».

الوقت سيد كل الأعمال

بعد مـرور بعض الـوقـت فـي جولة مستمرة، أظهرت الكثير من خلال شرحها المسترسل عن بعض الأماكن والمرافق بالإسطبل، سألتها: «أيـن الخيول؟» مقاطعًا حديثها عن شيء ما، ولكن عقلي كان معلَّقًا بمشاهدة الخيول، ابتسمت هايد وهي تنظر إلى ساعتها ثم قالت: «الساعة الآن تشير إلى الثالثة عصرًا، فسحة أو خـروج الخيول يكون بعد نصف ساعة من الآن».

dostatok فاز بـ 17 سباق من أصل 33 مشاركة

ديدري هايد

إسطبل للخيول المميزة

أثناء تجوالنا، لفت انتباهي الطراز المعماري التراثي لأحد المباني، مما أثار فضولي، وعند سؤالي عرفت أنه إسطبل للخيول المميزة أو المنتخبة للمشاركة في السباقات، حيث يتم إعدادها هنا بعد فصلها عن باقي القِطعان. أكد لي أحد المدربين: «هنا يتم جلب الحصان بعد أن يجتاز الفحص الطبي الدوري بنجاح، تتم العناية به من ناحية النظافة وكذلك يتم تمرينه على الجري لكسب اللياقة ورفعها، ولا تكون مدة الفصل طويلة لأن الخيول من الحيوانات التي تحب الصحبة وتكره الوحدة».

جوس دي سوزا ميريلس

الخيول في كامل حريتها

اتجهنا بعد ذلك إلى مشاهدة الخيول وهي في كامل حريتها خارج الإسطبل المغلق، أحد الساسة تقدَّم يسحب حصانًا إلى داخل منطقة خضراء منبسطة، يلفها سور خشبي متوسط الارتفاع، وعند المنتصف قام بفك اللجام، اعترتني الدهشة عندما انطلق الحصان بكل قوة بعيدًا عنا، راكبًا الريح التي داعبت ناصيته البيضاء المتدلية على وجهه الجميل، وأخذ يركض باستعراض أنيق وخطوات متوازنة من زاويـة إلى أخـرى، مختالًا فخورًا شامخًا، جسمه ممشوق وقوي، وعضلاته تبدو بارزة. المشهد أثار إعجابي، وألح عليّ السؤال عمَّا يميز الخيل العربية. سألت هايد وهي تقف إلى جانبي عن مواصفات الخيل العربية، فأفادت: «هي كثيرة، منها الصفات الجسمانية أو السلوك، أما الجسمانية فأهمها حجم الرأس معتدل الضخامة، والأذنان الطويلتان المنتصبتان الرقيقتان والدقيقتان في الطرفين، وعادةً يدل انتصاب الأذنين على احتفاظ الجواد بقوته ونشاطه، كذلك يجب عليك أن تلاحظ الأنف إن كان طويل القصبة، متصلًا بالجبهة اتصالًا لطيفًا مستقيمًا، ويجب أن يكون المنخران واسعين ومستديرين»، ثم أضافت: «ظهر الحصان أو صهوته مركز القوة فيه، وموضع سرج الفارس، يجب أن يكون قويًا وقصيرًا، معتدل الصلب وأملس، متناسبًا مع ارتفاع الحارك من الأمام، متلائمًا مع تحدُّب الكفل».

هناك جانب سلوك الخيل الذي يميز العربي الأصيل عن غيره، تقول هايد: «الصبر والتضحية والذلالة وكذلك الشجاعة»، ثم استطرت: «أعلم أن التراث العربي قدم كثيرًا من الشعر والقصص والموروثات الشفاهية التي أشادت بالخيل الأصيلة ووصفتها بدقة متناهية».

مورغان أ.شامبورغ

معايير وضوابط علمية

في مساحات إسطبلات ورسان الشاسعة، ثمة مستشفى بيطري مكتمل، جَمَع كادرًا محترفًا وذا خبرة واختصاص في علاج الخيول وإنتاجها، حيث تمكن فريقه الطبي من تطبيق المعايير والوسائل العلمية والتقنيات الحديثة لتجميد عينات من السائل المنوي للخيل، لفترات طويلة، ليساعد ذلك في استيلاد وإكثار الخيل، والحفاظ على السلالات المميزة.

ولا غرو أن تعد إسطبلات ورسان موطنًا فريدًا لأفضل سلالات الخيول العربية الأصيلة، ففي غضون 18 عامًا، أصبحت ورسان، من أكبر وأنجح الإسطبلات في المنطقة، من حيث ارتفاع مستوى الأداء، ومستوى جمال الخيول، وكذلك الارتقاء بالتربية والتوليد.

نتائج مبهرة

على مدى سنوات، حصدت إسطبلات ورسان نتائج مبهرة، حيث ترسل خيول السباقات ذات المسافات الطويلة، إلى دول أوروبا، لتنعم برعاية شاملة وتدريب، إلى جانب الغذاء، ليحظى الحصان ببنية جسدية قوية تؤهله لخوض هذه المسافات، التي تصل إلى 160 كيلومترًا. وفي الوقت الحالي، ترسل بعض الخيول إلى أستراليا أيضًا لتلقي البرامج التدريبية المناسبة، بوساطة مدربين أكفاء.

وما يؤكد على ما سبق، النتائج التي حققتها اسطبلات ورسان في الموسم الماضي، عالميًا ومحليًا، حيث حققت Muteeaa W'rsan «مورناك الأب» 6 ميداليات ذهبية في بطولة النمسا للركوب التقليدي، وكذلك ميدالية ذهبية في بطولة النمسا الكلاسيكية،

تصدرت إسطبلات ورسان السباقات الرياضية الشهيرة حول العالم؛ بسبب جودة الاهتمام بالخيول، وتقديم أفضل الرعاية والتربية والتدريب لها، سواء أكانت خيول سباقات السرعة، أو التدريب والترويض، أو منافسات القدرة والتحمل

الفريق البيطري في صالات ورسان

بالإضافة إلى نتائج محلية جيدة، حيث فازت إسطبلات ورسان بـ6 بطولات لركوب القدرة و17 مركزًا متقدمًا.

وجدنا المستشفى البيطري لإسطبلات ورسان، فور دخولنا؛ شعلة نشاط. طاقم طبي ومختصون كثر، منهمكين في عملهم، بإجراء الفحوصات الدورية للخيول، بالإضافة إلى الرعاية الصحية، ومختبر لأخذ العينات. انتظرنا قليلًا حتى فرغت الدكتورة مورغان أ.شامبورغ، طبيبة رياضة الخيل، من العمل على إحدى الحالات، لنتحدث إليها عن المشاكل الصحية للخيول ومسبباتها.

تعيش الدكتورة مورغان، فرنسية الأصل، في دولة الإمارات منذ تسع سنوات، لكنها بدأت العمل في إسطبلات ورسان منذ سبتمبر العام 2015، حيث تقوم على إدارة المستشفى البيطري في الإسطبلات بهدف تقديم العناية الصحية والاهتمام بجميع خيول سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان.

إعداد خيول قوية يبدأ من لحظة الولادة

عن العمل في قسم التوليد، تبين الدكتورة مورغان، أنهم يقومون بتجنب المشاكل الصحية المتوقع حدوثها، بعمل العديد من الفحوصات، ومراقبة الخيول في قسم التوليد منذ شهور الحمل الأولى.

بعد ذلك دعتنا مورغان للاطلاع عن كثب على حالة ولادة حديثة في المستشفى، دخلنا من بوابة متوسطة الارتفاع مليئة بالقش، والعاملون منهمكين في تنظيفه، هناك فرس ممددة وبجوارها صغيرها الذي يبدو هزيلًا لا يقوى على الوقوف، شرحت لنا مورغان الإجراءات التي يتخذها المستشفى فور الولادة، تقول: «نقوم بفحص شامل لجميع الأعضاء الحيوية في جسم المولود، للتأكد من سلامتها، حيث يسهل علاج أي مشكلة في بدايتها لتجنب تطورها مع تقدم عمر المولود».

اقتربت مورغان من الفرس الممددة وداعبتها بالمسح عليها، وأخبرتنا بأنهم يقومون بشراء أفضل أنواع البلازما التي تعمل على تحفيز جهاز المناعة وتقويته، كونها تمنح الجسم الإنزيمات اللازمة لتحفيز جميع الأعضاء وتقويتها، فهي «تمثل غلافًا يحمي أعضاء الجسم ويزيد من قوتها ونموها بشكل قوي وسليم» بحسب قولها.

ولا تنسى الدكتورة مورغان، في ختام حديثها معنا، تذكيرنا بأن إعداد خيول قوية قادرة على المنافسة في أصعب المجابهات، يبدأ من لحظة الولادة، وإذا لم يحظَ الصغير بالرعاية الصحية سيكون ضعيفًا، حتى إذا كان أصيلًا، وقالت وهي تودعنا: «يجب أن نفخر بأنفسنا كوننا ننتج سنويًا ما بين 35 إلى 40 جوادًا عربيًا أصيلًا تحقق رؤية سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان في الحفاظ على السلالات».

شئ من المرح

عند خروجنا من المستشفى، كانت الساعة تشير إلى الثالثة وأربعين دقيقة، الجو أصبح صحوًا بعد أن خفت أشعة الشمس نسبيًا، قالت هايد: «هذا الوقت المناسب لإطلاق الخيل ومنحها شيئًا من المرح».

على بعد كيلومترين، كانت الإسطبلات تعج بالخيول المتأهبة للانطلاق، وبشكل منظم ودقيق، أخذ العاملون في الإسطبل بسحب الخيول رفقة صغارها إلى المساحات الخضراء التي تملأ المكان، بعد رشها بخراطيم المياه لتثبيت التربة والتبريد، وفور فك اللجام، تركض الخيول في كل اتجاه، إلى أن امتلأ المكان بالخيول والصغار تجري بقرب أمهاتها، وفي مشهد مبهر انتظمت الخيول في شكل قطعان تركض بنظام مثير يدعو إلى التأمل. تجاهلتُ الانشغال بتفسير ارتياحي وقتها، وهدوء نفسي واستمتاعي، حتى إنني لم أستطع إبعاد نظري المشدود تجاه القطيع المتناسق المتماهي مع روح المكان.

برامج منضبطة ومتابعة دقيقة

عدنا بعد هذه الجولة الممتعة أدراجنا إلى مباني الإدارة، واقترحت

مراسل تراث مع الدكتور مورغان و ديتري هايد

علينا هايد مقابلة جوس دي سوزا ميريلس، من البرازيل، وهو نائب مدير اسطبلات ورسان، الذي حانت مواعيد عمله وقتها. كان في مكتبه منهمكًا في العمل، استقبلنا بحفاوة وأخبرنا أنهم يعملون معًا كعائلة مترابطة، هذا ما أكدت عليه هايد، ثم قال: «نسعى دومًا لإظهار أفضل النتائج، ونحاول هنا تخطي جميع المشكلات التي تواجهنا، من خلال برامجنا المتقدمة في رعاية خيول إسطبلات ورسان».

ويوضح ميريلس أكثر: «تصنيف الخيول لا يعتمد فقط على قدرتها على اجتياز المسافات وحسب، بل تصنف أحيانًا استنادًا إلى نوعية الغذاء الذي تحتاجه، ومحتوياته من نسب البروتين والفيتامينات والمكملات الغذائية، ومقاديرها».

ويوضح جوس ميريلس، أن من ضمن برامجهم المتطورة في علاج المشاكل الصحية المحتملة في الخيول، سعيهم الدائم إلى ابتكار وسائل علمية تمنع حدوث هذه المشاكل قبل وقوعها. ويقول: «من هذه التقنيات مراقبة وزن الخيول أسبوعيًا فعلى التغير أن لا يتعدى 1.5%».

ويزيدنا ميريلس شرحًا، بقوله: «تعد عملية المحافظة على مستوى الفعالية الأيضية في جسم الخيول، من أهم التحديات التي نواجهها في إسطبلات ورسان».

انتهى يومنا هنا، وبعد أن فارقنا عائلة ورسان التي احتفت بنا، وأظهرت العمل الجبار الذي يقومون به، وهو ما يفسر بطبيعة الحال النتائج المميزة التي سجلتها الإسطبلات لقرابة 18 عامًا.

قررت قبل أن أغادر أن أوثق زيارتي لهذا المكان بالتقاط الصور الفوتوغرافية، فكما يقول المصور الأمريكي ستيف ماكوري: «الصورة.. إيقاف الزمن وحفظ اللحظة، ورميها في سلة الذكريات السعيدة».

بدأت الشمس تتوارى، والخيول في كل مكان سعيدة مبتهجة بجنتها، ترعى في أمان وطمأنينة. أخذت أقود السيارة ببطء وكأني أستثقل الرحيل وأنا أتلفت حولي مشربًا بعنقي لملء ذاكرتي. خرجت وقد علمت ما للخيل من أثر على النفس وهي التي كرمها العرب ■

مورناك

زاد الفرح نورٍ على نور

عـــيـــد رمـــضـــان تـــبـــاركـــوا بـه

لـــي فـــي الـــمـــدن والـــلـــي فـــي لـبـرور

مـــن فـــضـــل لـــي مـــشّـــى هـبـوبـه

يـــا الـــلـــه عـــسـاهـم دوم بـــسـرور

خـــاز الـــكـــدر لـــي بـــه صـعـوبـه

واســـتـــانـــســـوا بـــــدوٍ مـــع حـضـور

كـــل يـــــوم بـــفـــراح وطـــروبـــه

وزاد الـــفـــرح نـــــورٍ عـــلـــى نـــور

الشاعر عيسى بن قطامي

أطعمة العيدين

طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية

16 شعر: زاد الفرح نورٍ على نور

18 التنور أو المشوي، وجبة العيد العود

21 الفسيخ، أكلة عيد الفطر السحرية

22 المخَمَّر طعام الأعياد في صعيد مصر

26 أكلات العيد في فلسطين تكافح الصهيونية!

30 طعام يوم العيد بالمغرب الصحراوي، نظرة انثروبولوجية

33 الطعام وعيد الفطر عبر التاريخ

34 حلويات الأعياد بالمغرب، طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية

38 نجوم المطبخ الأفريقي في العيدين

سرور خليفة سالم الكعبي

في دولة الإمارات العربية المتحدة تختلف الوجبات الرئيسية في مناسبة العيد من منطقة إلى أخرى، لذا فإن التنور أو المشوي، كما يُطلق عليه في المناطق الجبلية ومناطق الواحات خصوصًا العين، هي وجبة تُعمل غالبًا في عيد الأضحى المبارك الذي كان يطلق عليه قديمًا (العيد العود)، والعود بمعنى الكبير لارتباطه بمناسبة الحج الأكبر، وتمتاز هذه الوجبة بخصوصية كبيرة، ليس فقط لأن الإعداد لها يبدأ في الليلة السابقة للعيد التي تسمى ليلة العيد، ولكن لاشتراك الناس قديمًا في القيام بالشواء في حفرة واحدة لعدة منازل أو عائلات قد تصل إلى أكثر من عشر عوائل وذلك حسب عمق وحجم حفرة الشوي.

الإعداد للوجبة

يبدأ الإعداد للوجبة بإعداد الخلطة الخاصة من البهارات والليمون اليابس والتمر في الليلة السابقة، وذلك لكي تكون أكثر تناغمًا وتأثيرًا بعد خلطها مع بعضها ولإحداث التأثير المطلوب من التتبيلة، وقد يضاف إليها التمر الهندي ثم يتم تسخينها وطبخها لكي يتم التأكد من تمازجها جيدًا، وعندما تبرد يتم تتبيل اللحم الذي عادة ما يكون من الغنم أو لحم البقر فقط ولا يُستخدم لحم الجمال، وذلك متوارث وقد يعود السبب لعدم العمد إلى ذبح الجمال لأهميتها القصوى في حياة الناس، ويتم تتبيل اللحم المستخدم جيدًا حتى يتشبع بالتتبيلة ويوضع في وعاء كبير لكي يتشرب اللحم بالتتبيلة ويغطى جيدًا.

التنور أو المشوي

وجبة العيد العود

الخصف

يستخدم في هذه العملية كيس كبير يُصنع من أوراق سعف النخيل تغزل على شكل حافظة كبيرة سميكة مربعة الشكل غالبا تسمى (الخصف)، ويتم استخدام أنواع من أوراق النباتات لكي تبطن قاع وجنبات هذا الكيس، وكانوا يستخدمون أوراق الموز أو نبات يسمى (الشوع) ونبات (الشحس) وذلك لمنع وصول النار إلى اللحم إن احترق الخصف، كما تضيف هذه الأوراق نكهة خاصة أخرى إلى اللحم، وبعد أن يتخمر اللحم يوضع في الكيس ويُلف بهذه الأورق ويخاط فم الكيس جيدًا وإغلاقه بخياطته عادة بسعف النخيل الطري الصغير الذي يطاوع في عملية الخياطة.

التنور

كان التنور قديمًا حفرةعميقة وكبيرة يتم تدعيم جدرانها بصفوف متراصة من الحجارة الجبلية الصماء لمنع انهيار الجدران وضمان بقائه لعشرات السنين، وتتم تغطية فوهته بقطعة كبيرة من الحديد أو أكثر، كما تغطى بألحفة من الخيش الذي يغطس في المياة لفترة كبيرة حتى يتشرب جيدًا من الماء لمنع احتراقة عند تغطية الفوهه. ويكون إشعال النار في التنور مناسبة جميلة واحتفالية مبهجة، إذ يجتمع الشباب والرجال ويقومون برمي أعواد الحطب الذي عادة ما يكون من السمر شديد التجمير والذي يمتاز ببقاء وقوة النار التي يولدها، وعند امتلاء الحفرة بالكم المناسب من الحطب، يتم إشعاله عبر ملئه بسعف النخل الجاف والكرب الذي يشتعل سريعًا ويتم إشعال الأعواد الصلبة من السمر، وعند اشتعال اللهب يتحلق الرجال حول التنور أو يجلسون على مقربة ينتظرون أن تخمد النار ويتبقى الجمر فقط في الحفرة الملتهبة.

وضع التنور

عند (تجمير) الحطب يتم جلب اللحم الموضوع في (الخصف) وتسمى الواحدة منها (وخيفه) وجمعها وخايف، وتكون كل عائلة قد علّمت الوخيفة الخاصة بها بعلامة مميزة لكي تعرفها عند إخراج اللحم، ويتم رمي الوخايف واحدة تلو الأخرى في الجمر وبسرعه يتم تغطية الفوهة ووضع الخيش المشبع بالماء عليها قبل المسارعة بدفنها بالتراب تمامًا ومنع أي تسريب للهواء أو الدخان

خارجًا، وعند التأكد من ذلك يتم أيضًا رش التراب العلوي بالماء لعمل طبقة متماسكة من التراب تمنع أي تسرب محتمل للهواء، كتأكيد إضافي على وقف أي نوع من التسرب.

إخراج التنور

يبقى التنور من مغرب ليلة العيد وحتى وقت الغداء في اليوم التالي بعد منتصف النهار، ويتم إزالة التراب عن الفوهة ويكون الجمر قد إنطفأ تمامًا ولم تعد هناك أي حرارة عدا الحرارة المنبعثة من الضغط وأكياس اللحم التي تحتفظ بالحرارة دون أن تشتعل، ويتم إخراج الوخايف واحدة تلو الأخرى، وتقوم كل أسرة بأخذ الخصف التابع لها إلى المنزل حيث يتم تفريغه من اللحم.

التكافل والحفظ

في ذلك الوقت كان الناس يضربون أروع الأمثلة في التكافل والتراحم والترابط، فمن لا يستطيع تحمل ذبح الأضحية لا يُحرم اللحم في تلك المناسبة، فكان الجميع يتهادون اللحم فيما بينهم ويُعطى من عُرف أنه لم يذبح الأضحية هذا العام من الجميع حتى يتوفر عنده أكثر من الناس الذين قاموا بالذبح.

ونظرًا لكمية اللحم الكبيرة التي تتوفر في أيام عيد الأضحى تحرص ربة المنزل على الاحتفاظ بأكبر كمية ممكنة من اللحم، فكان لحم التنور يُجفف ويوضع في خيط من «البمبار» على شكل قلادة كبيرة ويوضع في الشمس حتى يجف، ويمكن العودة لاستخدامه لفترات طويلة جدا خلال السنة قد تلحق بالعيد التالي، وكان الأولون يعتمدون على هذه الطريقة في حفظ اللحم وأخذه معهم في رحلات السفر الطويلة.

ذكريات العيد

ستظل ذكريات العيد محفورة دائمًا في أذهان أولئك الذين تنعموا بالعيش في تلك الحقبة الجميلة من الوقت، الذي كانت فيه جميع النشاطات المرتبطة بالعيد تعني العمل الجماعي والفرح الجماعي والاحتفال الجماعي، وستبقى الاحتفالات البسيطة والعيالة والحربية وتهاني العيد والتنور من أجمل الذكريات التي تضفي البسمة على محيا الشيبان كلما مرت على خواطرهم في وقت لم تعد بهجة العيد فيه كما كانت ■

الفسيخ
أكلة عيد الفطر السحرية

محمد محمد مستجاب

أحد ملامح عيد الفطر المميزة، هو التفاف العائلة حول مائدة «الفسيخ» الذي ينتظر انتهاء شهر رمضان المبارك ليعود بمذاقه القوي ورائحته النفاذة الشهية ليستقبله محبوه كالملك المتوج. ويفسَّر هذا الإقبالُ على الفسيخ في عيد الفطر، برد فعل للامتناع عن تناوله خلال شهر رمضان نظرًا لملوحته الشديدة التي لا تتناسب مع الصيام.

لذلك في العيد يحرص الجميع على تناول الفسيخ وبدائله، كالرنجة والسردين أو أي نوع من أنواع السمك التي تغيب – عادة- عن مائدة رمضان، فتشتاق لها الأنفس وتستقبلها بشوق خاص.

والفسيخ، إحدى الأكلات مصرية الأصل، ولكنها أصبحت من أشهر أكلات الأعياد في العديد من الدول العربية والأجنبية.

ويصنع الفسيخ من أنواع معينة من الأسماك أشهرها «البوري» و«الجرع»، و«السردين»، إذ يغسل السمك الطازج ويرص في طبقات في مصفاة ويُوضع مقدار كبير من الملح بين كل طبقة وأخرى، ويضغط بحجر كبير أو شيء ثقيل الوزن ثم يترك لعدة ساعات حتي يتخلص من سوائله، بعدها يُنقل إلى إناء التمليح ويرص من جديد في طبقات بعد وضع مقادير كبيرة من الملح بينها، مع مراعاة ملأ الخياشيم بالملح ثم يغطى الإناء بكمية كبيرة من الملح حتي لا يفسد، ويُغلق بإحكام ويترك لمدة لا تقل عن شهرين قبل البدء في تناوله.

من أنـواع الفسيخ المشهورة «الطوبار» وهو صغير الحجم. ويطلق على أجود انواع الفسيخ «الفسيخ النبراوى» نسبة إلى قرية نبروه بالقرب من مدينة طلخا بمحافظة الدقهلية بمصر، والتي اشتهرت منذ زمن بصنع الفسيخ وتمليح الأسماك، وفسيخ مدينتي «فُوَّه» و«دسوق» بمحافظة كفر الشيخ.

وصانع الفسيخ يسمى في مصر «الفسخاني»، وهي مهنة قديمة جدًا، ومن أشهر محلات الفسيخ في القاهرة شاهين والهلوتي واليماني. وتضرب صناعة الفسيخ بجذورها في التاريخ إذ تعود إلى عصور مصر القديمة المسماه بالفرعونية، ويذكر المؤرخون أن أول من قام بتصنيع الفسيخ وتمليح وتجفيف الأسماك هم المصريون القدماء. ورغم اعتقاد البعض في بساطة مهنة الفسخاني، إلا أن التجارب أثبتت «أن إعطاء العيش لخبازه» كما يقول المثل الشعبي، هو أفضل حل، فالخطأ في صناعة الفسيخ وعدم ضبط خطواته بشكل صحيح قد يتسبب في حالات تسمم ينتهي بعضها بالموت أو الشلل بسبب بعض أنواع البكتيريا التي تنمو عندما لا يتم ضبط عمليات الصنع بشكل صحيح.

في مصر يتصدر الفسيخ مائدة الغداء في أول أيام عيد الفطر، إلا أن البعض يتناوله صباحًا بعد صلاة عيد الفطر مباشرة، مثل الفلسطينيين، الذين يتناولونه صبيحة العيد كوجبة إفطار رئيسية، ويؤكد بعضهم أن السبب في تناول الفسيخ صباحًا أنه يعوضهم عن الأملاح التى فقدوها خلال أيام شهر رمضان المبارك ويقي الجسم من الإرهاق والتعب، وهو مأ ثبت علميًا إذ يساعد في تحسين عمل الجهاز الهضمي.

وتختلف طرق العائلات في تناول الفسيخ، منهم من يأكله نيئًا أو بمعنى أدق مكتفيًا بتمليحه، ومنهم من يقليه في الزيت ويضع إلى جواره البصل الأخضر والفلفل الحار والطحينة، ومنهم من يصنع منه سلاطة باستخدام بعض الخضراوات والتوابل والزيوت، المشترك بينهم جميعًا هو الفرحة والبهجة باجتماع العائلة حول طبق الفسيخ العريق ■

مخَمَّر عيد الفطر

طعام الأحياء والأموات في صعيد مصر

محمد شحاته علي*

يدور الأطفال في أرجاء القرية في الأيام الأخيرة لشهر رمضان يغنون «يا رُمّان يا أحمر يا جديد ... بُكرَه العَجنَة وبَعدُه العيد» وتُعد تلك الأغنية إعلاناً للنساء لبدء طقس خبيز المخَمَّر.

وتُعَدُ احتفالية العيش المخَمَّر من أهم وأشهر الطقوس التي تُمارِسُها النساء في صعيد مصر، ويرتبط المخمر بعيد الفطر المبارك وهو من أغلى المخبوزات التي تُعِدُها النساء في الصعيد.

يتم التجهيز للمخَمَّر قبل عيد الفطر بحوالي أسبوع حيث تقوم النساء بتجهيز القمح وتنقيَتُه وغسله تمهيداً لطحنِه وإعداد الدقيق الذي يستخدم في عَجن المخَمَّر، وإلى جانب الدقيق يتم تجهيز كمية مناسبة من السمن البلدى البقري واللبن، بالإضافة إلى تجهيز «القش والحطب» الذى يتم إشعال فرن الخبيز به، وكذلك تنظيف الصفائح التي لا تُستعمل إلا من العام للعام في هذه المناسبة.

إن طبيعة مجتمع الصعيد القائمة على الترابط والتكافل وشكل العائلة الممتدة ووجود العائلة على شكل عدة منازل في نطاق إقليمي واحد، تجعل من هذا الطقس احتفالية كبيرة تشترك فيها معظم نساء العائلة، فيجتمعن يوم«العجنة» في منزل أحد أفرادها من بعد صلاة الفجر، وتُحضِر كل سيدة مكونات العيش المخمر ويتم الخبز في فرن واحدة منهن لعدة أيام من الصباح وحتى المساء.

احتفالية المخمر

تجتمع النساء ويتبادَلنَ الحديث والقَصَص وأغاني العَديد والذكريات، ويتعاونَّ في مراحل خبيز المخَمَّر حتى يكون العمل مُيَسَّرًا على الجميع ويتم إنجازُه في وقت قصير قبل يوم العيد. وتعتبر تلك الاحتفالية النسائية اختبارًا للبنات الصغيرات لإظهار إمكانياتهن في العمل وتحمل مسؤولية المنزل، لأن معظم أعمال الطقس يقمن بها البنات في سن الشباب ويقتصر دور السيدات الكبار على الإشراف والتوجيه ومباركة المراحل، فعند خروج أول قُرص مخمر من الفرن تحمله إحدى الفتيات لوالدتها أو عمتها أو جدتها لِتُقَلّبُه بين يديها وتتأكد من نُضجِه لِخِفّة وزنها وتُعَلِق على ذلك قائلة «حَلاتُه حَلاتُه .. . صَلاتُه صَلاتُه». وأحياناً تُعجب إحدى السيدات بفتاة وتخطبها لولدها أو أخيها في تلك الاحتفالية لما رأته من مهارتها في العمل.

خميرة العنز

تبدأ صناعة المخمر بصنع الخميرة، وهي عبارة عن حبات من الفول

البلدي أو الفريك يتم وضعها في قليل من اللبن المغلى في براد الشاي، ويتم غلق البراد ولَفُّه بقطعة قماش، وفي الصباح يتخمر هذا الخليط وتقوم السيدة بتصفية الفول من اللبن، ثم تضع اللبن في إناء وتضع عليه الدقيق وتقوم بعجنه جيداً ليتخمر في اليوم التالي، وتسمى الخميرة «خميرة عَنز» لأنها تُصنَع من «لبن الماعز» وهو لبن خفيف يساعد على سرعة التَخَمُّر.

عجن المخمر

بعد التأكد من تخمر خميرة المخَمَّر، تقوم النساء فى الصباح بإحضار (العجانة) وهي مصنوعة من الفخار أو الألومنيوم، ويضعن بها قليلًا من السمن البلدى البقري والسكر واللبن ثم الدقيق والخميرة وتقوم السيدة بخلطِه جيداً بيديها حتى يصبح متماسكاً ثم ترش عليه القليل من السمن البلدى.

تسخين الفرن

تقوم سيدة بإشعال النار في فتحة الفرن من أسفل، بأن تضع بداخلها القش الجاف وأعـواد الـذرة وقطع الجلة وهي (روث الحيوانات الجاف) وتقوم بتحريكه بسيخ من الحديد يسمى (محساس) ويخرج الدخان والنار من بلاطة الفرن حتى تصبح بلاطة الفرن ساخنة، وتستمر عملية تسخين الفرن حوالي ساعة، ولكي تتأكد السيدة من سخونة الفرن تضع «عود ذرة جاف» فوق البلاطة فإذا احترق تأكد لها أن الفرن جاهز.

التفويد

تقوم السيدة بتنظيف بلاطة الفرن من التراب والشوائب الناتجة عن الدخان أثناء تسخين الفرن، وتتم هذه العملية باستخدام أداة تسمى (فودة) وهي قطعة من القماش تثبت في عود من الجريد الجاف، يتم وضعها في إناء به ماء، ويتم تحريكها فوق بلاطة الفرن لتنظيفها حتى يصبح لون القماش أسود من أثر الدخان الذي يوجد فوق بلاطة الفرن، وتقول النساء عندنا على أي شيء أسود أنه مثل الفودة، دليل على شدة سواده.

تنظيف الصفائح

تحضر صفائح على هيئة أقراص مصنوعة من الصاج تُنظف ويدهن سطحها بالزيت أو السمن، حتى لا يلتصق بها عجين المخَمَّر.

تقطيع ورَص المخَمَّر تحضر السيدة عجانة المخَمَّر وتقطع قطعة صغيرة بيدها وتضعها فوق الصفيحة وتقوم سيدة أخرى بتسوية العجين فوق الصفائح بقطعة قماش حتى يصبح شكلها دائرياً، ثم تقوم بوضع الصفائح في الشمس لمدة ساعة، وبعد أن يتخمر العجين تنقل بصفائحها وترص على بلاطة الفرن الساخن لمدة نصف ساعة بعدها يتم إخراجه ويكون لونه أحمر ووزنه أصبح خفيفًا دليل على اكتمال نضجه، وتُنزع الصفائح عنه ويؤكل ساخنًا.

تقطيع الفايش

بعد خبز كمية كبيرة من المخَمَّر، تقوم النساء بتقطيع جزء منه

بالسكين قطعًا طولية متساوية توضع فوق الصفائح وترص فوق بلاطة الفرن الساخنة لمدة ساعة أخرى، حتى يصبح لونه أحمر وجافاً (مِقَرمِش) وهو معد لتناوله في الصباح بعد وضعه في اللبن الحليب.

المخمر، صدقة غالية

يتم تقديم المخَمَّر على هيئة «قُرَص» كصدقة يوم العيد توزع على العاملين بالقبور «اللحَّادين» الذين يدفنون الموتى، وعُمَّال الحفر الذين يعاونون في حفر وبناء القبور والنساء اللاتي يقمن بحَمل المياه إلى قبر المتوفى لمدة أسبوع وسَكبِه على تراب القبر حتى لا تنبِشُه الذئاب.

وتختار النساء هذا النوع من الخبز للصدقة لأنه من أفضل وأغلى المخبوزات لجمعه بين الخبز والحلويات في الوقت نفسه لأنه يحتوي على السكر واللبن والسمن، ولأنهن يقدسن ويحترمن موتاهن لذلك يقدمن لهم أفضل الصدقات وأغلاها.

المخمر واحتفالية عيد الفطر

كلمة «العيد» في صعيد مصر تطلق على منطقة المقابر، حيث تستعد النساء في صباح يوم العيد من بعد صلاة الفجر للذهاب إلى المقابر وذلك بتجهيز «قفة» مصنوعة من سعف النخيل بها أقراص المخَمَّر والفول السوداني والحلويات وفاكهة الموسم، ويرتدي الأطفال الملابس الجديدة ويذهب الجميع إلى منطقة المقابر للاحتفال بعيد الفطر بصحبة ذويهم الأموات، وتجلس كل سيدة على قبر قريبها المتوفى وتضع «القفة» وسرعان ما يمر «اللحادون» على القبور ويحملون معهم «أجوِلَة» يضعون بها ما تتصدق به النساء عليهم من قُرَص المخَمَّر، فيجمعون كميات كبيرة تصل إلى عشرات الأجوِلة في هذا اليوم. وتقضي النساء والأطفال اليوم من الصباح وحتى الظهيرة في منطقة المقابر يستمتعن بالتزاور ويستمتع الأطفال باللعب ويتسابقون للصعود على قمة الجبل الشرقي الملاصق لمنطقة القبور، ويتبعهم الرجال بعد أداء صلاة العيد. وأن يقول أفراد الجماعة الشعبية في الصعيد إننا ذاهبون للعيد، فمعنى ذلك أنهم ذاهبون لمنطقة المقابر وزيارة موتاهم في هذا اليوم، ولا تكتمل فرحة هذا اليوم إلا بهذا الطقس.

ويعتقد أفراد المجتمع أن الأموات في هذا اليوم ينتظرون أقاربهم للاحتفال معهم، فلا يجوز تركهم بمفردهم في يوم العيد، وينتقد أفراد الجماعة الشعبية الأشخاص الذين لا يذهبون للمقابر في يوم العيد، بينما ينتقد رجال الدين في الصعيد هذا الطقس بشدة ويقولون إن يوم العيد هو فرحة للأحياء. ولكن تظل عادات ومعتقدات الجماعة الشعبية في المجتمعات التقليدية هي المسيطرة، والتي تشكل ثقافة المجتمع وتقاليده المتوارثة من مئات السنين.

ملحوظة: الصور بكاميرا الباحث، قرية نزلة القنطرة، مركز البداري، محافظة أسيوط، مصر ■

* باحث في الثقافة الشعبية والأنثروبولوجيا، مصر

تكافح ضد سرقة الصهاينة لها!

أكلات وحلويات العيد في فلسطين

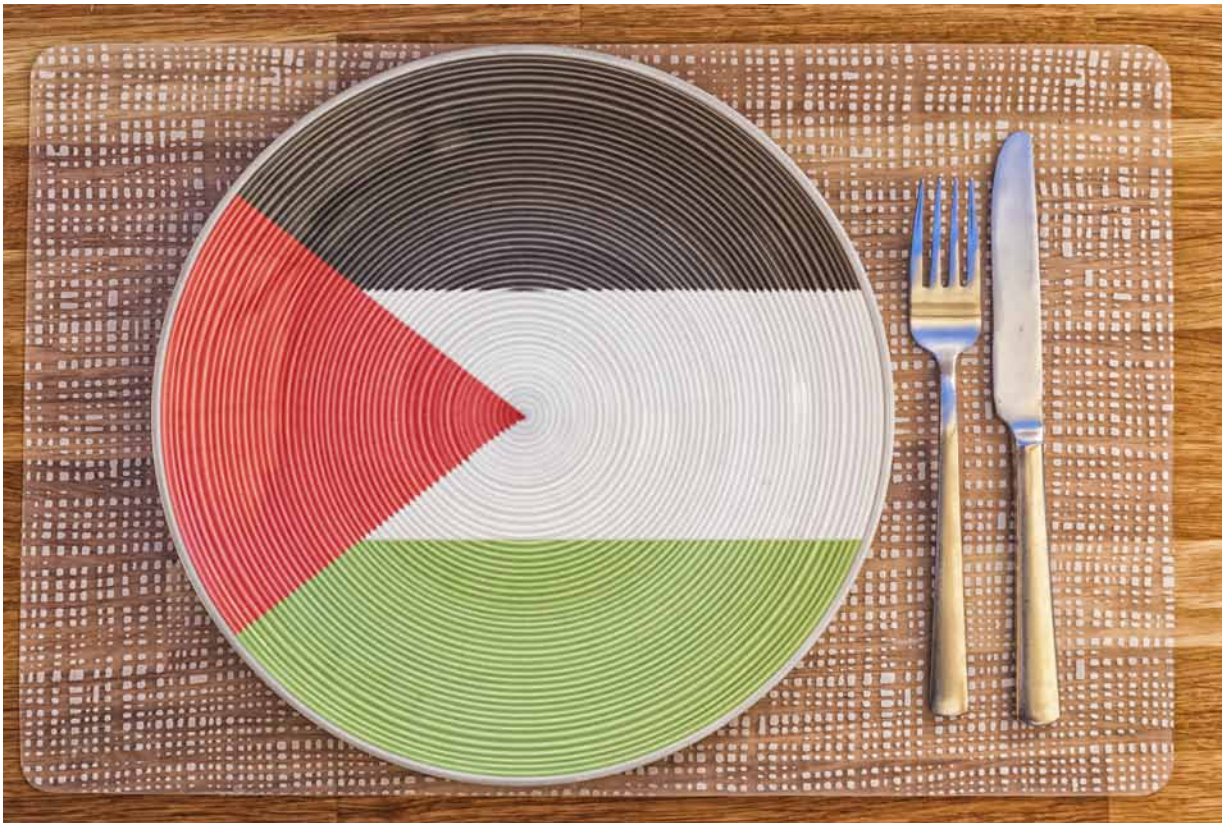

سما حسن

لا تزال بعض الأكلات الشعبية الفلسطينيّة حاضرة في المناسبات السعيدة خصوصا في عيدي المسلمين «الفطر والأضحى» فهذه الأكلات ما تزال تجاهد للبقاء شامخة على المائدة الفلسطينية رغم محاولات سرقة هذه الأكلات ونسبها للمائدة الاسرائيلية فالشعب الفلسطيني يراها جزءًا من تراثه تروي فصولاً من تاريخه وقد كان ظهورها صدفة أو اختراعاً، ولكن تمسكهم بها أصبح هوية وولاء. ومن الأكلات المشهورة التي تقدم في الأعياد في فلسطين:

السماقية، تتوارثها الأجيال

وهي من الأكلات الشعبية المميزة في معظم المدن الفلسطينية وخاصة في مدينة غزة، يتم إعدادها في اليوم الأخير من رمضان وفي أيام عيد الفطر إلى جانب «الفسيخ» الذي يُعتبر من عادات أهل غزة في العيد، وقد سميت «السماقية» بهذا الاسم لأنها تستخدم كمية كبيرة من السمّاق، وهو العنصر الغالب على هذه الطبخة، حيث يجتمع عدد من النسوة مع بعضهن في أحد البيوت التي تنوي إعداد طبخة السماقية، ويوزعن فيما بينهن المهمات حتى يتم الانتهاء من الطبخة وصبها في الأطباق.

وهي من الطبخات القديمة والمأكولات التراثية التي تتوارثها الأجيال الفلسطينية، وتؤكل السمّاقية مرتين في العام عند غالبية الأسر الفلسطينية وقد كان ظهورها الأول لدى أهل غزة الأصليين وقبل النكبة بسنوات طويلة وكانت تُحفظ في الجرار، والتمسك بها لايـزال حتى الآن لأنها من الأكلات التي تصمد أمام حرارة الجو ولذلك يمكن الاحتفاظ بها لمدة أسبوع دون أن

الفتة الغزاوية

الكنافة النابلسية

تتلف. ويؤكد الفلسطينيون أن «السمّاقية» خفيفة على المعدة وسهلة الهضم وتساعد على فتح الشهية، وتؤكد الأبحاث العلمية أن السماق مفيد لتسهيل هضم اللحوم التي تدخل في مكونات إعداد الطبخة والتي تشمل السماق الحب، والبصل، والسلق الطازج الذي يشبه السبانخ، واللحم البقري، والحمص والثوم، والطحينة الحمراء.

أما طريقة إعدادها فيتم فرم السلق فرماً ناعماً، ثم يغسل جيدا، ويصفّى من الماء، ويُفرم البصل فرمًا متوسطاً، ثم يقلب البصل بالزيت على نار متوسطة ثم يوضع اللحم المقطع قطعاً صغيرة والمسلوق مسبقا فوق البصل بدون الشوربة، ويحرك قليلا، ثم يوضع السلق المفروم والحمص فوقه.

بعد أن يُنقى السماق في حلة ويضاف إليه الملح ولتر ماء، ويوضع على نار حتى يغلي ويترك حتى يبرد ثم يُعصر، ويُصفّى في المنخل الناعم في إناء، ويتم وضع الدقيق فوق ماء السماق، ويُوضع السماق على الخليط، ثم يُحرك تحريكاً دائرياً وبسرعة حتى يغلظ،

ثم تضاف الطحينة الحمراء على الخليط بالتدريج ويستمر التحريك حتى تختلط ببعضها البعض، ويتم سكبها في صحون التقديم.

الفتة الغزاوية وذاكرة النضال

تعتمد الفتّة الغزاويّة على خبز الشراك أو الصاج أو الخبز الرقيق غير المضاف له الخميرة ويوضع على وجهه، بعد تسقيته بالمرق، الأرز المحمر واللوز المقشور وترص فوقه قطع اللحم أو الدجاج ويؤكل معه الدقّة المكونة من الثوم والفلفل والليمون.

وقد ظهر خبز الشراك أولاً في بدايات القرن العشرين، إذ كان الثوار الفلسطينيون يقضون وقتهم مختفين في الجبال فاستخدموا قطعة من الصفيح ووضعوها فوق النار المشتعلة وخبزوا فوقها الخبز الرقيق بدون خميرة، وفي أحسن الأحوال كانوا يضعون فوقها الأرز الأبيض المطهو وقطع اللحم ليصبح اسمها» الفتة» لتنتقل مع هروب الثوار من جبال الضفة الغربية إلى غزة لتصبح أكلة شهيرة تتبارى وتتفنن النساء في إعداد خبزها ثم بسط الأرز وأنـواع اللحوم مع المكسرات المقلية فوقها، وظل الحفاظ عليها كذاكرة لنضال الشعب الفلسطيني وتقدم في مناسبة العيدين خصوصاً.

الكنافة النابلسية، الحاجة أُم الاختراع

عندما يذكر اسمها يتوارد على الخاطر منشأها وهو مدينة نابلس في الضفة الغربية كبرى مدن فلسطين وأنشطها اقتصادياً وقد كانت ولا تزال هذه الكنافة المنسوبة لمدينة نابلس زينة الموائد في المناسبات في فلسطين على إختلاف مناطقها ما بين الشمال والجنوب.

ظهرت هذه الحلوى الشهيرة سنة(1850) حين وفد مواطن من سوريا لكي ينشئ محلا للكنافة في نابلس، ولعدم توفر الإمكانيات المالية لجأ إلى أحد أثرياء المدينة ليشاركه في المحل مقابل أن يدعمه ماديا، وكانت الكنافة بذلك الوقت تُحشى بالمكسرات واللوزيات، وبعد مرور سنتيّن من تأسيس المحل ترك المواطن السوري نابلس ورجع إلى بلده وبقي المحل للمواطن.

عندما يذكر اسمها يتوارد على الخاطر منشأها وهو مدينة نابلس في الضفة الغربية كبرى مدن فلسطين وأنشطها اقتصادياً وقد كانت ولا زالت هذه الكنافة المنسوبة لمدينة نابلس زينة الموائد في المناسبات في فلسطين على اختلاف مناطقها ما بين الشمال والجنوب

تعتمد الفتّة الغزاويّة على خبز الشراك أو الصاج أو الخبز الرقيق غير المضاف له الخميرة ويوضع على وجهه، بعد تسقيته بالمرق، الأرز المحمر واللوز المقشور وترص فوقه قطع اللحم أو الدجاج ويؤكل معه الدقّة المكونة من الثوم والفلفل والليمون

ولعدم توفر المكسرات التي تُحشى بها الكنافة قام النابلسي بوضع الجبنة النابلسية كحشوة، وكانت هذه أول مرة توضع الجبنة داخل الكنافة، وجد الناس طعمها شهيا وبدأ العديد من أبناء نابلس التوافد على المحل من أجل تعلم عمل الكنافة التي أعجبهم طعمها.

كان السر – وما زال- في الجبنة النابلسية التي تتميز عن غيرها في أنها مصنوعة من حليب البقر الذي (يمط)، وحليب العنز بطعمه المميز وطبيعته التي تجعل الجبنة (تمغط) وحليب النعاج الذي يكسبها طعمًا ورائحة مميزة. فعندما تُحشى الكنافة بالجبنة النابلسية تكون مميزة ولها رائحة وطعم يختلفان عن كثير من الحلويات.

البسيسة

كنافة نابلسية مزينة بالمكسرات

صنع البسيسة

السماقية

المسفن أو الكعك الأصفر أو كعك القزحة

انتشرت الكنافة النابلسية إلى الأردن وافتتح فلسطينيون محلات خاصة بها، كما وصلت إلى غزة وأصبحت ملكة حلويات الأعياد والمناسبات السعيدة حتى الوقت الحاضر رغم ارتفاع سعرها مقارنة بأنواع أخرى من الحلويات الفلسطينية.

البسيسة، بركة الأكلات التراثية

وهي حلوى اختصت بها منطقة الجليل في فلسطين، والغريب أن أول من عرفها وقام بإعدادها هم فلاحو منطقة الجليل في فلسطين وقبل عدة قرون، ولا أحد يستطيع أن يحدد تاريخاً لظهورها لأنها ارتبطت بوجود زيت الزيتون ووفرته في فلسطين، ذهب فلسطين الذي كان الفلاحون يحتفظون في بيوتهم بمؤونة منه تكفيهم طول العام. اخترع الفلاحون هذه الحلوى التي يدخل في ترطيبها القمح الذي يزرع في أراضيهم.

تتكون البسيسة من القمح المطحون والسمسم ورُب الخروب وزيت الزيتون، يحمص دقيق القمح والسمسم ويخلطان برب الخروب والزيت ويتم صنع كرات صغيرة الحجم من الخليط بواسطة اليد.

من مزايا كرات «البسيسة» أنه يمكن الاحتفاظ بها دون أن تتغير وتتأثر لأشهر طويلة، وقد كانت تعد خلال رمضان وقبل موسم الحج حيث يحملها الحجاج أثناء سفرهم الطويل من فلسطين إلى بيت الله الحرام ويعبترونها «زوادة» السفر لأنها شهية ومشبعة، ولا زالت تقدم البسيسة في البيوت كنوع من الأكلات التراثية التي تحل البركة في البيوت أينما وُجدت وتُباع في بعض المحال جاهزة ومغلفة بالنايلون والكرتون.

المسفن، كعك القزحة

الغريب في هذه الأكلة أنه لا يمكن تحديد إن كانت من الحلوى أم لا! لأن العديد من المكونات مثل الحبة السوداء والطحين والسكر والعصفر تدخل في إعدادها، وهي مشهورة منذ القدم لدى الشعب الفلسطيني ويطلق عليها أيضاً اسم «الكعك الأصفر»، وقد ارتبطت بأعياد المسلمين في فلسطين وأخذت اسم الكعك فقط لاستدارتها وقد ارتبطت بما يعرف بـ«خميس الأموات» وهو أول خميس من شهر نيسان إذ تعد ويتم توزيعها في المقابر حيث يأخذون معهم كعك القزحة ليأكلوه هناك ويوزعونه على زوار المقابر، وأصبح يعد قبل العيد استذكاراً للأحبة الراحلين ■

طعام يوم العيد بالمغرب الصحراوي

نظرة انثروبولوجية

د. بوزيد الغلى

للعادات الغذائية وشم الخصوصية وطعم الهوية، وتجري عليها سُنن التغير التي تنوب جميع أحوال العمران البشري، كما تسري على الطعام ذاته قوانين النقل الثقافي من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، و لقد ذكر عماد صولة في مقالته الرصينة: «هوية الطعام وطعام الهوية»، أن الطعام «يكون على صعيد المعرفة التاريخية سجلًا يحفظ ذاكرة كاملة بأحداثها ومقدساتها و مذاقاتها»، ولسنا نبتغي حفر ركام «المقدس» المخبوء بين ثنايا كثير من ممارساتنا الطقوسية الغذائية كتخصيص يوم الجمعة لتناول الكسكس في معظم مناطق المغرب الأقصى وجيرانه، بقدر ما نتوق إلى تسليط النور على مسألة الطعام في العيدين، وعلى جهة التخصيص، عيد الفطر.

بات معروفا أن بعض الأكلات الشعبية المغربية تمثل علامات مائزة للمنطقة التي تعرف بها، و دليل انتماءٍ «هوياتي» للثقافة التي أنتجتها، فالتبيخة مثلا أكلة بيضانية معروفة عند سكان الصحراء خلافاً لغيرهم، كما أن «البكبوكة» مشتهرة بالمغرب الشرقي على جهة الاختصاص (وجدة)، وإذا شئنا توسيع المجال التداولي لأصناف من الطعام، ذكرنا الكسكس الذي اعتبره الباحث التونسي الآنف الذكر طعاماً هوياتيا plat identitaire، مشيراً إلى أن «تاريخه لا ينفصل عن تاريخ الحبوب التي تمثل بالنسبة إلى مجتمعات البحر الأبيض المتوسط النظير الغذائي للأرز في آسيا، والذرة في أمريكا اللاتينية وأجزاء من القارة الافريقية»، و نظرًا لمركز «الكسكس» في النظام الغذائي بشمال افريقيا، فقد ذكر الكاتب المغربي عبد الكريم بركة في مقالته: طقوس الاحتفال بالمناسبات والأعياد بشمال افريقيا أن النساء تصنعن أكلة «الكسكس» بأيديهن في

اليوم الأخير من رمضان استعداداً ليوم العيد، حيث يقدم صباحاً كوجبة فطور مع الحليب الطري بعد تسخينه وتمليحه، وذلك نظرا لفوائده الكثيرة، وعدم إلحاقه أضراراً بالمعدة بعد تعودها على الصيام نهاراً» حسب تعبيره، غير أن هذه العادة غير مطردة، فالكسكس في ثقافة الصحراء لا يقدم إلا في منتصف النهار (وجبة الغذاء) أو في الليل (حسب عادات بعض القرى الصحراوية بواد نون)، الأمر الذي يدعم وجود اختلافات في الممارسة الغذائية تسمح للباحثين بفحص الفروق الثقافية والاجتماعية بين الجهات والفئات.

ومن نافل القول، أن الكسكس والطاجين من أكثر الأطباق تناولًا

نهار عيد الفطر في كثير من مناطق المغرب على اختلاف في طريقة التحضير والتقديم، فالكسكس كما يؤكد مؤلفو «مكنز التراث الشعبي المغربي»، يقدم منتصف نهار يوم عيد الفطر «كطبق بالدجاج والزيتون الأخضر، ويوضع فوق صوان بغطاء كبير يحفظ حرارته».

لا مناص من النظر إلى طعام العيد والممارسات الغذائية المتصلة به، نظرة انثروبولوجية تستحضر كون حقيقة الإنسان مشروطة بالغذاء، لكن ماهية الغذاء محددة ثقافيًا، إذ أن عمليات تحويل الأغذية من حالتها «الطبيعية / الخام» إلى وضعية ثقافية متحضرة أو ثقافية، تسمح بالقول مع ليفي شتراوس بأن «الطعام والمطبخ يقفان بين الطبيعة والثقافة ويتوسطان بينهما، وأنهما يعدان وسيلة من وسائل التعبير عن الغنى الثقافي والاجتماعي، ومؤشرًا على التحولات السوسيو- تاريخية»، تلك التحولات التي من السهل ملاحظة أثرها في «طعام يوم العيد» لدى البيضان بالصحراء، فقد خضعت ممارسة أهل الصحراء الغذائية للتغير تبعاً لعاملين مؤثرين: نمط العيش والتحول من الترحال إلى الاستقرار، ومؤشر الوفرة والندرة (حالة السوق والقدرة الشرائية).

وفي هذا الاطار، قالت السيدة الناهة في مقابلة شفوية أجريتها معها ضمن فعاليات مهرجان الطبيخ بالسمارة خلال هذا العام: إن طعام العيد عند أهل الصحراء لم يخرج زمن الترحال عن اللبن واللحم والشاي، بينما شهدت سنوات الاستقرار بالمدن

تغيرات غذائية مست عادات الأكل يوم العيد، فظهرت الحلويات على اختلاف أصنافها على مائدة الفطور صباح العيد، و أصبحت الخضروات والفواكه والأسماك تحتل مكانة بارزة في مائدة الغذاء».

وفي الإطار نفسه قال الشاعر الطاهر اخنيبيلا المهتم بالثقافة الحسانية بواد نون: «إن الناس زمن «الغزيان/ الحروب الأهلية»، كانوا مضطرين للتوفر على مواد سهلة التحضير يوم العيد، فصرفوا العناية إلى «تيشطار» (اللحم المجفف)، أما اللبن والشاي والتمر، فهما حاضرين في كل مراحل الترحّل والاستقرار، فقد كان الإفطار لدى بعض الأسر صباح يوم عيد الفطر يقتصر على الزبدة والتمر والشاي الساخن، بينما تصر أسر أخرى على الافطار أولًا بالحساء الساخن المعروف بـ«النّشا» أو «لحْسَا لحْمَر»، في حين، أصبحت المكسرات والفواكه الجافة والحلوى ومختلف أنواع العصير تتسيّد موائد الافطار يوم العيد بحسب حال الأسر من اليسر والعسر».

ومما لا شك فيه، أن طعام العيد، والغذاء بصفة عامة، خضع في حالي الترحل والاستقرار لعمليات التحويل باستعمال مختلف التقنيات التقليدية والحديثة مثل التجفيف والتمليح والطهو بمختلف أنواعه، فقد كان الرّحل يجففون التمر، ويضعونه في «إسْلخان» المصنوعة من جلد الماعز، كما كانوا يجففون موادا أخرى كالنعناع والجزر والتين، ذلك أن وسائل الحفظ و الصيانة (التبريد مثلًا) كانت معدومة، وكما مسّ التطور وسائل حفظ المواد منذ فترة الاستقرار بالمدن، فقد مسّ وسائل إعداد الطعام، وتحويله، فالمطبوخ، كما قال شتراوس «يقتضي وعاءً أي شيئاً ثقافيا، كما يزال عنه النيء كليا، فيكون بذلك أقرب إلى الثقافة منه إلى الطبيعة»، و كما اختفى اليوم «التمّيش» الذي كانت تقدح منه النار زمن الترحال، اختفت كثير من الأواني العتيقة، أو تراجع استعمالها كالمرجَن، وهو القدر الذي يطبخ فيه البدوي طعامه، و في هذا الصدد، أقر مؤلف كتاب (الشاي الصحراوي: درس التاريخ و سياقات التغير الاجتماعي، ص 235) بـ»صعوبة ضبط تاريخ التطورات والتحولات التي عرفتها أواني الشاي: التطور من المائدة الخشبية إلى الطبق المعدني، من الإبريق الخزفي إلى الإبريق المعدني، من فنجان الخزف الصيني إلى الكأس الزجاجية».

نماذج من المائدة الصحراوية يوم العيد

الأشربة: تتنوع الأشربة التي يتناولها الصحراويون يوم العيد إلى أشربة ساخنة (الشاي)، وأخرى باردة منها الزريكَ: اللبن المخلوط بالماء، ولمْريس: دقيق الشعير الناضج المخلوط بالماء، وتَمبَرْما: مزج الكوكا كولا بالحليب المصنّع/ حليب الرطلة، وبيْسام: مشروب ذو أصل إفريقي معروف في موريتانيا باسم بيصام، نسبة إلى الشجرة التي تعطي أوراقاً بلون أحمر قاني، (كتاب الأغذية والأشربة بالصحراء، ص 211)، ولا تخلو موائد الصحراويين يوم العيد من هذه الأشربة، وذلك حسب القدرة الشرائية للأسر.

المأكولات: تتنوع المأكولات الشعبية الصحراوية نهار العيد حسب المتوافر لدى الأسر، و يمكن أن نذكر علاوة على الكسكس، التبيخة: طهو لحم الإبل مع الماء و الملح والسمن بلا توابل، تيدكَيت: طهو لحم الإبل المجفف والمملح مع قليل من الودك، واحسب أن هذه الأكلة عناها صاحب المسالك والممالك (ص 865) إذ قال: «وطعامهم صفيف اللحم الجاف، مطحونًا يصب عليه الشحم المذاب أو السمن»، مارو: أي الأرز، سواء استعمل مع اللحم أو مع السمك، وقد ذكر الباحث الموريتاني أحمد ولد حبيب الله أن أصول هذه الأكلة ولفية سنغالية (جيب جين أي الأرز و الحوت)، لكن البيضان استحسنوها واستلذّوها ■

إضاءة

الطعام وعيد الفطر عبر التاريخ

مجدى إبراهيم

ارتبط الطعام باحتفالات المصريين بالأعياد، ويسجل تاريخ مصر الإسلامية اهتمامًا ملحوظًا بأنواع الأطعمة والحلوى سواء على الصعيد الشعبي أو على صعيد الحكام.

اهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية؛ وكان يُقام في ليلة عيد الفطر بالإيوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم طوله نحو ثلاثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع تُنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشعبية؛ فإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر فُتحت أبواب القصر والإيوان على مصاريعها وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط وتناولوا من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه.

ويقول المقريزي في خططه عن يوم العيد في زمن العزيز بالله: «. . . ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب والعسكر في زيّه، من الأتراك والديلم والعزيزية والإخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب، وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر، وبين يديه الفيلة وعليها الرجّالة بالسلاح، وخرج بالمظلّة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جدّه فصلّى على رسمه وانصرف».

وإذا ما عاد الخليفة من الصلاة وجد سماطاً آخر، فيجلس وأمامه مائدة من فضة يُقال لها المدوّرة، وكانت تُوضع عليها أواني الذهب والفضة الزاخرة بألوان الطعام وقبالتها سماط ضخم يتّسع لنحو خمسمائة مدعو نُثرت عليه الأزهار والرياحين وصُفّت على جانبيها الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى، وكان يجلس إليه رجال الدولة والعظماء.

وفي الدولة المملوكية كان الناس يسهرون ليلة العيد حتى ساعة متأخرة من الليل في صقل الملابس وإعداد الزخارف، والأهم في الانتهاء من الكعك وغيره من أصناف الحلوى التي يبدأون في صنعها في أواخر شهر رمضان ليتبادلوا بها التهنئة في العيد.

ويبدو أن عادة أكل السمك المُجفّف (البكلاة) في عيد الفطر -التي يعرفها المصريون حتى- الآن تعود إلى الدولة المملوكية إذ عُرف عن المصريين في ذلك العصر تفضيل أكل السمك المشقوق في ذلك العيد.

وكان السلطان بعد صلاة العيد يعود إلى الإيوان الكبير حيث يُمدّ أيضًا سماط حافل، بلغت تكاليفه في بعض السنوات خمسين ألف درهم.

وفي الصباح المُبكّر لأول أيام العيد يجتمع أهل الحي أمام منزل الإمام الذى سيُصلّي بهم صلاة العيد في المسجد، فإذا خرج إليهم زفّوه حتى المسجد وبأيديهم القناديل وهم يُكبّرون طوال الطريق، وبعد انتهاء الصلاة يعودون به إلى منزله على الصورة نفسها التي أحضروه بها.

أما مواطن الأُنس التى اعتاد الناس أن يهرعوا إليها فى الأعياد فأهمها القرافة والنيل، فيخرجون إلى القرافة زرافات ومعهم نساؤهم وأولادهم، أو يقصدون شاطئ النيل حيث يستأجرون المراكب للنزهة، وفى كلتا الحالتين تحدث مفاسد كثيرة تتعارض مع مبادئ الأخلاق والدين، مما حدا بحكومة المماليك إلى المناداة في شوارع القاهرة ليلة العيد بمنع الناس-لا سيّما النساء- من الخروج إلى القرافة وركوب المراكب بالنيل طوال العيد، ويُهدّد مَنْ يفعل ذلك بتوسيطه هو والمكاري والحمار في الحالة الأولى، أو بإحراقه هو والنوتي والمركب في الحالة الثانية! ■

حلويات الأعياد بالمغرب

طقوس احتفالية وأبعاد إنسانية

إبراهيم الحجري*

تحفل المائدة الغذائية بالمغرب بتنوع كبير وغنى مشهود عبر التاريخ. وقد تأتى ذلك، من خلال تعاقب الحضارات على تلك الرقعة الجغرافية، وما استتبعه من تنوع ثقافي، تمازج عبر الأزمنة المتباعدة، في شكل فسيفساء ثقافي وحضاري نادر»1».

وتعتبر الحلويات على أشكالها، محور الجلسة العائلية في الأعياد والمناسبات، رفقة صديقها العتيد براد الشاي المنسم بالنعناع والشيبة والزعتر واللويزة ونوار الليمون وفليو والمعطرشة والسالمية والشوينغوم، وغيرها من النباتات العطرية، مع الحضور الباذخ للصينية وكؤوس البلار وأواني الفضة والنحاس والملابس التقليدية الأنيقة والاستمتاع بالموسيقى الأندلسية... ولا تكتمل الحفلة إلا بذلك. وقد اتخذت صناعة الحلوى أبعادًا رمزية متعددة، فصارت كل جهة تعتز بمنتوجها وتتباهى به، وتتفنن في تطويره وتسويقه، وتحفظ له معاييره الدقيقة التي تميزه عن غيره من الأنواع. ولعل الأمر اللافت بخصوص الحلويات، كونها تمثل الطبق الرئيس الذي تتنافس في إعداده الأسر والعائلات في المناسبات الخاصة والعامة، وبالأخص في مناسبات الأعياد الوطنية والدينية، حيث إن النساء تتباهين في تحضيرها بأرقى المهارات، وبأغلى المواد الغذائية الرفيعة من عسل وزيوت ودقيق وتوابل ومحليات.وبالنظر إلى ما يكتسيه العيد من أبعاد دينية ووطنية وروحانية ووجدانية تهز النفوس للتوق إليها، فإن طقس التحضير لأطعمته وحلوياته يكاد يكون جزءًا من الاحتفاء بهذه الأيام المباركة، وعلى الخصوص، في مناسبة العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى.

لقد تداول المغاربة، عبر الزمان، أنواعًا من الحلويات بفعل تمازج الثقافات، فالمغرب كان دومًا ملتقى للحضارات، ومقصدًا للعابرين إلى أروبا من الشرق ومن إفريقيا، فكان يأخذ منهم عاداتهم في الطبخ والتطبيب واللباس وغير ذلك، ويضيفها إلى خصوصياته المكتسبة، لذلك فقد نجد لمسات كل الحضارات التي تعاقبت على البحر المتوسط، سواء منها تلك الغازية أو تلك العابرة الممارسة للنشاط التجاري... فقد حج الأمازيغ الأوائل، وهم محملون بثقافة الشرق، وبعدهم اليونانيون والرومانيون والفينيقيون والعرب الفاتحون... ولا ننس الأتراك العثمانيون الذين، وإن لم يتسن لهم حيازة المغرب الأقصى، إلا أن صدى ثقافتهم كان يصل عبر بوابة الجارة الجزائر من خلال التبادل التجاري والعلاقات الودية الأخوية»2».

وقد كان نزوح أهل الأندلس واستقرار كثير منهم بالمدن المغربية الشمالية مدعاة لتجسير هذا التمازج وإغنائه بالثقافات العريقة واشتغالها مجتمعة لخلق نموذج مجتمعي منفتح. ناهيك عن المرحلة الاستعمارية التي نقلت إلى المغرب من خلال النماذج الأربعة: فرنسا وإسبانيا والبرتغال وإنجلترا، نسغ الثقافة الغربية. كما أن المغرب كان دومًا منفتحًا على الثقافات الإفريقية جنوب الصحراء، وكانت التبادلات التجارية والاقتصادية دومًا قائمة. بالإضافة إلى أن الموقع الجغرافي الاستراتيجي للمغرب كصلة وصل بين إفريقيا وأوروبا من جهة، وكونه موقع عبور إلى أرووبا من جهة أخرى، وإطلالته القريبة على ما يجري فيها، من جهة ثالثة، بوأه مكانة متميزة هيأت له الاحتكاك بكافة الحضارات والهويات الثقافية العالمية شرقا وغربا.

طقوس ومكونات

تمنح النساء ومعهن صانعو الحلويات في المخابز والمحلات التجارية المتخصصة، أهمية قصوى لطقس تحضير الحلويات... إذ تحتاج صناعتها وقتا طويلا، وانتقاء جيدًا ودقيقًا للمواد

البلدية الأصيلة من عسل وبيض بلدي وتوابل وأصباغ عشبية ومنسمات وبهارات عطرية، ودقيق خالص بجودة عالية ومواصفات متميزة، ومنها ما يحتاج التّحضير قبل الشّروع في إنتاجها قبل أيام.

تتكون الحلويات المغربية أساسًا، من الدقيق الخالص كنواة صلبة للعجين، بينما تشكل المواد الأخرى المضافة، سر الاختلاف على مستوى المذاق والنسمة واللون والمظهر الجمالي، مثل العسل والبيض البلدي، والشوكولاتة بأنواعها، والزيوت، والبهارات والمنسمات العطرية، وبعض الفواكه الحلوة مثل اللوز والجوز، والتين المجفف، والتمر، والكاكاو، وغيرها «3».

ومن أشهر أنـواع الحلويات التي تهيأ للاحتفال بالعيدين بالمغرب، وهي كثيرة جدًّا، نذكر»4»:

■ السلو، روح رحلات القوافل

تعدّ حلوى السلو، أساسا، من المكسرات وبعض الفواكه الجافة وكثير من المنسمات العطرية كالزنجلان واليانسون وزريعة الكتان. استخدمه الناس قديماً في رحلات القوافل التجارية ورحلات الحجاج والجيوش المغربية في العهد المرابطي، لما له من قدرة على الحفاظ على الطاقة الغذائية لفترات طويلة، ولما له من ميزات في مقاومة الظروف الطبيعية دون أن يتعرض للتلف أو الفساد. يمكن تقديم السلو في صحن كبير وتزيينه باللوز والجوز الهندي والسكر. وهو من الأطباق الأساسية التي تقدم في العيدين. كما يقدم في المناسبات العامة والخاصة في صحون صغيرة مرفقاً بالشاي المغربي.

■ المحنشة، مغربية صرفة

حلوى مغربية صرفة ذات شعبية في مطبخ الحلويات المغربية، وهي ذات مذاق ومنظر جميلين، تتعدد مراحل إنتاجها، مثلما تتعدد أشكالها ومذاقاتها. وقد تختلف طريقة التحضير والإنتاج من منطقة إلى أخرى، إلا أنها تعتبر من الحلويات المغربية التي تتميز بصعوبتها وتنوع مقاديرها.

■ الفقاص، زميلة الشاي المنعنع

هو كعكة جافة مشهورة بالمغرب، تصنع من البيض، والسكر، والدقيق والخميرة، ويمكن أن تضاف إليها

مكونات أخرى كالفواكه المعسلة والحليب واللوز أو الزبيب وبعض الفواكه المجففة والسمسم (الجلجلان) والينسون. تحظى هذه الكعكة بشعبية كبيرة في المغرب بسبب مكوناتها التي تعد في متناول جميع فئات المجتمع. وتُقدم عادة مع الشاي المنعنع والقهوة والعصائر.

■ الشباكية، من أقدم حلويات المغرب

سميت بالشباكية استيحاء من شكلها المشبك بعناية، وتطلى بحبات السمسم والعسل. وهي حلوى رمضانية بالأساس، لا يخلو منها بيت مغربي في شهر رمضان ومناسبة العيدين، وغالبا ما يتم تناولها بالشاي المنعنع أو بالحريرة الساخنة. وتعتبر الشباكية المغربية من أقدم الحلويات المعروفة في المطبخ المغربي. وهي تشبه، إلى حدّ ما، الحلوى المعروفة في المشرق والمغرب بالزّلابية.

■ الغْرِيبة، تجمع بين المغرب وتونس والجزائر

تعرف في المغرب وتونس بـ«غْرِيبَة»Ghraïba، والجزائر بـ«غريبية» (Ghribia) وهي من الحلويات المغاربية المعروفة، خصوصا في المغرب والجزائر وتونس. تحضّر عجينة الغريبة بخلط الطحين مع السكر، خميرة الحلوى، الزيت، السمن والفانيليا. تُقطّع العجينة وترصّ في قوالب للحصول على عجينة منقوشة ثم تخبز بالفرن، وبعدها تزيّن بالفستق أو اللوز، أو تكور في الكوك أو السمسم.

■ القريشلات، صغيرة واقتصادية

هي أصغر أنواع الحلوى المغربية مربعة الشكل بحجم حبة الفول السوداني، ويصنع منها الكثير لتوضع على طبق المائدة مع صينية الشاي. وتحضر كثيرا في عاشوراء، ويتم تحضيرها في المنزل أو شرائها، وتعتبر حلوة الكعيكات أو القريشلات حلوى في متناول جميع الناس، حيث أن مقاديرها اقتصادية وطريقة إعدادها سهلة. ويتم إعداد القريشلات محلاة أو مالحة حسب الاختيار.

■ المصابّان، الجمال أولًا

تتخذ شكلا جميلا، على شكل وردة، ولكن اللوز هو مكوّنها الأساسي، أشكال هذا النوع من الحلويات تبدو رائعة تجعل متلقيها يتساءل عن السر في كيفية تحضيرها بذلك الشكل الرائع والمتناسق والمعقد.

■ البشكيطو، حلوى المدن العتيقة

تتخذ أشكالا مختلفة، حسب المناطق، وهي حلوى من نوع البسكويت، بسيطة وقديمة ومعروفة لدى أجيال قديمة، خصوصا أطفال الأريـاف، وفي الأسـواق الأسبوعية الشعبية وفي القرى والبوادي وحتى المدن الشعبية العتيقة، أنتجتها كذلك شركة بيمو التي اشتهرت بها في فترة من الزمن في عدة مناطق بالمغرب العربي.

■ الغراف، زميلة شاي المساء

حلوى تشتهر بها البيوت المغربية، وتجهز من الدقيق والماء والملح وقليل من السكر، ثم تورق وتطهى في آنية تسمى الغراف المملوء بالزيت، وبعد الطهي ترش بالسكر صقيل تقدم مع الشاي في المساء .

■ البهلة، لا يخلو منها بيت مغربي

من أقدم الحلويات المغربية ولا يخلو بيت من البيوت المغربية منها خاصة في الأعياد. وتتكون من الدقيق والسكر الصقيل وتجمع بالزيت وتصنع منها كويرات وتطهى ■

* باحث من المغرب

هوامش:

- معلمة المغرب، مادة المطبخ المغربي، موسوعة من إعداد الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، الطبعة الأولى 2003، ص. ص. 5720- 5724.

2 - Mustapha El kasri et Hassan Sqalli: la grande encyclopédie du Maroc, culture, arts et traditions, volume 2, copyright 1987 GEI, imprimé en Italie, Italie, Cremona, bergamo. Distribution exclusive par GEP. P. 209.

3 - نادية مكوار: سلسلة المائدة المغربية التقليدية والعصرية، الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الأحباس الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1997م، من ص. 6 إلى ص. 111.

4 - اعتمدت مجموعة من المطبوعات لتجميع المادة، وهي مبثوثة في مواقع كثيرة عبر البوابة الالكترونية العالمية والموسوعات الرقمية، ومنها: شميسة المغربية، رشيدة امهاوش، رشيدة رفهي، وغيرها.

موزيدو وبانكاريه

نجوم المطبخ الأفريقي في العيدين

عمرو منصور

يشكل الطعام جزءًا من الهوية الثقافية والاجتماعية للشعوب ويحتفظ المسلمون في دول أفريقيا جنوب الصحراء، بتنوع كبير في الطعام المتعلق بعيدي الفطر والأضحى.

هنا إطلالة سريعة على المطبخ الأفريقي لنتعرف على أجوائه، ونحاول حل شفرته الغذائية في العيدين.

في ساحل العاج بمجرد العودة من صلاة عيد الفطر تتعالى أصوات الدجاج الذي يجد طريقه إلى المطبخ وسط ضحكات الصغار الذين يستمتعون بمشاهدة ذبحه وطبخه، يمر الوقت والجميع ينتظر، رب الأسرة وأصدقاؤه والأبناء والأحفاد، وإذ بالدجاج يخرج على الصواني تتابعه العيون كأحد نجوم السينما رفقة الأرز الأبيض، والحساء (الشوربة)، ليجلس الجميع لتناول الطعام في ثلاثة أقسام، رب الأسرة وأصدقاؤه وزملاؤه، وركن للأبناء والأحفاد وركن للنساء والفتيات.

بعد هذه الوجبة الشهية ينطلق الصغار إلى المحلات لشراء الحلويات بينما يشرب الكبار المشروبات الطبيعية وفي مقدمتها الكركديه والزنجبيل والتمر الهندي بجانب المشروبات الغازية.

انتظر لا تذهب، فالأمسية في العيد ستكون أكثر روعة مع «فوتو بانن»، إنه وجبة شهية مكونة من عجين الموز المخلوط بقليل من الماء والملح ومرقة السمك أو اللحم.

أما في عيد الأضحى، فقبله بنحو أسبوعين تشتري كل أسرة بقرة أو خروفًا، وقبل صلاة العيد تأكل الأسر وجبة خفيفة من البيض المقلي وخبز «الباجيت» (يشبه العيش الفينو) الضخم مع مشروب القهوة وبعد الصلاة تبدأ مراسم ذبح الأضاحي.

الكبد لرب الأسرة

هنيئًا لك لو كنت رب أسرة في ساحل العاج، لأنك ستأكل كبد الأضحية بمفردك بعد امتناعك عن تناول الطعام منذ صلاة الفجر وحتى العاشرة صباحًا. أما باقي أفراد الأسرة فيأكلون الأرز الأبيض مع نصف الأضحية المطبوخ ومرقها، ويُغلى نصف الأضحية الآخر في الزيت ثم يتم حفظه مجمدًا ليفطروا منه يوميًا لمدة 4 أشهر تقريبًا.

سناسر وبامية مطبوخة

قبل أن نحاول اكتشاف أسرار الأكلات في نيجيريا، هل أكلت سابقًا فطيرة «سناسر» أو «كيسري»؟ إنها فطيرة مصنوعة من دقيق الأرز وأشبه بالفطير «المشلتت» في مصر. إن كانت إجابتك بـ«لا» فتأكد إن كنت جارًا لأحد مسلمي شمال نيجيريا فسوف يأتيك بها كهدية في صباح عيد الفطر، فمن العادات هناك تبادل الأطعمة في العيد بين الجيران والأقارب.

وبفطيرة «سناسر» ستأكل البامية المطبوخة إلى جوار اللحم أو الدجاج المحمر المغطى بالصلصة، وبعد هذا الإفطار الدسم يأتيك طبق آخر لذيذ من كيك CHIN CHIN المصنوع من دقيق القمح، وحلوى «دبلن» التي تُشبه ما يُعرف في مصر بـ«المشبك» وهو حلوى تصنع من الدقيق والسكر، أما المشروبات فسيكون الكركديه على رأس المائدة، ومعه المشروبات الغازية.

الـ «دندرو» يثير الذكريات

لا تحاول أن تفكر في ماذا ستأكل في عيد الأضحى، «دنـدرو» اسم كاف وحده لأن يحرك فى ذهن أى مسلم نيجيري مغترب ذكريات تستفز معدته، إنه خروف الأضحية المشوي داخـل فـرن من الـطـوب، وهو الوجبة الرئيسية في عيد الأضحى، حيث يؤخذ الخروف «رجو» بعد ذبحه إلى الفرن، وبعد الشواء يؤكل منه في اليوم الأول الكبد والأمعاء وباقي الأحشاء، ويترك لحمه لتناوله في اليوم التالي. أما قبل صلاة العيد فلا طعام غير بعض التمرات.

أما في بوركينا فاسو، «موزيدو» هو كلمة السر بين جميع مسلمي البلاد بعد أدائهم صلاة عيد الفطر سواء كانوا فقراء أو أغنياء، ففي القرى يجتمع أهالي كل قرية في منزل شيخها في أماكن مخصصة للرجال وأخرى للنساء وفي المدن تجتمع كل أسرة بمفردها في منزلها ليأكلوا «موزيدو»، إنه وجبة الأرز الأبيض مع مرق الدجاج أو اللحم.

زومكوم» مشروب الطاقة طول اليوم

ربما يمكننى عمل إعـلان جيد عن هذا المشروب، «زومكوم» مشروب الطاقة طول اليوم، يساعد على تنشيط الدورة الدموية ويمنحك الحيوية اللازمة لاستكمال يومك فـ«زومكوم» مكون من خليط الذرة الشامية مع الزنجبيل والتمر الهندي والسكر.

بالنسبة لعيد الأضحى فلديك فرصة ذهبية أن تحتفل به مرتين! فتأكل من الأضحية و»موزيدو» حتى الشبع، لأن أغلب أهالي القرى على مستوى عموم البلاد لا يأكلون من الأضحية في اليوم الأول، ويكتفون بأكل طعامهم اليومي العادي، وهكذا يمكنك إن كنت من سكان القرى أن تذهب في أول أيام العيد لأقرب مدينة وتشارك أقاربك أو أصدقائك طعام الأضحية، ثم تعود في اليوم التالي لتأكل منها فى قريتك والعكس يمكنك القيام به إن كنت من سكان المدن.

وبعيدًا عن الروحانيات العالية الموجودة لدى مسلمي النيجر، يجدر بك إن زرتها يومًا أن تفكر بعد صلاة عيد الفطر ماذا سيكون طعامك، فربما تفضل أن تأكل piltabe وهو نوع من الطيور يشبه الدجاج، يتم شويه، وهو الوجبة المفضلة لإكرام الضيوف، أو لعلك تفضل أن تأكل مثل بعضهم السمك.

وإذا صادف قدوم عيد الفطر الأيام الأولى لعروس جديدة فـإن أهـل الأم يذهبون بالفراخ الحية إلى بيتها فى ليلة العيد كهدية لتطبخها وتأكل منها خلال أيامه.ولو كان نصيبك زيارة أسرة غنية في صباح عيد الفطر فسيكون من حسن حظك مشاهدة حفل باربكيو barbecue أفريقي، حيث تمضي الأسرة طول اليوم في شي الدجاج والماعز والأغنام على الحطب.

يبدو أنـك أديـت صـلاة عيد الأضحى، وتشعر بالجوع، انتظر معنا لتنال نصيبك من «بانكاريه» البقرة أوالخروف المشوي. فبعد الصلاة يتم ذبح الأضاحي سواء كانت بقرًا أو خرافًا وتنصب كل مجموعة من الأسر هذه الأضاحي فى مكان مشترك على أعمدة خشبية ليتم شيها على الحطب، فترى بعينيك «بانكاريه» وهو يتصبب دهنًا على الحطب المشتعل. وإذا كنت ممن لا يأكلون من الأضحية غير اللحم فإن الجوع سيشتد عليك حيث لا يأكل أهالي البلاد في اليوم الأول من العيد غير أمعاء الأضحية وكبدها وحواشيها، وأما اللحم فإنه يؤكل في اليوم الثاني. وبعض اللحم يتم تجفيفه في الشمس ليأكلوا منه بقية العام.

حلوى الكاكي

ملمحًا من المطبخ الشرقي ربما سنجد له أثرًا في الحلوى ، فالنساء يقمن بإعداد حلوى «ألكاكي» أو «جريبة»، وهى أقراص مدورة صغيرة ، مصنوعة من دقيق القمح أو الذرة الشامية وكثير من السكر وتشبه «الغريبة» فى مصر. أما بالنسبة للمشروب المفضل فهو الكركديه بالزنجبيل.

التجمع حول «والي» أو «كلاو»

تبدو الأجواء الاجتماعية شديدة الحميمية في تنزانيا، فبعد صلاة عيد الفطر سواء فى القرى أو المدن يجتمع الأصدقاء والأقارب فى بيت واحد منهم، ليس شرطًا أن يكون غنيًا أو من كبراء الحي، ليتجمعوا حول «والـي» أو «كـلاو» أشهى أكلاتهم، وهى تشبه «الكبسة» الخليجية، فصينية الأرز تحتوي الماعز أو الخروف أو الدجاج تحيط به شرائح البصل والطماطم. هذا ليس كل شيء فهناك أيضا «شافاتي» وهو فطير يشبه الفطير «المشلتت» يؤكل به اللحم أو اللبن.عند حلول عيد الأضحى وبعد أداء صلاة العيد سرعان ما تتحول الأضحية في عملية تجهيز سريعة إلى «كلاو»، وكأننا أمام تزيين عروس، لكن أمسك خيالك فأنت لن تتذوق الأضحية مباشرة بعد الصلاة بل ستفطر بحلوى فيشتي وهي حلوى مصنوعة من دقيق القمح والسكر تشبه الكعك على شكل رقم 8 بالإنجليزية، كما ستتناول فطائر «شافاتي» أو «مندازي» المصنوعة من دقيق القمح، والمغطاة بالسكر، وذلك حتى يأتي موعدك في الظهيرة للقاء أضحية «كلاو» مع قطع الموز، وبعد الانتهاء من طعام الغداء، سيتاح لك أكل الفواكه المختلفة وشرب عصيرها.

«والي رادي» في بيت رئيس الحي

«والي رادي» هذا ليس اسم ممثل هندي بل هو أرز بالفاصوليا باللغة السواحيلية، الأكلة المفضلة لمسلمي بورندي بعد صلاة عيد الفطر، حيث يؤتى بالأرز الأبيض مع الفاصوليا على الصواني، ومعهما قطع لحم الماعز أو الخراف.

يجتمع بعض الناس لتناول والي رادي صباح العيد في بيت رئيس الحي أو شيخ القرية، والبعض يفرشون الموائد في الشارع، وبعض الأسر تأكل في منازلها، وبعد هذه الوجبة يشرب الأهالي «بالاف» وهو عصير الفواكه بجانب المشروبات الغازية.

وعندما يهل عيد الأضحى، وعقب الانتهاء من الصلاة وذبح الأضاحي يكون «كلاو» هو نجم الحدث داخل المنازل، وهو وجبة الأرز باللحم والبصل يشبه «الكبسة»، بجانب أطباق أخرى من اللحم المشوي والمطبوخ، تكون حاضرة في حفلات الأكل الجماعي بمناسبة العيد والتي يتجمع فيها الجيران والأصدقاء والأقارب. أما إن كنت ترغب في أكل بعض الحلويات، فعليك بفطيرة «مندازي» ■

الزين شدّوا له مناحيف

رحلة المقيظ تلهب خيال الشاعرتين

عفراء بنت سيف وعوشة بنت خليفة

يحكيها أبو خالد

في العدد السابق كنا مع حكاية الشاعر عبيد بن نيبلا وقصيدته في رحلة المقيظ من أبوظبي إلى واحة العين في الزمن الماضي. وقد مثّلت هذه القصيدة مادة خصبة لكثيرٍ من الشعراء لمجاراتها، والتفنن في وصف تلك الرحلات الصيفية من مدن الساحل حتى وصولها إلى واحات المقيظ سواءً كانت مدينة العين، أو غيرها من المصايف الجميلة في مختلف مناطق الإمارات مثل كلبا ودبا والذيد وفلج المعلا وحتا وخت وكثير من المناطق والواحات المشهورة بجوها ونخيلها ومياهها العذبة. أو ربما مناطق سلطنة عمان الشقيقة، والتي تكون في العادة قريبة من أراضي الامارات مثل مناطق الباطنة كصحار وشناص والأسرار والدوانيج، أو رؤوس الجبال مثل خصب وما حولها. وقد قامت الشاعرة عفراء بنت سيف المزروعي من أبوظبي متوفاة عام 1990م، بمجاراة قصيدة بن نيبلا تلك التي قال فيها:

بستان قــلبي صــابه الهيف حت اورقه من روس الأغصـان

الخ القصيدة .....

فقالت له:

قيظ الجزيرة هب عـلى الكيفْ عسى يشلنا عـــالي الشـــانْ
البارحه مـــن نـــومي مْعيف ما غمّضَت بالـــــنوم الأعْيـان
يا احمد لنا قْلوب مـــــهازيف على بْكراتٍ حـــول وسْمـــان
نبغي ديارٍ عن هوى الســـيف بْعيد ولها الـقلب شفـــــقان
انته ذرى حـق الذي مْـــخيف ولنا ذخر في طول الازْمـــــان
ترخص لنا بو خـدّ رْهـــيف ويـموت لي حاسد وشـــمتان
ل»عبيد» انا با ردّ تعـــــريف جيلٍ مْعرّب صـــافي الحـــان
من يوم قرّب موسم الصـــيف عنّا الغـضي نوّى جـــــدا عمان
من بـــو حيايينٍ معـــاطيف لْنا ذخر عن كـل مـــن كـــان
لي من خلج مكتنّ مـــا شيف عـوده بْغايـــات الصـــبا زان
لـــه قرّبوا حـولٍ منـــاحيف لي زاهـــيات بْرقْم لبْـــطان
بـــرْقوم وبْيودٍ مـــراضيف اللّي زهن به بيـن الأظْعـــان
حـــيّل ولا ينّك منـــاكيف ولا ياهـــن الـــدلاّل باثْمان
يوْطن على روس المـشاريف والـــزين متنومس وطـــربان
من روّحوهن من «بدع سيف» قصّن عـــراجيبٍ ونقـــيان
قم يا الكري ردّ المـــخاليف لي يرتعن وين العـــشب زان

يوّد لـــــــه بْيودٍ مخـــافيف ونوّخ بهم والفجر قـــد بـــان
صـــــلّوا وهبّتهم مجـــــاذيف شرتا الصـــــبا يـــزغاه ذنّان
وان صبّحوا بسْوَحـهم تْغيـــف غيّه وثـــار البـــخش دخّان
صبّح وســـــوّت داره رْييف صبّح «يفن» مـــن زد الاوْطان
حلو المـــقفّى والتـــواصيف صبّح دهـــاريزٍ وعـــرشان
لي مثلهم مـــا يلـــحقه هيف اللّي مقيّظ وســـط حيشان
«سالم» ركض بْغير تصـــريف بيْخـرف بكْسٍ هـــوب عـوّان
ما جا رطبهم فـــي المخاريف في سْفوف مع لـــومي ورمّان
وين الفلي سوّى لـــه وْحيف على العـــواضد شـــبّ بستان
شرجي المنـــامه عودٍ مْنيف عودٍ ركز فـــي ســـبعة افنان
وإن هبّ شرتا الكوس لـمْريف يْجيب لـه م الجتّ ريـــحان
وان كان قـــولي فـــيه تزييف زلّيت وابْغي منك ســـمحان

مجاراة عوشة بنت خليفة السويدي «فتاة العرب»

أما الشاعرة الكبيرة عوشة بنت خليفة السويدي، فردّت عليه بقصيدة مختلفة الفكرة، فبدلاً من وصف رحلة الذهاب، تصف عوشة رحلة العودة وهي رجوع المصطافين من مصيفهم إلى المدن الساحلية، وكيف كانوا لا يعبرون المقطع بإبلهم، بل يذهبون الى منطقة « اليسرة» في جنوب المقطع وهناك يتركون الإبل ويودعونها ليركبوا المراكب ليصلوا إلى منازلهم وأحبابهم، والذين لم يسعفهم الحظ بالذهاب معهم في رحلة المقيظ هذه.

وتصوّر الشاعرة عوشة مظاهر فرح العودة على وجوه القادمين والمستقبلين لهم، وكيف كانوا يرفعون أعلام الفرح، استبشاراً بهم بعد سفرهم الشاق هذا.

وأهم ما جاء في رد الشاعرة عوشة بنت خليفة هو ذكر طريقة الوصول إلى أبوظبي بطريقةٍ أخرى، وليس عن طريق عبور بحر المقطع.

والحقيقة أنها سجّلت بذلك شهادة حية لبعض وقائع التاريخ الاجتماعي، والحياة المجتمعية العامة لأهل المدن الساحلية في الماضي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

تقول عوشة بنت خليفة السويدي في قصيدتها:

يا هالبٍ لي مـــر بالـــــسيف ... تيك المزامل تضرب اعـــــلان
الحمد لله يت عـــــلى الكيف ... فـــنّ وطماشه هين واسفـــان
يَ اهل الهجاهيج المـــكاليف ... لي فـــــوقهن رقـــمٍ ونيشان
ردوا وصـاتي دون توجـــــيف ... وتْحمّلوا يا ركـــب باحســـــان
مني عـــلى الشـــاعر مراضيف ... ذمٍ ولا فـــــي الجـيل حقـران
زاد الحيا ولو عـــقله ضـعيف ... ولا خالطه في العـرف نقـصان
الزين شدّوا لـــه مـــناحيف ... يومٍ نوى بادي مـــن عـــمان
ما خاطروا به فـــي المصاييف ... عزيز قدره هـــوب بـــثمان
يمر ويحظوا لـــه كـــلاليف ... خدّام في الشـوفه وعـــوّان
ولا في مواجـــــيب التشفّيف ... ولا كظّهم م الوقت قصـــران
لي يكرمون العـاني الضـــيف ... بسْفوف فيها تـــظهر الـــوان
عتـــــبار ودلال المـــواذيف ... شروات نـــور الصبح وان بـان
ونجرٍ يصوّت فـي المـشاريف ... ويـشلّد الســـــحاب الاردان
مرّوا على «اليســـره» مزاريف ... يوم اذكروا في المقطع أمـحان
في خنّ ساعي سيره مْـــريف ... يسقاه شـــرتا الكـــوس ذنّان
طيّر نْشوره في الـمخاطـــيف ... وتباشروا به ســـكن لـــوْطان ▪

الطريق إلى المياه الدافئة «روسيا والخليج العربي»

د. وائل إبراهيم الدسوقي

يعود الاهتمام الروسي بمنطقة الخليج إلى عهد روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر، حينما تردد في البلاط الروسي ما عرف بنظرية «العظمة»، التي كان مفادها أن من يسيطر على (قلب أوراسيا) يضمن السيطرة على العالم. بيد أن تلك النظرية لم تتحقق، إذ أن التوسع باتجاه وسط آسيا لم يحقق حلم الروس بالوصول إلى المياه الدافئة بأي حال من الأحـوال. إلا أن العلاقات الروسية ببلدان الخليج اتسمت بالدفء في الفترة من (1898 - 1903)، فقد تبين من وثائق أرشيف البحرية الروسية أن الشيوخ بدورهم أبدوا اهتماما كبيرا نحو روسيا وإمكانياتها، وكانوا ينظرون إليها كحليف قوي لهم. في الوقت نفسه كانت المشاكل تتفاقم بين الخليج من ناحية وكل من تركيا وبريطانيا من ناحية أخرى. وقد تحدث المستشرق الروسي «أناتوليفيتش ريزفان» في كتابه «السفن الروسية في الخليج العربي» عن ذهاب سفنها الحربية إلى الخليج، وكيف وجدت تلك البقعة اهتماما من الروس، مواطنين وعلماء. وكيف أن عالم الحيوان الروسي الشهير «نيكولاي بوجوياولنسكي» زار هذه المنطقة عام 1902، لدراسة حيوانات الخليج البرية، وتصوير أول فيلم وثائقي عنها للاستفادة منه في أغراضه العلمية، وحظي بمقابلة الحكام المحليين الذين أعجبوا به وباهتمامه بهم، فسهلوا مهمته وحققوا له سبل الراحة بشراء منزل في البحرين ليسكنه وعينوا فيه من يخدمه. وبعد مدة تم الإعلان عن استخدام هذا المنزل كمقر دائم للروس القادمين إلى البحرين. وقد ساهمت جولته في توطيد أواصر الصداقة بين الشيوخ والحكومة الروسية، حتى أن القنصل الروسي «أووسينيكو» أرسل رسالة إلى «فيصل بن تركي بن سعيد» السلطان الخامس لمسقط وعمان في عام 1902 يشكره فيها على مساعداته لرجلهم، ويتضح خلالها أن «بوجوياولنسكي» كان يرسل للقنصل تقارير عن جولاته، يوضح فيها نتائجها ومدى تعاون الشيوخ معه.

وعلى الصعيد السياسي، بدأ اهتمام روسيا بالخليج العربي يزداد تدريجيا منذ مطلع القرن العشرين، فافتتحت قنصليات روسية في المراكز الواقعة على سواحل الخليج كالبصرة وجدة وبوشهر، وأرسلت السفن الروسية الحربية إلى موانئ المنطقة بهدف رفع هيبة الإمبراطورية الروسية. وقد كتب «بوجوياولنسكي» في مذكراته اليومية أن هذا الخطوة السياسية تركت انطباعا لا يمحى لدى السكان العرب المحليين، فقد انزعجوا على مدى سنوات كثيرة من استبداد بريطانيا، ورأوا في روسيا قوة عظمى جبارة، قادرة على دعمهم. وهكذا اكتسبت رحلة عالم الحيوان الروسي إلى جانب أهميتها العلمية أهمية سياسية مهمة. وهناك وجهة نظر يتداولها البعض تدور حول رغبة الحكومة الروسية الملحة آنذاك في أن تظهر للشيوخ العرب الذين يسيطرون على سواحل الخليج العربي، مدى رقي الإنسان الروسي وحسن نواياه تجاههم، ولذلك أرسلوا «بوجوياليسنكي»، الذي يعد «صورة نموذجية» لطبقة المثقفين الروس. ولهذا أظهرت وزارة الخارجية الروسية في حينها الدعم الكبير لبعثته العلمية.

وبقراءة متأنية للوثائق البريطانية، كأوراق شركة الهند الشرقية، ولجنة البرلمان البريطاني لشؤون الهند، ومراسلات مكتب الهند، يتضح مدى انزعاج بريطانيا من محاولات روسيا مد نفوذها في الخليج العربي، فتعددت المراسلات بين اللورد «كرزون» حاكم الهند والحكومة البريطانية في الفترة من (1901 – 1903) بشأن النشاط الأجنبي في الخليج العربي والإجراءات الواجب اتخاذها للحفاظ على المصالح البريطانية، ومن أهمها رسالته في ٩ نوفمبر ١٩٠١، بشأن نية روسيا إنشاء خط سكة حديد عبر بلاد فارس، ومخططات روسيا في الخليج العربي، بالإضافة إلى محضر اجتماع كتبه اللورد بنفسه عن الطموحات الروسية في شرقي بلاد فارس والخليج العربي، وكان منزعجا فيه للغاية. على أية حال، استمرت العلاقات بين شيوخ الخليج والإمبراطورية

الروسية في حال شبه مستقرة، لا يشوبها أي أزمات تستحق الوقوف عندها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد كانت روسيا ضمن قوات الحلفاء (الوفاق الثلاثي) الذي ضم كلاً من المملكة المتحدة وفرنسا والإمبراطورية الروسية. ولكن مع قيام الثورة الروسية عام 1917 بدأت نظرة الخليج للروس تتغير نظرا للاختلاف الأيديولوجي بين فكر الاتحاد السوفيتي الشيوعي الجديد والأديان.وحينما تغيرت معادلة الصراع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الاحتواء، التي تصدت، ضمن مسائل أخرى، لمحاولات التمدد السوفيتي باتجاه المياه الدافئة، ومثلت منطقة الخليج العربي الجناح الجنوبي للحزام الشمالي الذي أقامه الغرب في وجه السوفيت. ولعبت الولايات المتحدة على وتر عداء الأيديولوجيا الشيوعية للأديان، فبدأت تدعم الحركات المسلحة الإسلامية في وسط آسيا، وكان ذلك مفتاحا جيدا لتكوين صداقات مع العرب. فتنبه السوفييت إلى هذا الخطر، وشرعوا مرة أخرى في تقديم المصالح السياسية كأولوية على المسائل العقدية عقب وفاة ستالين عام 1953 ومجيء خروتشوف. في الحقيقة كانت الأوضاع المحلية في خمسينيات القرن العشرين بالخليج العربي معقدة مثقلة بالمشاكل، ويكفي أتفه الأسباب ليؤدي بالمنطقة إلى مجزرة، وأصبحت مشكلة البريمي وقضية عمان الثائرة تحملان في طياتهما شرارات كان العالم يفضل أن يراها تخبو وتنطفئ، غير أن القومية العربية التي أتت رياحها من القاهرة ودمشق وبغداد كانت تلفح هذه الشرارات وتزيدها اشتعالا، في محاولة للقضاء على الوجود الغربي في الخليج، واعتقدوا أنهم أولى بخيراته من الأجانب. وعلى الرغم من جدار فقدان الثقة الذي كان منيعا بين القوميين والولايات المتحدة التي عجزت في تعاملاتها مع الشرق العربي الحديث، إلا أنها احتفظت بمركز مرموق في الخليج. مما اضطر روسيا إلى تحديث طريقة عملها فى المنطقة، فعملت على مد نفوذها إلى العراق لكي تستطيع نقل العدوى الشيوعية إلى كل بلدان الهلال الخصيب المجاورة، فيصبح في إمكانها أن تسيطر على كافة مرافئ الخليج والمتوسط الشرقي.

وفي عام 1979، مثَّل الغزو السوفيتي لأفغانستان ذروة محاولات موسكو للوصول إلى تلك المنطقة، وقد انتهت الحرب في عام 1989 وقد فترت العلاقات بين روسيا والخليج وأصبحت هامشية، نظرا لرفض دول الخليج للغزو الروسي من ناحية، وانشغال روسيا في إخراج اقتصادها من دوامة الانحدار التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى. ومع بداية تسعينيات القرن العشرين أطلقت موسكو مبادرات دبلوماسية عدة لتعزيز روابطها السياسية والاقتصادية مع مجلس التعاون الخليجي، إلا أن الفتور الذي سببته شكوك روسيا في أن الخليج يتعاطف مع مجاهدين بارزين في الحركات الانفصالية الشيشانية جعل العلاقات تضطرب أكثر، حتى أقرت دول الخليج بأن أزمة الشيشان قضية روسية داخلية يتعين تسويتها بموجب التشريع المحلي. وبدأت العلاقات الروسية الخليجية تأخذ دفعة قوية نحو التطور في عام 1996، عندما تقلد «يفغيني بريماكوف» وزارة الخارجية، والمعروف بميوله العربية واعتقاده الراسخ بأهمية الخليج بالنسبة لروسيا، ومنذ ذلك الحين توسعت العلاقات بطريقة لافتة، وهكذا وبكل ما سبق نكون بذلك قد استطعنا قدر الإمكان وضع أيدينا على خلفيات مساعي الاقتراب الروسي الراهن من دول الخليج العربي ■

قراءات مهمة:

- رسائل المقيم السياسي الروسي «أووسينكو» إلى سلطان بن تركي المحفوظة بهيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلطنة عمان.
- يفيم أناتوليفيتش ريزفان، السفن الروسية في الخليج العربي، موسكو 1990.
- محمد زين العابدين أحمد، العلاقات الخليجية الروسية، بيروت: مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط، 2015.
- جان جاك بيريبي، الخليج العربي، بيروت: المكتب التجاري للطباعة، 1959.
- رسائل وتقارير نائب الملك البريطاني وحاكم الهند اللورد كرزون إلى الحكومة البريطانية، والمحفوظ نسخة منها في الأرشيف القطري بعنوان:

Précis of Correspondence on International Rivalry and India ,1905-British policy in the Persian Gulf, 1872 Office Records, Private Papers, In: Qatar National .Archives: IOR/L/PS/20/C247

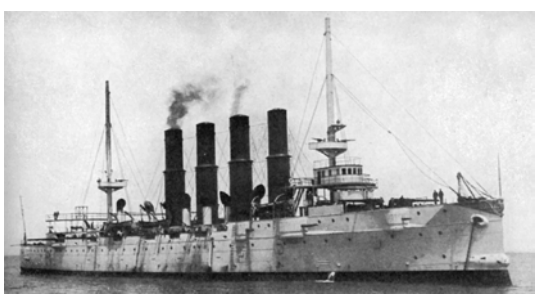

صاحب أول قصيدة لتحية العلم

سعيد بن ماجد بالعنصا

الشاعر الضرير

د. راشد المزروعي

■ في هذا العدد أخواتي واخواني الأعزاء، تعالوا معي نستمتع بسيرة نموذجٍ مختلف من شعرائنا الشعبيين. مع شاعر أخذ الله منه نعمة البصر وأعطاه نعمة البصيرة، مع شاعرٍ تحدى الظروف والإعاقة البصرية، بقلبٍ بصير وروحٍ عصامية وبهمةٍ عاليةٍ لم تؤثر عليها علّة العمى التي حرمته من نور الدنيا. إنه الشاعر الكبير سعيد بن ماجد بن راشد بن عامر بالعنصا المديهمي المنذري المنصوري من أبوظبي. ولد شاعرنا سعيد بن ماجد بالعنصا، والذي جرت العادة على مناداته كذلك، في محضر «الثروانية» في ليوا بالمنطقة الغربية من أبوظبي، عام 1928م تقريباً، كما يقول رحمه الله عندما قابلته في منزله عام 2006م، في منطقة «الشامخة»، القريبة من بني ياس وهي من المدن الجديدة، خارج الجزيرة الأم أبوظبي.

ينتمي شاعرنا سعيد بن ماجد إلى قبيلة المناصير الكريمة، فوالده سعيد بن ماجد بن راشد من طائفة «المداهمة» فرع آل بومنذر من قبيلة المناصير. أما أمه فهي منصورية أيضاً، وله من الأخوة أخ يدعى محمد يكبره سناً، وقد توفي قبله منذ سنوات، وخلف عدد من الأبناء، وكذلك له أخت واحدة.

لقب بالعنصا

يلقّب شاعرنا سعيد بن ماجد، بلقب «بالعنصا»، ولما استوضحتُ منه عن سبب نعته بهذا اللقب، قال لي:» إن اللقب هذا اكتسبه من

والده «ماجد».» ويقول إن والده كاني يعاني من وجع عصب في رقبته، وقال لي: «ضرَبه عرج في رقبته يوم هو شباب، ولم يستطع علاجه، مما سبب له ضموراً في رقبته، فقام الناس بتسميته ومناداته «عنصوه» و»راعي العنصا»، حتى استمر معه هذا اللقب وارتبط به، وبعائلته بالكامل، حتى سمّيت عائلة «بالعنصا».

لذا فإن هذا الاسم لقب فقط وليس اسم طائفة، وإنما طائفته هي «المديهمي». أما الشاعر محمد بن يعروف المنصوري، فيقول: « ربما يكون اللقب أيضاً قد اكتسبه والده «ماجد» من كسر في يده لم يبرأ، فسبّب له إعاقة وضمور، فضمرت يده وسمي «راعي العنصا» والله أعلم.

فقده بصره

يذكر شاعرنا رحمه الله نقلاً عن والدته: « أنه بينما كان طفلاً صغيراً لم يكمل عامه الثالث بعد، وفي منزلهم في ليوا، والذي كان عبارة عن بيت من الشعر، إذا بعجوز جارتهم، تأتي لزيارتهم، وكان حينها يلهو عند غنيمات الأسرة خارج البيت، فذهبت تلك العجوز لتتأكد من وجوده في «المنز»، أي سريره، فلم تجده، وسألت عنه، فقالت لها أمه: إن «سعّود عند الغنم»، فتعجبت تلك العجوز منه وهو ما زال صغيراً لم يكمل عامه الثالث بعد، وهو لوحده خارج البيت. ويكمل الشاعر سعيد: « أنه بعد زيارة تلك العجوز إلى بيتنا، قالت له والدته أنه مرض مرضاً شديداً أثّر على عينيه، وتم علاجه بالطب الشعبي آنذاك»، إلا أن ذلك لم ينفع معه، ففقد رحمه الله سبعين بالمائة من نظر كلتا عينيه. وظل كذلك يرى ضئيلاً حتى بلغ الثلاثين من العمر ليفقد الجزء الباقي من نظره.

سيرته وحياته العملية

نشأ شاعرنا في منطقة ليوا بالمنطقة الغربية في محضر «الثروانية»، متنقلاً بين بقية المحاضر القريبة منهم. وكبقية أسر المناصير

والقبائل الأخرى المقيمة هناك في بادية المنطقة الغربية، اعتمدت حياة أسرة شاعرنا على تربية الإبل والماشية. وقد انتقلت الأسرة فيما بعد الى مورد « الزرّاف» في الشرق من ليوا، مع إبلهم واستقروا هناك لفترةٍ ليست بالقصيرة، يرعون إبلهم وماشيتهم على مورد « الزرّاف».

وعن حياتهم في بينونة، في الزمن الماضي، سألته رحمه الله، فقال: «كنا نعيش حياة البدواة في محضر «الثروانية «نقضي الشتاء هناك، وفي الصيف نقضي أيامنا في محضر «الزرّاف»، قبل أن نستقر فيه لفترة طويلة فيما بعد.

ولما بلغ عشرين عاماً، يذكر شاعرنا، أنه انتقل مع أهله إلى أراضي المملكة العربية السعودية، وذلك أسوةً بجماعتهم من البادية هناك، الذين دأبوا على النزوح إلى أراضي المملكة طلباً للكلأ والعشب لحلالهم وإبلهم.

يقول الشاعر سعيد بالعنصا، رحمه الله، « أقمنا هناك في داخل الأراضي السعودية في منطقة اسمها «ليبان» لمدة عشرين عاماً، مع أهلنا، وقد عشنا هناك فترة الأربعينيات كاملة.»

لقد كانت تلك الفترة بالنسبة للإمارات، فترةً عصيبة، حيث كانت تعاني من الفقر والحاجة وذلك خلال الحرب العالمية الثانية مما جعل الكثير من المواطنين يتركونها ويهاجرون إلى خارجها للحصول على لقمة عيشهم. وبالنسبة لشاعرنا سعيد بالعنصا، فقد استقر مع أهله في صحراء المملكة فوجدوا هناك رزقهم وحياتهم يرعون إبلهم ويعيشون على حلالهم في الحصول على لقمة عيشهم خلال تلك السنوات.

تغيير اتجاهه وجهوده في تطوير الأغنية الشعبية

في بداية الخمسينيات انتقل شاعرنا بالعنصا مع بعض الأسر الأخرى من المناصير، من المملكة إلى قطر. خاصةً، حسب ما ذكره لي. وهناك في قطر تبدلت حياة شاعرنا من العمل الذي كان يعتمد على الجهد الجسماني العام كالرعي ومكدة الابل، خاصةً بعد فقده بصره بالكامل، في الاتجاه الى منحىً آخر يؤمن فيه لقمة عيشه ويكمل فيه مشوار حياته. لقد شكّل ذلك تحدياً بالنسبة لشاعرنا، فقبل التحدي، وكان سلاحه في ذلك، الشعر الذي أصبح في تلك السنين شغله الشاغل وبرع فيه وأصبح يناطح به كبار الشعراء. وحيث ان تلك الايام كانت بداية العصر الذهبي للأغنية الشعبية، فقرر شاعرنا خوض مجالها بالاشتراك في تطوير تلك الأغاني لا إرادياً بقصائده الشعبية المميزة التي برع في قولها.

وبما أن قطر كانت تعج في ذلك الوقت بالكثير من المطربين والفنانين الخليجيين أمثال سالم الصوري ومحفوظ سعيد وفنانين آخرين من بقية دول الخليج يفدون اليها لتسجيل أغانيهم هناك، فقد شكّل ذلك فرصةً كبيرة لشاعرنا لمدهم بالقصائد الغزلية الغنائية المختلفة والتعاون معهم. كانت تلك فرصةً كبيرة لاستغلال شاعرنا ذلك في كسب لقمة عيشه من وراء تلك الأغاني التي يبدع في قول أبياتها وقصائدها.

وقد تعاون رحمه الله في تلك الفترة مع أغلب الفنانين الخليجيين القدماء وقدّم لهم عشرات بل مئات القصائد التي غنوها وانتشرت على مستوى دول الخليج العربي، خاصة الفنانين الذين ذكرتهم مثل محفوظ سعيد وسالم الصوري وعبدالله الفضالة ومحمد زويّد وغيرهم. لذلك نسجّل هنا ونشيد بالجهود الكبيرة لشاعرنا بالعنصا في انتشار الاغنية الشعبية وبدون منازع، متفوقاً على الكثيرين من الشعراء الآخرين الذين دخلوا من بعده في هذا المجال.

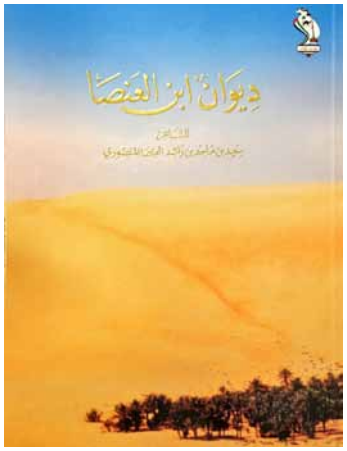

العوده الى أبوظبي

خلال مقابلتي للشاعر بالعنصا في آخر مقابلة صحفية له قبل وفاته، قال لي رحمه الله:» عدت إلى أبوظبي عام 1963م، خلال حكم الشيخ شخبوط بن سلطان رحمه الله.»

كانت أبوظبي في وقتها تخطو أولى خطواتها البطيئة نحو التطور، بعدما اكتشف فيها البترول، وتم شحن أولى الكميات منه. يقول بالعنصا: « أقمنا في أبوظبي في منطقة «الزعفرانة»، وقد قمنا ببناء خيم وصنادق للإقامة فيها، إلى أن جاء حكم المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي فتح لنا أبواب الخير والسعادة، وعمل لنا معاشات، ثم بنى لنا بيوتاً شعبية وأقمنا فيها، ثم انتقلنا الى غيرها، وإلى ما تشوف حالنا فيه الآن في بيوتنا الجديدة وفي خير وفي نعمة في هذه المنطقة الجديدة اللي سمّوها «الشامخة».

حياته العامة

تزوج شاعرنا رحمه الله متأخراً وكان عمره قد قارب على الستين عاماً حينما تزوج، وقد رزقه الله بعدد من الأبناء هم: منصور وعامر وثايب وماجد وعدد من البنات.

ولم يعمل شاعرنا طوال حياته في وظيفة عامة وذلك نظراً لإعاقته البصرية، وكان معتمداً على الإعانة الاجتماعية من الحكومة ومن الهبات التي يقدمها له الشيوخ وخاصة خلال حكم الشيخ زايد رحمه الله وأبنائه الكرام.

ونستطيع أن نعتبر اعتماده على الشعر كمورد ودخل إضافي له منذ

الستينات، ولنا ان نعتبره ضمن أعماله الخاصة التي حققت له دخلاً مالياً ساهم في تسيير أمور حياته المعيشية، خاصةً وان لديه إعاقة البصر، وهي التي منعته من العمل الذي يبذل فيه جهداً جسمانياً. وقد ظل في ذلك العمل الخاص حتى قيام دولة الامارات العربية المتحدة، وتناقص الطلب على الأغنية الشعبية التقليدية، بالاضافة الى كبر سنه، واعتزاله الشعر الغنائي وتفضيله البقاء بحانب عائلته وابنائه، كما كانوا له خير معين، عندما كبروا وعملوا في وظائف حكومية وخاصةً بعد عجزه والتزامه المنزل.

سعيد بالعنصا والشعر

يقول الشاعر سعيد بالعنصا رحمه الله، إنه تعلّق بالشعر مذ كان عمره لا يتعدى 14 عاماً. ولما سألته عن أول أبيات شعرية قالها، أجاب بأنه لا يتذكرها بالضبط، ولكن من ضمن القصائد التي قالها في بداية حياته الشعرية، قوله:

أنا يا ليت هـــذا مـــا عرفته

وحقي من هوى الانسان قصّـر

بلاني في الهوى بـــلوى كبيـره

وأنا عدني صغير السن واصـغر

الخ القصيدة.

ويقول الشاعر محمد بن يعروف المنصوري، 65 عاماً، من أبوظبي، وهو من قام بجمع شعره وتحقيقه واصداره في ديوان شعري بإسم «ديوان ابن العنصا»، إن الشاعر بالعنصا يعد من فحول الشعراء في الإمارات، ويعتبره شاعراً فذاً يتفوّق على الكثيرين من أقرانه من الشعراء.

كما يذكر الشاعر بن يعروف،» أن سعيد بالعنصا يعد من كبار الشعراء الغنائيين أيضاً، إذ أن له عشرات القصائد المغنّاة من قبل المطربين الشعبيين في بداية انتشار الأغنية الشعبية في الخليج منذ الخمسينيات وحتى الستينيات الماضية. وقد أسّس له محل تسجيلات أغاني في أبوظبي في بداية الستينيات، وكان يتردد على قطر دائماً لتسجيل الأغاني الخاصة به فقط.»

وفي أواخر الستينيات وبعد إنشاء إذاعة أبوظبي عام 1969م، أوكلت إليه مهمة إعداد وتقديم برامج شعراء البادية من إذاعة أبوظبي، وذلك لكفاءته وخبرته في هذا المجال. وبعد إنشاء تلفزيون أبوظبي بعد ذلك، كان ضمن مؤسسي برنامج شعراء القبائل مع الشاعر مبارك بن ثامر المنصوري، والذي يكون خاله، فأوكل إليه تقديم البرنامج في تلفزيون أبوظبي بالتناوب معه. ثم أصبح بعد ذلك عضواً فعالاً ضمن شعراء ذلك البرنامج، مع الكثيرين من الشعراء، أمثال خليفة بن حريف وراشد بن مسلم وعيسى بن قطامي وسالم بن ثايب واحمد الكندي وصالح بن عزيز وغيرهم من كبار شعراء ذلك الزمان.

صاحب أول قصيدة لتحية العلم

اشتهرت للشاعر بالعنصا قصيدة قديمة قالها في الشيخ زايد رحمه الله، إذ ألقاها الشاعر سعيد بالعنصا في حضرة الشيخ زايد طيّب الله ثراه، في الاحتفال بعيد جلوسه الأول عام 1967م كحاكم لإمارة أبوظبي. فبعد أن سمعها الشيخ زايد، أمر رحمه الله أن تلحن وتنشد تلك القصيدة مع تحية العلم في المدارس القليلة الموجودة آنذاك

في أبوظبي، وقد لحنها الفنان جابر جاسم. فكانت بذلك أول قصيدة تنشد مع تحية العلم في الإمارات.
تقول أبيات تلك القصيدة:

أخي أنا وانت نهنّي ســـــواء
الشـــيخ زايد بعيد الجلوس
هنيئاً لـزايد بـــــعيد البناء
هـــداه الإلـه أعز النـــفوس
نهيان جـــدّه وبالله بـــــدا
بـــــعزمٍ يهدّم قويّ النفـــوس

إلخ القصيدة...

أغراضه الشعرية

بالرجوع الى ديوانه المسمى» ديوان بالعنصا» والذي صدر من نادي تراث الامارات عام 2007م، نجد أن شاعرنا سعيد بالعنصا لم يترك باباً من أبواب الشعر النبطي إلا وطرقه، ولم يترك غرضاً إلا وقال به. ففي المدح والوطنيات هناك العديد من القصائد قالها في الشيخ زايد رحمه الله. ومنها تهاني بعيد جلوسه وباليوم الوطني، وكذلك تهاني للشيوخ الكرام حكام الإمارات، ثم أيضاً قصائد وطنية قالها فخراً واعتزازاً بوطنه الإمارات. كما قال قصائد قومية مثل حرب 1967 وحرب 73 وفي جمال عبد الناصر والملك فيصل وأزمة الخليج.
أما في الشعر الاجتماعي فله قصائد كثيرة في هذا المجال، فمن قصائد النصائح والحكم إلى قصائد الفعاليات الاجتماعية في الإمارات مثل العرس الجماعي الأول الذي سمي «عرس القرن» في التسعينيات الماضية، ثم ختام بعض مهرجانات الإبل في الوثبة ودبي خلال الثمانينيات والتسعينيات الماضية. كذلك له قصائد في عيد الفطر وعيد الأضحى وشهر رمضان المبارك، كما قال في النقد الاجتماعي، وفي سرقة الأشعار من قبل الآخرين ونسبها لهم. كذلك في عادات الشباب هذه الأيام وأخلاق بعض الناس.
ويفتخر ويعتز الشاعر سعيد بالعنصا بقبيلته، وهي قبيلة المناصير في أكثر من قصيدة، فمثلاً يقول في إحداها:

مناصير لي صاح المصيّح تجـمّـعوا
كم يادلٍ شقّت ضحى الكـون جيبها
وأمست تهيل الرمل من فوق راسها
وأصبح من حساب الفقايد خطيـبها

إلخ القصيدة...

وفي أخرى يقول مادحاً المناصير وبني ياس:

قبايلٍ يا سعـد من هـــــي حليفته
أولاد يـــــاس وعـــــزوتي منـصور
يردون حوض الموت ما نرهب العدا
ونردّ كيـــد الكايـــدين كـــــــرور

الخ القصيدة... .

ثم يعرج لمدح شيوخ آل نهيان فيقول:

«زايد» العود اللّي ملكها بطيبه
رحوم قلبه للجـــــــوار بـــرور
في جنة الفردوس بين النعـــايم
ماواه يعله في جنان الحـــــور
وسلطان أبو زايد زبون الحـميّه
سهم العدا ما يرهب المخـطور

إلخ القصيدة...

أما في الشكاوى والمساجلات، فيقول الشاعر سعيد بالعنصا رحمه

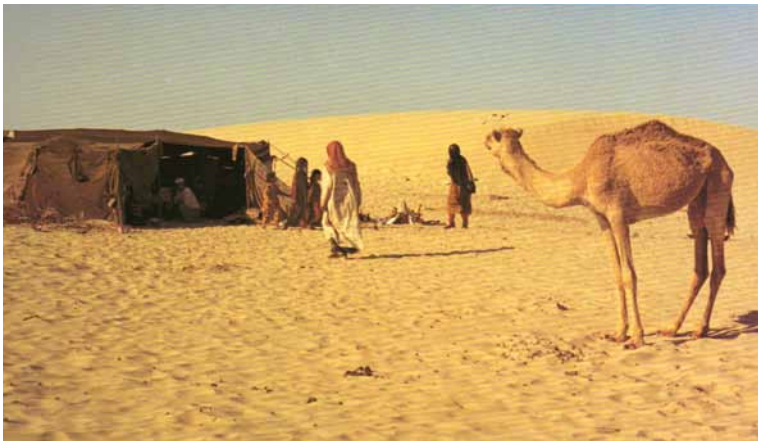

أما في الشكاوى والمساجلات، فيقول الشاعر سعيد بالعنصا رحمه اللّه: «تساجلت مع الكثير ين من الشعراء، ولكن أكثر مساجلاتي كانت مع الشاعر الكبير سيف بن خلفان بن فريوه المنصوري رحمه اللّه، وكذلك مع خالي الشاعر مبارك بن ثامر المنصوري، والذي تعلّمت منه الشعر.»

الله: «تساجلت مع الكثير ين من الشعراء، ولكن أكثر مساجلاتي كانت مع الشاعر الكبير سيف بن خلفان بن فريوه المنصوري رحمه الله، وكذلك مع خالي الشاعر مبارك بن ثامر المنصوري، والذي تعلّمت منه الشعر.»

كما تشاكى مع الشاعر سيف بن خلفان بن سلومه المنصوري، ومع شعراء قطر أمثال عبد الله بن سعد المهندي وعبد الله بن عامر الفلاسي. كما تشاكى أيضاً مع الشاعر أحمد بن علي الكندي الذي كان صديقه ونديمه وجاره، في قصيدة «الزرّاف». كما تشاكى مع الشاعر علي بن مصبح الكندي والشاعر الفندي المزروعي والشاعر عيسى بن قطامي.

أما في الغزل، فقد أبدع الشاعر سعيد بالعنصا مئات القصائد، كيف لا وهو قد بدأ قصيده بالغزل، وعليه فإن له قصائد غزلية جميلة يصف فيها النساء الجميلات، برغم أنه ضرير. لقد استغل بالعنصا هذا الابداع الغزلي في قول القصائد الشعبية التي تصلح للغناء. فقال أجمل القصائد الخفيفة والغزلية، فغنّى له أغلب الفنانين القدماء من الإمارات ومن دول الخليج العربي. وأخيراً فإن الشاعر بالعنصا لم ينس نفسه، اذ أنه كان واثقاً من أنه كان يتصدر الشعراء في زمانه، لذا كان لا بد له أن يفتخر بذلك. وعليه فقد قال قصائد يفخر فيها بنفسه، إذ لا غبار في ذلك، حيث إنه عدّ من فحول شعراء الإمارات برغم أنه ضرير . ويصفه الشاعر بن يعروف، والذي كان صديقه لفترة طويلة:» بأنه «شاعر الملوك»، ويقول عنه: «بأنه أقوى شاعر أنجبته الإمارات وهو على حالته تلك»، ويقصد أنه ضرير.

وكمثال لفخره بنفسه وبشعره، يقول في قصيدةٍ له يسندها على الشاعر فارس السبيعي:

أنا الشاعر العود الخطر المـــصيبه
اللّي مشطّن بين أبوظبي والعــين
القول له عندي مـــعاني غـــريبه
أبيات شعر الحرف يســوى ملايين

إلى أن يقول:

لا ابلي الصديق ولا احب ابتلي به
إلا ان بلاني حد من ذا الخـــبالين
أنا كما ذيبٍ بـــدأ فـــي الرقيبه
ما با يهمه كثر نبــح الســـلاقين
لي صوت عالي لابتي تعتـــزي به
منصور عزوَه للعيال المـــيامين

إلخ القصيدة...

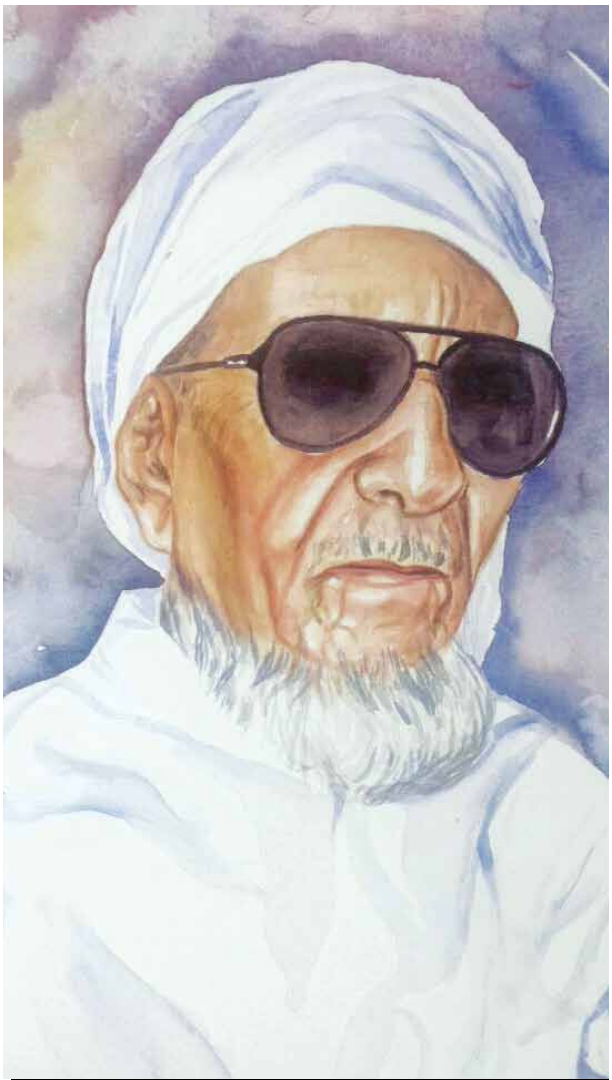

وفاته

بلغ الشاعر من العمر 100 عام تقريباً، وكان رحمه الله في آخر حياته لا يعاني إلا من الكبر مع العمى الذي لازمه طوال حياته ولم يشكّل له عائقاً في أن يتصدّر الشعراء من أمثاله. وفي ليلةٍ من ليالي عام 2014م، انتقل إلى رحمة الباري ودفن في مقابر بني ياس. فرحمه الله رحمة واسعة..

وإليكم نماذج من أشعاره..

نماذج من أشعار سعيد بالعنصا المنصوري

يشهد العالم وأنا عندي شهادة

هذه القصيدة قالها في الشيخ زايد رحمه الله

قال من قلبه معه طوّل عناده ... لي نصحته قال بي شوق وحنينا
قال لي بسعد في أيّام السعاده ... الفرح يحيي قلوب العاشقينا
آه من جفنٍ جفاء لذّة سهاده ... ساهرٍ ليلي وربعي نايمينا
يا هنيّ اللّي تهنّى في رقاده ... ما سهر هويا العيال الطيبينا
طالب اللّي ما لحد غيره عباده ... في السماء وارض العرب والمسلمينا
مالك العرش العظيم لْه السياده ... منزل القرآن بالحق المبينا
رب تنصر قايدٍ طوّل جهاده ... الزعيم القايد الحر الأمينا
قايدٍ ملقي على الله اعتماده ... مخلصٍ لله رب العالمينا
له تهاني العيد مع جملة أحفاده ... والرجال اللّي لوطنهم مخلصينا
«بوخليفه» عاش ريّس للقياده ... دام حكمه للوطن جملة سنينا
له تهاني الشعب في يوم إتحاده ... والحرار اللّي معه متعاونينا
أنصرو شعبٍ توحّد في بلاده ... كافح بعزمٍ قوي لا يلينا
خيرنا ببلادنا والله زاده ... صرح شامخ للعلا دنيا ودينا
«بوخليفه» بلّغه ربي مراده ... يعل يسلم من شرور الحاسدينا
يشهد العالم وأنا عندي شهاده ... للزعيم الحر مطلوق اليمينا
الطفل عاده غريرٍ في مهاده ... ينطق إسمه قبل اسم الوالدينا
إلبست بنت الخليج أغلى قلاده ... م الذهب والماس والدرّ الثمينا
إلبست ثوب الفرح ثوب السعاده ... كاملة الأوصاف واللون الحسينا
في حمى اللّي عزها راحة فؤاده ... دونها جيشٍ يردّ المعتدينا
من بغى من قولِيَه آيّة إفاده ... ألف معنى عندِيَه للسائلينا
الوطن عزته من عزة أمجاده ... والأمر لله واحنا طايعينا
التغزّل يا نشاما شيء عاده ... واسمحوا لي يا شْعرانا الحاضرينا

دعيت الشادليّة لي نديمه

وهذه نصائح وحكم

جـــرى دمـــعـــي عـــلـــى خـــدّي ســـواقـــي ... وقـــلـــبـــي فـــيـــه ضـــيـــقـــه واحـــتـــراقـــي
دعـــيـــت الـــشـــادلـــيّـــه لـــي نـــديـــمـــه ... تـــســـلـــي خـــاطـــرٍ م الـــهـــم ضـــاقـــي
إلـــى لـــجّـــت هـــواجـــيـــســـي عـــلـــيّـــه ... وصـــاب الـــعـــيـــن مـــن نـــومـــي ســـراقـــي
ســـكـــبـــت الـــبـــنّ فـــي فـــنـــجـــال صـــيـــن ... واخـــذت مْـــنـــه عـــلـــى كـــيـــفـــي وراقـــي
أنـــا ســـهـــران بـــالـــلـــيـــل الـــطـــويـــل ... وعـــفـــت الـــزاد لـــو حـــلـــو الـــمـــذاقـــي
عـــســـى الـــرحـــمـــن يـــنـــظـــرنـــي بـــعـــيـــن ... عـــزيـــز الـــمـــلـــك بـــأمـــره قـــيـــد ســـاقـــي
أنـــا ونّـــيـــت مـــن عـــوق خـــطـــيـــر ... وقـــلـــت الـــعـــون ثـــيـــبـــوا يـــا رفـــاقـــي
أنـــا شـــاكـــيـــت ربـــعـــي والـــصـــديـــق ... وأنـــا فـــيـــهـــم بـــظـــن الـــخـــيـــر هـــاقـــي
أنـــا ظـــنّـــي بـــهـــم ظـــنٍ جـــمـــيـــل ... عـــلـــى الـــطـــيّـــب مـــلامـــي واحـــتـــمـــاقـــي
ولا بـــشـــره عـــلـــى ولـــد الاهـــدانـــي ... ولا لـــي مـــعـــه حـــق ولا احـــتـــقـــاقـــي
وهـــو مـــا لـــه مـــعـــاي آيّـــاة ســـيـــره ... ولا لـــي ســـلـــم مـــعـــه ولا اتـــفـــاقـــي
صـــبـــرت وطـــاف صـــبـــري م الـــحـــدود ... كـــضـــمـــت الـــصـــبـــر لـــو مـــر الـــمـــذاقـــي
أنـــا لـــي شـــفـــت م الـــدنـــيـــا عـــجـــايـــب ... ودرب الـــمـــرجـــلـــه صـــعـــب الـــمـــراقـــي
أظـــنّـــي بـــيـــن حـــظّـــي والـــزمـــان ... مـــضـــى مـــن بـــيـــنـــهـــم عـــهـــد اتـــفـــاقـــي
يـــحـــاولـــنـــي زمـــانـــي لـــلإهـــانـــه ... وأنـــا قـــلـــبـــي مـــكـــوّى بـــالـــعـــراقـــي
ولا الإنـــســـان يـــجـــزع مـــن نـــصـــيـــبـــه ... ولـــو حـــلّـــت ســـويـــعـــات الـــفـــراقـــي
ودقّـــت ســـاعـــة الـــصـــفـــر الـــرهـــيـــبـــه ... وبـــدأ فـــي رأي الأصـــحـــاب انـــشـــقـــاقـــي
وصـــارت مـــعـــركـــه بـــيـــن الـــثـــنـــيـــن ... وأنـــا لـــخـــصـــامـــهـــم زاد اشـــتـــيـــاقـــي
وقـــفـــت أســـمـــع وهـــم يـــتـــشـــاجـــرون ... وقـــلـــت الـــحـــظ بـــعـــد الـــنـــوم فـــاقـــي
وســـبـــحـــان الـــذي أســـرى بـــعـــبـــده ... إلـــى ســـابـــع ســـمـــاء فـــوق الـــبـــراقـــي
هـــو الـــرحـــمـــن والـــتـــســـبـــيـــح بـــســـمـــه ... شـــفـــى لـــقـــلـــوب مـــن جـــمـــلـــة عـــواقـــي
ولا يـــا صـــاحـــبـــي خـــذهـــا نـــصـــيـــحـــه ... فـــلا تـــغـــتـــرّ فـــي عـــصـــر الـــســـبـــاقـــي
فـــلا تـــزعـــل إلـــى خـــاطـــبـــك جـــاهـــل ... وتـــحـــلـــف لـــه بـــديـــنـــك والـــطـــلاقـــي
تـــرى دنـــيـــاك كـــمـــا فـــيّ الـــثـــمـــامـــه ... تـــروح إنـــتـــه وهـــي والـــحـــق بـــاقـــي
وإلـــى خـــاطـــبـــك عـــاقـــل كـــون عـــاقـــل ... ولا يـــخـــالـــي عـــلـــى قـــلـــبـــك اغـــمـــاقـــي
وكـــثّـــر بـــالـــصـــلاة عـــلـــى نـــبـــيـــك ... تـــمـــسّـــك زيـــن فـــي حـــبـــل الـــوثـــاقـــي
تـــرى الإســـلام لـــلـــمـــؤمـــن هـــدايـــه ... ولأهـــل الـــعـــلـــم مـــثـــل الـــنـــهـــر ســـاقـــي
فـــلا تـــلـــبـــس ثـــيـــاب الـــديـــن وانـــتـــه ... مـــريـــض الـــنـــفـــس فـــي قـــلـــبـــك نـــفـــاقـــي
صـــلاتـــي والـــســـلام عـــلـــى مـــحـــمـــد ... شـــفـــيـــعٍ لأمـــتـــه يـــوم الـــمـــســـاقـــي
عـــلـــيـــه أفـــضـــل صـــلاتـــي والـــســـلام ... عـــدد مـــا هـــبّ نـــســـنـــاس الـــشـــراقـــي
ومـــا غـــنّـــا حـــمـــام الـــدوح ســـاجـــع ... ومـــا حـــرفٍ كُـــتـــب فـــوق الأوراقـــي

خزينا وليفك وأطلب الله بالجنّه

وهذه كانت مطارحات ارتجالية بينه وبين بعض الشعراء
قال لهم الشاعر مبارك بن ثامر المنصوري:

يَ اهـل الهوى عندي لكم سبعة الألحان
وكـلٍ عـلـى مـا راد يـطـلـب عـلـى فـنّـه
تـرى للهوى عـنـدي زروعٍ وراء حيطان
لـحـالـيـح لـه مـاسٍ وقـفـلـه يـجـي مـنّـه
وفيه الـعـذارى دلـع الأرقـاب، ويـن فلان
خـذيـنـا ولـيـفـك واطـلـب الـلـه بالجنّه

أنا كهربٍ تسفر ضويّه يْلين عمان

فقال له شاعرنا سعيد بالعنصا:

أنـا الـبـارحـه سـهـران مـا غـضّـت الأعـيـان
إلـى نـامـوا الـدلـهـيـن جـرّيـت بـالـونّـه
ويـا لـجّ قلبي لـجّـة الـخـلـف للحيران
إلـى دوّه الـراعـي وقـامـن يخيلنّه
ويـا خـال أنـا بنصحك مـن كلمة الحقران
يـزاهـيـك واتـلـى مـا تـحـصّـل فـكـك منّه
وينصحك مـن قـولٍ تـقـولـه بـلا بـرهـان
تـرى أهـل الـهـوى الشرهين كـلٍ يبا فنّه
أنـا فـي الـهـوى حطّيت ربـتٍ وفيه أعـلان
ومـن داس ربـتـي بـا يـحـوش العطل منّه
أنـا كـهـربٍ تـسـفـر ضـوّيـه يـلـيـن عمان
تـشـاعـل قـزوزه والـمـكـايـن يـسـوقـنّـه

فقال الشاعر سيف بن خلفان بن فريوه

أنـا بـا سـيّـر لـه اسـطـولٍ مـن الـسـودان
عـلـى تـراطـن والـمـكـايـن لـهـا حـنّـه
كسرنا القفل والساس والبيت والحيطان
ديـنـاميـت ثـايـر والـكـريـنـات شـلـنّـه

إلى غير من عيد الركايب إلى جنّه

الا أن شاعرنا بالعنصا لم يرضه ذلك فقال لهم:

أنـا كـانـي المسموح بـبـدع مـن إمّـا هان
كـــلامٍ صـحـيـحٍ ومـــن ضـمـيـري منقنّه
ثلاثين ألـف مليون وألفين من الحنشان
يحوطن على ذا البيت وامـــرار يرقنّه
جـدارٍ على ذا البيت من حذفة الشيطان
ومـــن تـايـهٍ مـسـكـيـن والـــرب مـغـوّنـه
تـرى مـن تـعـرّض للطراشين والقيفان
لـــزومٍ عـلـى حـذف الـمـشـاويـح يوطنّه
ويـنـزل عليهم نـجـمٍ ربّـي وهـم حيوان
ومـن شـذّ منهم ذا الـقـوارش تعشنّه
وذيـك الـسـريّـه كـنّ مـا حـدّ منهم كـان
إلـى غـيـر مـن عـيـد الـركـايـب إلـى جنّه
إلـى غير بـن نـايـع وهـنـدي وبـن خلفان
هـذولا زلّـفـوا صـوب الجماعه وجـوْ منّه
وقَـلَـطْـت أنـا فـرش وتـراحـيـب للضيفان
وذبـحـت الـخـروف الـلّـي الشريطي مربنّه

الهوى في مهجتي بنّى خيامه

وهذه إحدى غزلياته

طـيـرة الـعـشـاق كـل مـا نـحـت غـنّـي
وارفـعـي صـوت الـمـعـنّـى يـا حمامه

مـا يـفـيـد الـمـبـتـلـي كـثـر الـتـمـنّـي
آه مـن قـلـبٍ تـهـيّـض بـه غـرامـه

الـعـنـاء والـصـدّ والـوقـت امـتـحـنّـي
والـسـبـب طـفـلٍ وعـيّـوا بـه عـمـامـه

بـو رمـوشٍ فـي ضـمـيـري جـرّحـنّـي
مـدعـج الـعـيـنـيـن لـه فـي الـخـدّ شامه

الـعـذارى فـي هـواهـن مـشـكـلـنّـي
والـصـديـق إن لامـنـي مَ اسـمـع كلامه

حـرّك الأوتـار واطـربـنـي وغـنّـي
يـا صـديـقـي تـاه قـلـبـي فـي حـلامـه

الـعـذارى فـي طـريـقـي اخـلـفـنّـي
والـهـوى يـرسـل عـلـى قـلـبـي سـهـامـه

قـد سـلـيـت مـن الـغـرام ورجّـعـنّـي
والـهـوى فـي مـهـجـتـي بـنّـى خـيـامـه

بالهون يا سيد امها بالهون

وهذه إحدى قصائده الغنائية

يَ اهـل الـهـوى ثـيـبـوا عـلـيّ تكفون

نـــار الـــمـــودّة مـــن يـطـفّـيـهـا

بـيّـحـت أنـــا مـــن ضـــامـــري مـكـنـون

والـــلـــه عـــلـــى الـــدنـــيـــا وتـالـيـهـا

بـالـهـون يـا سـيـد الـمـهـا بـالـهـون

الـــــروح ذابـــــت وأنـــــت والـيـهـا

قـطـفـت زهـــر الـــورد والـلـيـمـون

يـــوم أقـبـلـت واشـــربـــت صـافـيـهـا

يَ اهـل الـشـرف بـالـرخـص لا تبيعون

دانـــــة غـــزر يـــا بـخـت شـاريـهـا

بـانـت لـنـا يَ اهـل الـغـرام مْـزون

وانـــهـــلّ مـــاهـــا مـــن رواسـيـهـا

مَ اقـــدر عـلـى الـهـجـر يـا مـظـنـون

وانـــتـــه حـيـاتـي وأمـانـيـهـا

هل نعيد النظر في تاريخنا؟

خالد عزب *

يمثل التاريخ بأحداثه ووقائعه تجارب إنسانية لا تنزله منزلة القدسية، لأن بها الخطأ والصواب، الاستبداد والعدل، القوة والضعف، لكنها في النهاية دروس وعبر للمستقبل، لذا فان للماضي أهميته ليست في ذاته فقط، لكونه يمثل المخزون المعرفي المتراكم لخبرات البشر، والذاكرة الشاهدة علي حضارة أية أمة، أهمية الماضي أنه درس واقعي للمستقبل.

الناظر المتأمل لتاريخ المسلمين سيجد به الكثير الذي ينقده ويخضعه للتحليل والنظر، لكننا حصرنا التاريخ في المنهج السردي التقليدي، فأصبح رواية تروى وتحكى، لا عظة فيه ولا عبرة عبر سبر أغواره، وإلى الأن ما زلنا ننظر للتاريخ النظرة نفسها، فعندما تؤرخ لحقبة جمال عبدالناصر على سبيل المثال إما أن ترى كل ما فيها خيرا أو شرا، لا تعمل فيها منهجا نقديا لهذه الحقبة يرى حسناتها ومساوئها، فأصبحنا نتحيز للمشهد التاريخي طبقا لتحيزاتنا.

حتى التيارات الإسلامية تخضع التاريخ لمنهج التحيز البحت، فنراها تركز على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فكثرت الكتابات حولها، فصار كتاب صفي الدين المباكفوري أو السيرة النبوية لأكرم ضياء العمري أو للبوطي، توزع آلاف النسخ وتعد واقعا من حيث كم النسخ الموزعة، ثم نقفز قفزة كبرى إلى الدولة العثمانية التي تتعاطف معها بوصفها آخر دول الخلافة الإسلامية، وفي حقيقة الأمر لم يكن السلطان العثماني خليفة إلا عند ضعف الدولة واستدعاؤه لقب الخلافة لكسب تعاطف المسلمين .

انتهت الخلافة الإسلامية الراشدة فعليا بمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن بعده ملك عضود لبس ثوب الخلافة، في جوهره صراع قبلي، ومن وراء هذا كله صراع فكري مذهبي تطورت معه نظرة علماء السياسة الشرعية للممارسة السياسية .

كان الإسلام كدين، ثورة كبرى في عصره على عصره ومبادئه وقيمه، لذا فإن ما فعله هو هزة كبرى غيّرت وجه البشرية، لكن حينما نصل إلى التجربة الغربية المعاصرة سنجد فيها قيمة لا مجال لنكرانها، وهي أنها أنزلت الحاكم من مصاف الإله أو المفوض من الله أو الذي يستمد شرعيته من دين، إلى منزلة البشر بتوقيت سلطته بمدى زمني محدد، مما يجعل كل حاكم يقر أن شعبه سيحاسبه إن لم يقر الحكم بالعدل ويقر الكفاءة على المحسوبية، هذا ما تسعى له الشعوب العربية حاليا، فأي حاكم سيعد نفسه خالدا مخلدا هو وأنصاره الذين يمكن أن يعدوا خليفة له أو أكثر، سيكون واهما إن ظن ذلك.

كما أن أدبيات التيارات الإسلامية، ونتيجة طبيعية للممارسات السلطوية عبر عصور التاريخ الإسلامي، كرهوا فكرة الخروج على الحاكم حتى لو كان ظالما، نشأت هذه المعطيات نتيجة للفتنة الكبرى ودماء الصحابة التي سالت في الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، ثم ذهب بعض الفقهاء مذاهب أخرى في هذا الأمر لتبرير قبول سلطة الحكام، غير أن الكثير من المسلمين خرجوا على حكامهم لنشر العدل ولدرء المفاسد، والتاريخ الإسلامي غني بالحركات التي ناهضت حكام المسلمين، وفكرة الخروج على الحاكم لكون ذلك فتنة تذهب فيها دماء المسلمين، ناهضتها مذاهب أخرى تاريخيا، لكنها استندت على حرمة دماء المسلمين وضرورة مجابهة السلطان الجائر ومواجهته.

وفي حقيقة الأمر لم يكتب التاريخ الإسلامي بعد، وهناك دعوات لاعادة كتابته، بل محاولات للتنظير لكتبة التاريخ، أبرزها ما كتبه عبد الله العروي المفكر المغربي عن مفهوم التاريخ، أو طرح

فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح

محمد السلمي المؤرخ السعودي عن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه، وهما طرحان متناقضان ويحتاجان إلى نقد وإعادة طرح رؤى في كتابة التاريخ، فتبيان التاريخ على أنه تاريخ صراعات وحروب فيه حصر للتاريخ في زاوية ضيقة هي زاوية ممارسة السلطة من قبل الحكام، في الوقت الذي تطورت فيه مدارس شتى لدارسة التاريخ بعضها ينحو نحو التاريخ الاجتماعي أو الاقتصادي أو يدمج بينهما، ونحن في أمس الحاجة إلى أن يكون تاريخنا المكتوب مدمجا مع رؤيتنا للمستقبل يبعث على الأمل والمشاركة بل ويخلق روح نقدية لتجارب المسلمين التاريخية وابداعاتهم الفكرية لكي نبني على الماضي من أجل الحاضر والمستقبل، لا معنى أن يكون تاريخنا مقصورا على الاقتتال والهزيمة والنصر، فهناك التاريخ الفكري والعلمي وما به من انجازات، إلى تذوق الفنون والعمارة التي أنجزناها وما زالت شاهد عيان قائمة في تراثنا المعماري والفني في متاحفنا .

فالتاريخ ليس نصًّا في كتاب وإن صار التاريخ نصا لن يقرأه أحد، بل هو يتطور ويتفاعل، فحين أدرك الغرب أن أجياله عازفة عن قراءة التاريخ، لأن ثقافة الصورة في عصر السينما والتلفاز صارت هي الغالبة أنتج أفلاما ومسلسلات تاريخية وأفلاما وثائقية، ومواقع رقمية تقدمه .

لذا فإن كتابة التاريخ ليست نصا فحسب بل هي منهج ورؤية تُستخدم فيها كل أدوات العصر لصياغة الشخصية الوطنية المعاصرة، يُستخدم الحوار في نقد المادة التاريخية والتنوع حينما نقدم المادة التاريخية، فهل نعيد النظر في تاريخنا ■

* مدير إدارة الإعلام، بمكتبة الإسكندرية

تواصيف

حباله طويلة

أي أن حباله ممتدة وآخذة في الزيادة، وهي كناية شعبية عن الشخص البطيء الذي لا ينهي الأمور في المدة المطلوبة.

يضرب انتقاداً للمماطلة والتسويف من قبل بعض الأشخاص المتهاونين الكسولين واللامبالين.

مرّتان في عمّان !

محمود شرف*

زرت عمّان مرتين؛ إحداهما كانت عام 2007، والثانية كانت في العام بعد الذي تلاه. الزيارة الأولى كانت بناء على دعوة من وزير الثقافة الأردني، وقتها، وهو شخص دمث الخلق، ومثقف، كان وزيرا للثقافة في المرة الأولى، في الثانية كان قد أصبح وزيرا سابقا. قال لي صديق هناك إن الأردن لا يعيش لها وزراء، آخر قال لي: تعيس من يختارونه للوزارة في هذه البلاد! أقمت في واحد من أفخم الفنادق التي رأيتها في أي مكان، كانت الدعوة بترتيب من صديق مشترك بيني و بين الوزير، الغرض منها أن أقوم بإجراء عدد من اللقاءات التليفزيونية مع مثقفي وفناني الأردن، صحبني في الرحلة زميلة من المخرجات بالقناة، ووفروا لنا هناك مصورا مع كاميرا حديثة، وانطلقنا نجوب عمّان بكاميرتنا وعربتنا المرسيدس السوداء، معنا المنسق الذي عينوه لمصاحبتنا. أجريت وقتها ما يزيد على عشرين لقاء تليفزيونيا مع شعراء وروائيين وموسيقيين وتشكيليين، كانت تجربة ثرية للغاية على مدار الأيام العشرة التي مكثتها في الفندق الذي يطل على الدوار الثالث –إن لم تخني الذاكرة -. يسمونه، أو واحدا آخر قريبا منه : دوّار جمال عبد الناصر.

لم أعش أي جزء من عمري في ظل وجود عبد الناصر، ولا أميل إليه كثيرا، أنظر إليه بحياد، لست من دراويشه، ولا من كارهيه أيضا، لكن تدهشني الكاريزما التي كان يتمتع بها؛ كان عمره قصيرا نسبيا؛ إلا أنه ترك أثرا بالغا في نفوس الجميع، ليس في مصر فقط، وإنما في جميع أنحاء العالم العربي كذلك. لا تكاد تخلو مدينة عربية من ميدان أو شارع أو حديقة تحمل اسمه، لا أدري السر الحقيقي وراء هذا العشق الحقيقي للرجل من قبل كل هؤلاء! .

في زيارتي الثانية لعمان كانت الأجواء مختلفة بالنسبة لي؛ كنت مدعوا لحضور ملتقى قصصي تقيمه مؤسسة «تايكي»، اختلاف الجو العام للزيارة ينبع من كوني أحضر الحدث بصفتي الإعلامية، لكن دون كاميرا؛ وبالتالي بلا عمل أيضا! أعطتني هذه الظروف فرصة رائعة لالتقاط الأنفاس، والمشاهدة غير العابرة، تسكعت في الطرقات مع أصدقائي من دول عربية مختلفة، سهرنا، تبادلنا أحاديث في الأدب، وفي غيره، قادتنا خطواتنا فجر يوم الختام إلى ساحل البحر الميت، ولم نغادر المنطقة سوى بعد أن لاح ضوء الصباح، كان بيننا روائي صديق صاحب صوت رائع، وحافظة عجيبة في مجال الغناء، يعرف جل الألحان التي سمعت بها والتي لم أسمع أيضا، من قبل؛ أحيا لنا الليلة كما ينبغي أن يكون! فاتنا حفل الختام بالتأكيد، كان في الصباح الباكر، ولم يكن بيدنا أن نذهب، فقد نمنا في الصباح بالفعل، استيقظ بعضنا ليلحق بحفل الغداء الختامي، حمدت الله أن فاتتني وصلة التوبيخ التي نالها هؤلاء من قبل مديرة الملتقى؛ حيث وصل تقريعها لهم إلى حد القول بأنهم مستهترون، ويبقى ما لم تقله في علم الغيب!

عمّان في المساء مدينة رائعة، خالية، أو تكاد، من السكان، ينامون مبكرا لأمر لا أعرفه، وسطها يلتمع بأضواء كابية، تسمح بالتعرف على طريقك –بالكاد- إلى حانات جانبية، أو إلى محال الحلوى الساخنة. وادعة، ومرحّبة، تنقل إليك هدوءها بالبساطة ذاتها التي تلقاك بها، فتتماهى معها تماما، كأنما ولدتما معا، ذات مساء بعيد! ■

* شاعر وكاتب من مصر

ارتياد الآفاق

ملامح عربية في الجنوب الإيطالي

«بَلَرْم» التقاء فني بين الشرق والغرب

منتصر لوكيلي

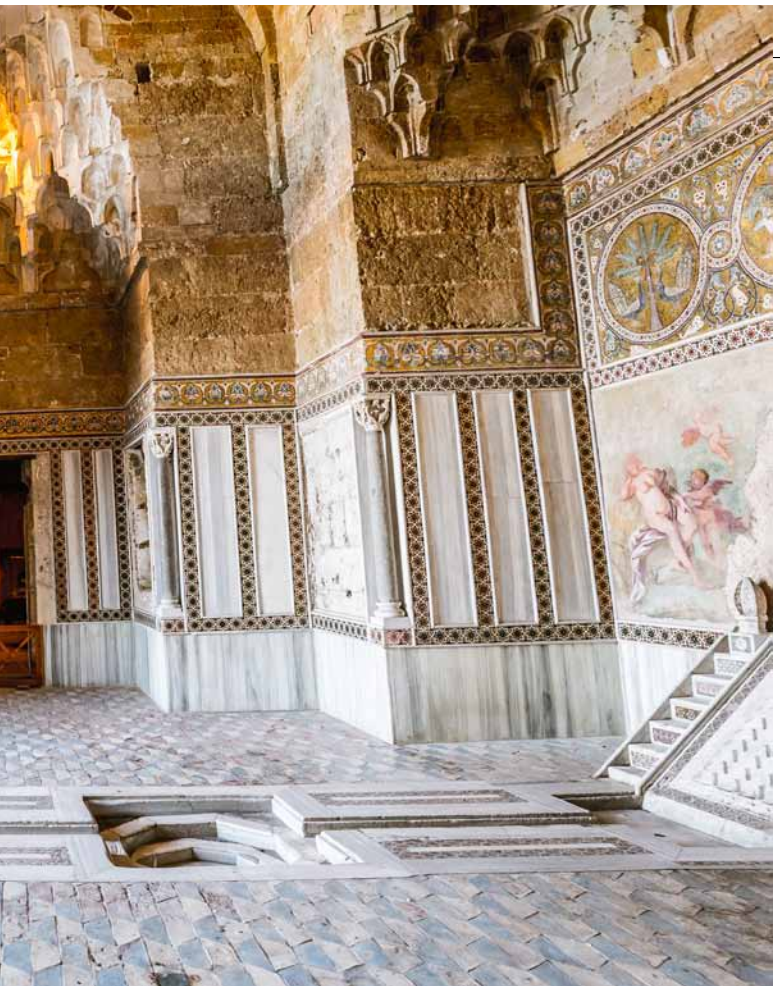

بَلَرْم أو باليرمو بالإيطالية مدينة أوروبية من حيث الجغرافيا وشرقية من حيث الروح، التقت فيها -في مرحلة تاريخية دقيقة ونادرة- إرادة سياسية أوروبية تواقة للأنوار، وكعب علمي وفني عربي إسلامي لبناء صرح حضاري متميز، فكانت صفحة مشرقة من نهضة العمارة والجغرافيا والفنون سرعان ما طُويت من تاريخ الحضارتين.

إن ما يشد الأنظار والأذهان على حد سواء في مدينة بَلَرْم هو ذلك الالتقاء الفني بين شرق عربي إسلامي وشرق مسيحي بيزنطي وغرب مسيحي من شمال أوروبا.

عندما تحط بك الباخرة في ميناء بَلَرْم، ينتابك شعور بأنك في إحدى مدن جنوب المتوسط، فتخال أنك نزلت بالناظور أو طنجة أو جزائر بني مزغنة، فسائقو سيارات الأجرة وحملة الحقائب والمتطفلون والمتلصصون والتائهون وغيرهم لا يجدون غضاضة في مغازلة الركاب الوافدين، المأخوذين برائحة المدينة المستيقظة من نوم ثقيل زاده دوار البحر ثقلًا فأطبق عليهم.

وما أن تأخذ طريقك في وسط المدينة، حتى تُحس وكأن الوجوه مألوفة بعض الشيء بل إن بعض من تصادفهم قد يُلقي عليك التحية، ولولا بعض العادات غير المألوفة لدينا في بلداننا كمرافقة الكلاب، والتدخين خارج أبواب المحلات والمقاهي بدل التدخين داخلها، لاعتقدت أنك ما تزال في إحدى المدن التي ذكرناها أعلاه.

وقرب محطة القطار، وبالضبط في الحي الواقع بين كماشتي شارعي روما وماكيدو، كُتبت أسماء الأزقة باللغات الثلاث اللاتينية والعبرية والعربية، وفاء من المدينة لتاريخها الشرقي ولمسة سحرية تشدّ إليها الزوار الفضوليين والسّذج.

في قلب الأزقة الضيقة حيث لا يتسع الفضاء إلا لمن رحبت صدورهم، يمارس الصقليون مهنًا لا تجدها إلا في جنوب المتوسط كإصلاح الدراجات الهوائية والنارية، ويمتلئ الفضاء بصخب الإيطاليين ودراجاتهم وأدخنتها، وبصرخات المغاربة والتونسيين الهاربين من الفاقة والمسغبة واليأس، ممن فرشوا الأرض سلعًا صينية الصنع، دون أن يعلموا أن هذه الجزيرة تدين لأجدادهم بالكثير.

أفلا يعلمون أن أحد هؤلاء الأجداد، وهو أبو عبد الله الإدريسي، قد فرش في أرض صقلية نفسها الخرائط والدراسات الجغرافية والنباتية؟ أفلا يعلمون أن جدهم هذا قام بفتح هذه البلاد بسلاح العلم بعد أن انكسرت سيوف أجدادهم الآخرين العرب والبربر، وطردهم النورمان من الجزيرة، حتى إن بعض الأزقة الصغيرة لا زالت تحمل اسم الإدريسي؟ ولعمري كان حريًا بالإيطاليين والعرب على السواء إطلاق هذا الاسم على أكبر الجامعات . . . لكن يبدو أن الملك روجر الثاني كان آخر الساسة الذين أنصفوا الرجل ووفوه بعض حقه.

يطل سهل بلرم على البحر التيراني، ويعود الوجود البشري فيها إلى ما قبل التاريخ، فقد اكتشفت فيها رسوم ونقوش على جدران الكهوف تُصور رقصات بطقوس معينة لشعب عاش على الجزيرة قبل أن تبدده الهجرات المتتالية.

والسيكانيون هم بُناة المدينة حسب ما أورد المؤرخ اليوناني هيرودوت، حتى إذا أقبل الفينيقيون القادمون من صور سنة 734 ق.م أنشأوا مستعمرةً تجارية كانت لها علاقات تقارب وتصادم مع السيكوليين، سكان الجزء الشرقي من صقلية. ثم ما لبثت أولى المستوطنات أن تحولت إلى مدينة رائعة، أُطلق عليها اسم مابونات (Mabbonath)، التي تعني بلسان الفينيقيين «المساكن».

ومع وصول سفن اليونانيين إلى صقلية بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، حملت المدينة اسم بانورموس (panormos)، لكنها ظلت فينيقية حتى الحرب البونية الأولى، والتي سقطت على إثرها

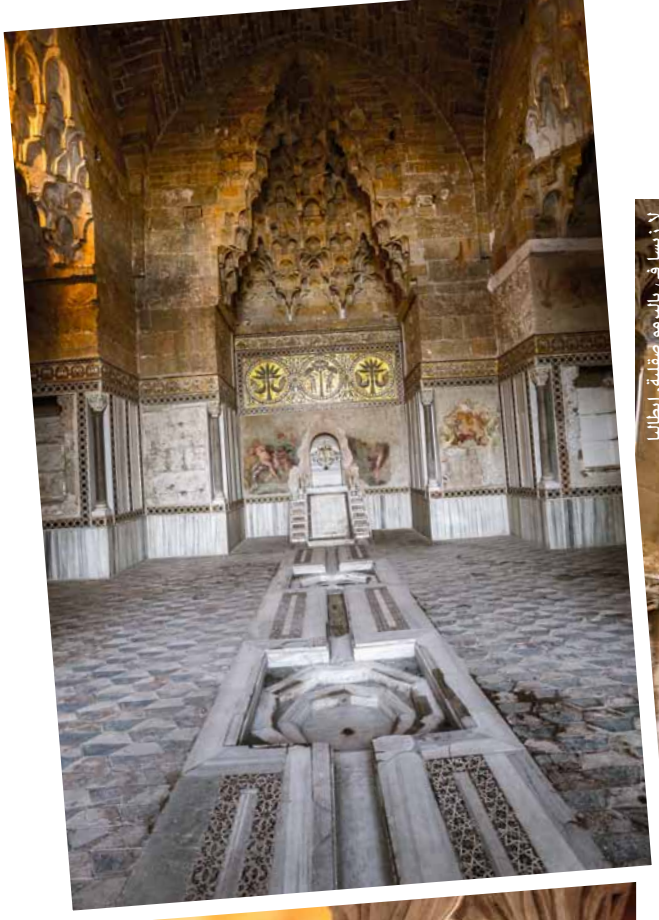

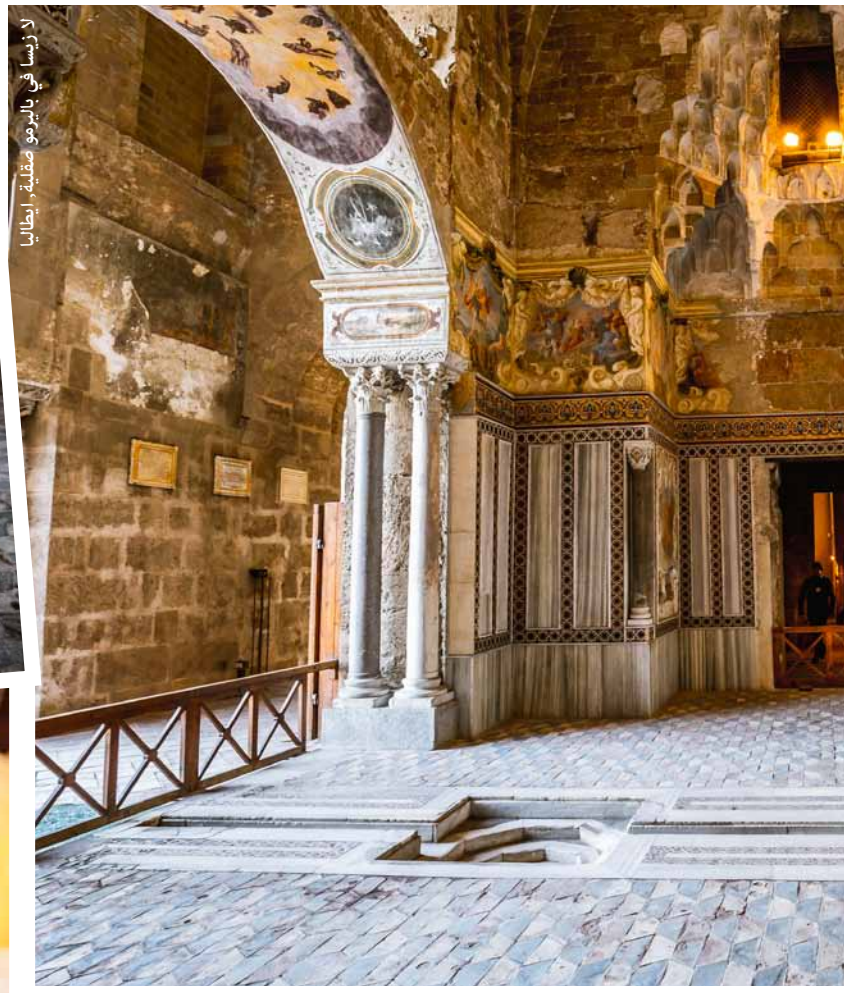

لا زيسا في باليرمو صقلية، إيطاليا

كابيلا بالاتينا في القصر الإمبراطوري من باليرمو صقلية في إيطاليا

صقلية تحت الحكم الروماني، حتى أن هملقار برقة وهو أدهى قادة قرطاج لم يتمكن من استعادتها عندما عسكر عند سفح جبل بليغرينو سنة 247 ق.م. ومع انقسام الإمبراطورية الرومانية، تَبِعَت صقلية ومعها «بانورموس» للإمبراطورية الرومانية الشرقية، ثم ما لبث أن تناوب على حكمها الوندال والقوط، وفي عام 535 م جعل الإمبراطور جستنيان الأول منها مقاطعة بيزنطية فظلت كذلك حتى وصول الفاتحين العرب.

كانت أولى غزوات المسلمين على صقلية زمن الخليفة عثمان بن عفان عام 31 هـ/ 652 م. ومع تمكن المسلمين من بناء أسطول بحري تغيرت موازين القوى في البحر، فهاجمها عبد الله بن قيس الفزازي وغنم منها الغنائم، وغزاها بشر بن صفوان الكلبي والي إفريقية في737م. ثم أرسل عبيد الله بن الحبحاب الفهري والي أفريقية قائده حبيب بن أبي عبيدة لهجوم شامل على صقلية وسردينية عام 740م، فاستولى على سيراقوسة، وتهيأ البيزنطيون فأقاموا التحصينات وانطلقت جولات من الكر والفر بين الجانبين،

حتى كانت ثورة القائد البيزنطي فيمي أويوفيميوس (Euphemius) ضد بني جلدته، فاستنجد بالأغالبة عارضًا عليهم الجزية مقابل تنصيبه حاكمًا على صقلية، فجهز القاضي أسد بن الفرات حملة ساحقة قادها بنفسه. ونقل العرب العاصمة السياسية من سيراقوسة جنوب شرق الجزيرة إلى بَلَرْم شمال شرق الجزيرة.

وفي القرن العاشر أُلحقت صقلية بالخلافة الفاطمية، واستفاد البيزنطيون من خلافات المسلمين فاحتلوا الطرف الشرقي من الجزيرة، حتى كان تعيين حسن الكلبي أميرًا فنجح في كبح ثورات البيزنطيين وبسط نفوذ بني كلب لقرن كامل، تكونت بعدها دويلات مختلفة شأنها في ذلك شأن ممالك الطوائف بالأندلس. وكأن قدر الثقافة العربية إذا نزلت بأوروبا أن تقوى قليلًا، حتى إذا استوعبت الإثنيات والأعراق والأديان، قام أبناؤها فمزقوها شر ممزق، والمدهش أن الضعف السياسي اقترن بنهضة علمية وثقافية رائعة، فالعرب أدخلوا شجرة النخيل وطوروا نظام الري، وشجعوا الصقليين على زرع الحمضيات والقطن وشجر التوت الذي استخدموه لتربية دودة القز وصنع الحرير، وطوروا الهندسة المائية فاستخدموا نظم الريّ المعتمد على النواعير والقناطر.

وصول النورمانديين وتغير الأحوال

وبقيت صقلية تحت راية الإسلام حتى وصول النورمانديين (وهم من الفايكنج القادمين من شمال أوروبا) بعدما حصلوا في العام 1059 على مباركة من البابوية الراغبة في إعادة تنصير الأراضي التي فقدتها بيزنطة.

وكان روبرت جيسكارد النورماندي أول غُزاة الجزيرة عام 1060 وهي منقسمة إلى ثلاث إمارات إسلامية، واحتل روجر الأول من بعده كالابريا، فصارت ميسينا (وهي بوابة صقلية الشرقية) طوع بنانه، وزحف إلى بلرم عام 1072م فحاصرها، وأدى سقوطها إلى سقوط صقلية العربية عام 1091، حتى إذا أسدل القرن الحادي عشر ستاره كانت هيمنة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط قد ضعفت، قبل أن تتلاشى نهائيًا في القرون اللاحقة. وفي عام 1130 استلم روجير الثاني زمام الحكم من البابا أناكليتوس الثاني ووحد مملكته وعاصمتها بلرم. وما أن أفل نجم النورمانديين، حتى توالى على حكم صقلية آل أنجو وآل أراغون وملوك إسبانيا ممن إذا دخلوا أرضًا أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة. فتلتها حروب فرنسا والنمسا وإسبانيا، وذهبت صقلية إلى فيتوريو أميديو الثاني (من آل سافويا) ثم عادت عام 1734 إلى آل بوربون، ولما شاركت في الحركات الثورية في بدايات القرن التاسع عشر، صب البوربونيون جام غضبهم عليها وقصفوا مدنها بالقنابل (حتى أسمى الصقليون الملك فرديناندو الرابع بـ «الملك القنبلة»). ثم حلّ بها قائد التحرير جوسيبي غاريبالدي، فانضمت إلى مملكة إيطاليا الموحدة، وفي 1947 صارت صقلية إقليمًا ذاتي الحكم وعاصمتها باليرمو.

قصر النورمان

يعد المصلّى البلاطيني capella palatina في قلب قصر النورمان بمدينة بلرم، مثالًا استثنائيًا على تمازج الفنون المسيحية الشرقية والغربية والفن الإسلامي. لقد بدأ تشييد المصلى في العام 1130 في عهد روجير الثاني، ولجأ مهندسوه إلى الاستعارة من الكنائس اللاتينية والكنائس اليونانية معًا. ويتميز بوجود فضاء يُذكّر بالفن البيزنطي في القبّة الواقعة على تعامد الأسكوب بالبلاط المحوري، تدعمها عقود الزوايا من الجنبات. ويتألف الجزء الغربي من الكنيسة من جناح واحد وأجزاء جانبية بخمسة أضلع. أما النمط الأيقوني فيكاد يتطابق مع نمط الكنائس البيزنطية. فصورة المسيح (بانطوكراتور) تتوسّط القبّة وتشير النقوش باللغة اليونانية والأسلوب

المستخدم إلى أن هذه الفسيفساء بالتحديد من عمل صُناع بيزنطيين. كذلك رُسمت في الجناح ملحمةٌ من العهد القديم، وفي الأجزاء الجانبية مشاهدٌ من حياة القديسين بطرس وبولس وهو موضوع كنسي غربي لا يُمكن لمن اطلع على تاريخ الفن المسيحي إلا أن يستغرب وجوده في فضاء بيزنطي، لكن الغرابة سرعان ما تنمحي حين تنتصب المقرنصات شامخة معلنة عن ثورة في الفضاء المعماري، والمقرنصات من أهم عناصر العمارة العربية الإسلاميّة، ويسمى المفرد منها في اللسان المغربي الدارج بالمقربص (بالباء بدل النون)، وهو شكل هندسي أشبه ما يكون بمحراب صغير، ويُستعمل متزاحماً متكاثراً في صفوف يلتصق بعضها ببعض، فتتصل الجدران بالسقوف والقِباب بالعقود، وتفضي من مربّع قاعدة القبّة إلى الأركان والفضاءات

العليا. كما تنضم إلى مقرنصات البالاطيني النقوش الكوفية، فتبدو التيارات الفنية في المصلى كتيارات البحر الأبيض المتوسط ويتزعزع البرزخ بين حضارتين عظيمتين التقيتا، ثم تبدو مختلف العناصر الهندسية وكأنها تخوض معركة زخرفية ودينية في صمت.وعندما يهم الزائر بالخروج من القصر النورماندي، يجد نفسه أمام لوحة من المرمر كانت جزءا من آلة لرصد الساعات درست ولم يبق منها إلا نقوش باللغات الثلاث اللاتينية واليونانية والعربية، منقوش عليها بالعربية بخط نسخي جميل: «خرج أمر الحضرة الملكية العظيمة الرجارية العلية أيد الله أيامها وأيد أعلامها بعمل هذه الآلة لرصد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثلاثين وخمسمائة».

قصر عزيزة بلرم

أما قصر عزيزة بلرم (Zisa)، فهو أحد أجمل الإقامات الحضرية، يعود تشييده للنصف الثاني من القرن الثاني عشر خلال مرحلة

الحكم النورماندي، ويقع في منتزه فسيح تحيط به الحدائق والفسقيات والأحواض. ويُقرأ اسم العزيز على نقيشة تزخرف باب مدخله الأرضي. ويتصل المبنى بكنيسة صغيرة مهداة إلى القديسة س.س.ترنيتي. ومن مميزاته أن الواجهات المقطوعة تنتهي بعقود كبيرة، وإفريز منقوش بحروف كوفية، كما يتميز بتصميم مستطيل وتماثل محوري إذ تتوزع القاعات حول محور النافورة بتناسق وانتظام. أما القاعة الموجودة بالطابق العلوي فتتميز بوجود التصميم نفسه، على أنها وفرت مسارًا لماء الأمطار نحو حوض مرمري. وقد تم تهيئة نظام فتحات في سُمك الجدران الداخلية مع قنوات للتهوية داخل الأبراج الجانبية التي كانت تسمح بمرور الهواء، مما كان يؤمّن درجة حرارة ملائمة في الداخل، حتى عندما ترتفع درجات الحرارة. ومن أجمل ما في عزيزة بلرم نظام معالجة الماء، فالماء يترقرق من قاعة المدخل إلى منحدر مزخرف وصولًا إلى الفسقيات الأنيقة قبل أن ينهي مسيرته بحوض تربية الأسماك الكبير أمام القصر. وبالعودة إلى الطابق الأرضي يمكن الولوج إلى قاعة الفسقية عن طريق بهو له نفس أبعاد البناية، وقد تم تصوره على شكل إيوان مزخرف بالمقرنصات تحيط بها زخارف لجداريات ملونة تمثل تجسيمات مختلفة، وكأن المعركة التي بدأت في مصلى البالاطين تستمر في قصر عزيزة. خارج مدينة بلرم وعلى بعد ثلاثين كيلومترا من قصر النورمان، وقع اختيار الملك غيوم الثاني دي هوتفيل على موقع مونريالي لتضم ديرًا بينيديكتيًا، رقّاه عام 1183 إلى أسقفية، صارت بدورها كاتدرائية لا مثيل لها، فهي آخر مؤسسة ملكية نورماندية في صقلية، وقد نافست كنيسة البالاطيني في بلرم وكاتدرائية سيفالي بأبعادها وغنى زخارفها. بل أنها أوسع بناء مزيّن بالفسيفساء في غرب القرون الوسطى، ونجحت في وضع مشاهد بيزنطية في صدر الكنيسة ومشاهد من العهد القديم في أجنحتها. فأخذ السيد المسيح مكاناً في القبة النصفية لصدر الكنيسة، بينما وضعت أمه مريم في مكان يقع تحت القدرة الكلية، وقد أحاطت بها الملائكة. أما زخرفة الأجنحة فهي تحكي قصص العهد القديم، وكأنها كنائس روما المسيحية الأولى، وقد جرى في مونريالي عرض فصول التكوين منذ خلق العالم إلى صراع يعقوب مع الملاك. كما وُضعت لوحة تتويج غيوم الثاني على ركيزة تقع شمال- شرق المربع المركزي، تحت العرش الملكي، فيبدو المسيح جالسا في المواجهة على العرش، وحاملاً بيده كتاباً مفتوحاً كتبت عليه عبارة «أنا نور العالم» وباليد الأخرى يتوّج الملك غيوم الثاني الذي يرتدي ملابس تقليدية بيزنطية.

ويسود الاعتقاد لدى جمهور مؤرخي الفنون بأن انتهاء أوراش البناء كانت بالتزامن مع وفاة غيوم الثاني. ولا زال الرواق الملتصق بالجناح الجنوبي للكاتدرائية شاهدًا على الدير الأصلي، ويتميز هذا الرواق بانتظامه وحسن تخطيطه، كما تحيط بالحديقة المركزية أربعة أروقة. بها بناء صغير لا سقف له يحيط بنبع مياه ضخم واقع في الزاوية الجنوبية الغربية. وكل رواق من جانب الحديقة محدد بستة وعشرين زوجًا من الأعمدة الصغيرة وضعت على جدران مزخرفة نظمت فيها ممرات محورية. تزيّن الزوايا مجموعة من أربعة أعمدة صغرى متقاربة، فيصير عددها الإجمالي 208، وإذا احتسبنا الركائز الإضافية صار المجموع 220 عمودًا، تعلوها التيجان المزدوجة أو الرباعية فتسقط عليها عقود الأروقة. وترتسم زخارف هندسية الشكل بفضل تنضيد الحجارة الملونة، فجذوع الأعمدة ملساء تارة، ومنحوتة تارة ومزيّنة بالمرصعات أو بفسيفساء على تكوينات هندسية. والتيجان مزينة بدورها، وتضم بعضها زخرفات بتوريق تتخللها تماثيل لطيور صغيرة ومقاطع من الكتاب المقدس. وزينة هذه الركائز هي التي جعلت شهرة هذا الدير تطبق الآفاق.

بين روجر والإدريسي

يبدو كل حديث عن صقلية وبلرم ناقصًا إن لم يعرج على أبي عبد الله محمد بن محمد العلي بأمر الله الإدريسي، وهو الجغرافي العربي الذي وضع «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وقد بدأ هذا العمل العلمي بخريطة لنصفي الكرة الأرضية وضعها بطلب من ملك صقلية روجر الثاني، ثم شرح في الكتاب ما لم يكن في وسع الخريطة نقله من وصف للبلدان وقياس للمسافات، ولم تفته المساكن والعمائر. غادر الإدريسي بلاد المغرب الأقصى والأندلس ليمنح علمه لصقلية النورماندية، ربما لكون المرابطين حكام المغرب الأقصى آنذاك منشغلين بحروبهم مع الموحدين وبقضايا الفقه والسياسة، وكان روجر معروفًا بشوقه للمعرفة. شرح الإدريسي للملك موقع الأرض في الفضاء وشبهها بصفار البيضة المحاط ببياضها كما الأرض في السماء تحيط بها بالمجرّات، واستخدم الخطوط الأفقية على الخريطة والكرة الأرضية التي صنعها، بيد أنها دُمِّرت خلال اضطرابات

كاتدرائية مونريال، صقلية، إيطاليا

صقلية اللاحقة. كما قام بتحديد مصدر نهر النيل، واضعًا نقطة تقاطع نهر النيل تحت خط الاستواء قبل الوصول إلى مصر، أي في المكان الذي تلتقي فيه روافد نهر النيل في السودان، من النيل الأبيض والنيل الأزرق وهما يلتقيان تحت خط الاستواء. وخريطته الشهيرة إحدى أدق خرائط العالم القديم، وتم إنشاؤها في سبعين صفحة مزدوجة، وتبدو الخريطة لغير العارفين وكأنها قد قلبت «رأسًا على عقب» بينما كانت مرجعية الشريف الإدريسي تتمثل في أن الشمال لا يقع دائما في الأعلى وأن الجنوب لا يقع دائما في الأسفل، وأن أوروبا يمكن أن تكون في الأسفل بينما تكون إفريقيا في الأعلى، لقد استوعب الأوروبيون دروس الإدريسي العلمية، إلا مسألة كون أوروبا في الأعلى، فهي مُسلمة بطليموسية غير قابلة للنقاش. وما إن شرع الإدريسي في تحرير كتابه في 1154 حتى توفي الملك روجر الثاني، فأنهى التأليف في عهد الملك غيوم الأول، واختفى بعد ذلك تماماً ولم يُعثر له على أثر ■

خريطة الإدريسي التي رسمها للملك روجر الثاني

أنطونيو ألفاريز وبثينة بنت المعتمد

أحمد فرحات *

التقيت به الشهر الماضي في بيروت، هو الذي يزور المدينة بين الفينة والأخرى، بداعي اقترانه من إحدى حسناواتها. وفي أغلب زياراته المتكرّرة للعاصمة اللبنانية، كان الشاعر الإسباني الصديق أنطونيو خوسيه الفاريز يحرص على أن ألتقي به في منزله الأنيق في إحدى بلدات الجبل اللبناني المشرفة على العاصمة، والذي سرعان ما يتحوّل (أي المنزل) إلى صالون أدبي ذي نكهة لبنانية – إسبانية، وتحديداً أندلسية، كون الشاعر الفاريز من أبناء أشبيلية، رابع أكبر مدينة في إسبانيا اليوم، وواحدة من أبرز وأعمق الحواضر التاريخية العربية الزاهرة في أندلس العرب القديم، والذي لا يمكن أن يُمحى من ذاكرتهم الجماعية على كرِّ السنين والقرون، بخاصة وأنها مدينة المعتمد بن عبّاد، كبير ملوك الطوائف وكبير الشعراء الملوك، التي تقع على ضفاف نهر الوادي الكبير، وما أدراك ما نهر الوادي الكبير، مهوى أفئدة الشعراء، وملعب عشقهم، وسجلّ منافساتهم في القريض، حيث كانوا يهوون إليه من كل حدب وصوب لأجل إحياء مباريات شعرية دوريـة في «مرج الفضّة» المحاذي لشاطىء النهر. ويؤكد ابن خلدون أهمية هذه المباريات الشعرية، حين يروي أن لجاناً فاحصة كانت تشرف عليها، وتقلّد الجوائز الدورية السنوية للشعراء الفائزين، وذلك على غرار ما يجري في غير مكان من دنيانا الثقافية العربية اليوم.

وأشبيلية، التي كانت تسمّى في الماضي الأندلسي بـ«حمص»، لأن عرب حمص وبلاد الشام كانوا أول من نزل فيها، هي أيضاً مدينة الشاعرين الإسبانيين الكبيرين المعاصرين: أنطونيو ومانويل ماتشادو، اللذين يفخران بجذورهما الأندلسية العربية، وما يندّ عن هذه الجذور من تجلٍ إبداعي وحضاري مستدام. يقول الصديق الشاعر الفاريز، إنه تربطه بالأخوين ماتشادو علاقات عائلية بعيدة، من جهة جدّته لأمه، وإن والدته، كانت بين الفينة والفينة تُذكّره بهما، خصوصاً «بعدما عَرَفتْ واستسّلمتْ لواقع أن الشعر بات منهج حياتي ومصيري إلى الأبد».

ويظلّ الشاعر الفاريز يُردّد على أنه نتاج أشبيلية مدينة الشعر والشعراء، حكّاماً ومحكومين منذ غابر الأيام؛ وهو محقّ في ذلك كل الحقّ؛ فالبلاط العبّادي برعاية الملكين الشهيرين: المعتضد والمعتمد بن العبّاد، كان يزخر بأهل الشعر والأدب والعلم والنقد. ويقال إن الملك المعتمد، الذي اشتهر بالأدب والشعر، اشتهاره كملك عظيم بين ملوك عصره، لم يكن يُنصّب وزيراً أو كاتباً أو قاضياً في بلاطه، ما لم يكن شاعراً أو عالماً أو متفلّسفاً في الصميم. وكان يصادق الكثيرين منهم، ويحرص على استدعائهم من أماكن بعيدة، فيكرمهم، ويُحسِن وفادتهم، ويُساجِلهم في القول الشعري والبيان اللغوي والرواية التاريخية، وفي الطليعة بين هؤلاء، الشاعرين الكبيرين: ابن عمّار وابن زيدون.

ومنذ صغره، فضّل المعتمد بن عبّاد مخالطة بيئة الشعر والشعراء على بيئة السياسة والسياسيين، حتى صار أكبر شاعر في بقاع الأندلس وبلاد المجريط (إسبانيا الإسلامية). كما حرص مليكنا على أن يتزوج من شاعرة هي اعتماد الرميكية، وينجب منها شاعرة هي الأميرة بثينة بنت المعتمد.

شهرزاد واقعية

عشق الشاعر أنطونيو خوسيه الفاريز سيرة الشاعرة بثينة بنت الملك المعتمد بن عبّاد، وهو بصدد كتابة رواية شعرية عنها، إذ يرى فيها شهرزاداً عربية واقعية، وأجمل أميرة حسناء ظلّت مبدئية ومخلصة لأبيها الملك، خصوصاً بعد النكبة التي حلّت به

على يد قوات يوسف بن تاشفين، التي دخلت القصر الأشبيلي، وأعملت فيه قتلاً ونهباً وتخريباً، ثم أسرت الملك المعتمد وزوجته، وحَمَلتهما معاً إلى القائد بن تاشفين في مراكش، الذي أمر بدوره بوضعهما في الإقامة الجبرية الدائمة في بلدة أغمات بالقرب من مراكش، حتى وفاتهما فيها.

أما الأميرة الشاعرة بثينة، فعرفت كيف تندسّ في صفوف من سُبِي من نساء القصر وغير القصر، ولم تنبس ببنت شفة أمام أحد، بأنها بنت الملك المعتمد، خوف القتل والسحل. وبما أنها امرأة مسبيّة، فلقد عُرِضت مع نساء كثيرات للمساومة والبيع، وحدث أن اشتراها أحد تجار إشبيليا الكبار، وهو لا يعلم من أمرها شيئاً. ولأنها كانت جميلة وجذّابة، فتيّة ومغرية، قرّر التاجر إهداءها إلى ابنه، فسُرّ الولد بهدية الأب الثمينة. ولما قرّر الاختلاء بها، كانت المفاجأة الكبرى بأن صارحت الشاب بهويّتها قائلة: «لن أسمح لك بأن تمسّني إلاّ بعد عقد قرانٍ بيننا، ينال موافقة أبي في المقام الأول». دُهش الشاب من كلامها وشرطها، ولم يكن أمامه من خيار سوى أن يستسلم (مع أبيه طبعاً) لمطلبها؛ فتولّت هي كتابة الرسالة إلى أبيها، وتولّى الشاب، ووالده، توصيل الرسالة إلى المعنيّ بها. والرسالة كانت عبارة عن قصيدة تُفنّد فيها الأميرة الابنة تفاصيل مطلبها من والدها الملك. والقصيدة التي طاولت شهرتها مدارات الأدبين العربي والعالمي، هي، مع الأسف، كل ما تبقّى من شعر هذه الشاعرة الاستثنائية الذي ضاع كله، كحال ضياع كثرة كاثرة من أشعار نظيراتها الأندلسيات المقتدرات. وبعدما تسلّم الملك القصيدة / الرسالة في معتقله، كان جوابه لكريمته ما يلي:

بُنيّتي كـــــوني بـــــه برّة
فقد قَضَى الوقتُ بإســـــعافه

أما قصيدة الأميرة بثينة إلى أبيها الملك فتقول:

اسمع كلامي واستمع لمقـــالتي
فهي السلوك بَدَتْ من الأجـــياد
لا تُنكروا أنـــــي سُبيت وأنـني
بنتٌ لمـــــلكٍ مـــــن بني عبّاد
ملكٍ عظيمٍ قـد تولّى عـــصره
وكـذا الزمانُ يؤولُ للإفْـــــساد
لمـــــّا أراد الله فُرقَةَ شـــملنا
وأذاقنا طعمَ الأسـى مـــن زاد
قام النفاقُ على أبـي فـي مُلكِهِ
فدنا الفِراق ولم يكُنْ بِمُـــــراد
فخرجت هاربة فجازني امـــــرؤ
لم يأتِ في إعـــجابه بسُـــداد
إذ باعني بيع العـــــبيد فضمّني
مـــن صانني إلاّ مـــــن الأنكـــاد
أرادنـــي لنـــــكاحِ نـــجلٍ طاهرٍ
حسنٌ الخلائق من بني الأنـــجاد
ومضى إليكَ يسوم رأيكَ في الرضا
ولأنتَ تنظرُ في طريق رشـــادي
فعـــساك يا أبـــتي تعرّفني بـــه
إن كـــــــان يُرتـــجى لـــوداد
وعسى رميكية الملوكِ بفـــضلِها
تدعو لنـــــا باليمـــــن والإسعاد

ويعلّق الشاعر ألفاريز على صنيع الشاعرة بثينة متسائلاً: أليست هذه المرأة، هي شهرزاد واقعية هذه المرة، فرضت نفسها على الشاب ووالده، فاستمهلتهما أكثر من شهرين بلغة اليوم، حتى تحقّق لها ما أرادت؟!.

وأردف الشاعر ألفاريز متسائلاً أمامي: ألا ترى معي أن ثمة تجليّات ملحمية في سيرة هذه الأميرة العربية، تضارع ربما مزايا وصفات نساء أسطوريات في ملاحم فينيقية وإغريقية شتى، مع فارق أنها امرأة حيّة، والأخريات هنّ من بنات خيال الشعراء؟

كان جوابي للصديق أنطونيو مكثفاً وضاغطاً: إن فيها شيئاً من خلاصة حضارة إنساننا العربي الكبير، والذي يجري مسخ تاريخه وتراثه وحاضره كل يوم، بل كل لحظة في زمننا الأدكن والأردأ هذا.

وفي كل الأحوال، بُوركت يُمناك يا أنطونيو، التي ستُسطّر رواية، أو بالأحرى، ملحمة شعرية جديدة، من خلال شخصية هذه الشاعرة الأميرة الأثيرة، لعلها تفتح كوّة بيضاء وسط هذا السواد العربي، الذي هو بآلاف الألوان ■

* كاتب وباحث من لبنان

كفيلة بإعادتنا إلى العصر الحجري

الدكتور سعد الدين الهلالي:

كتب الفقه اجتهادات لا قدسية لها

حاوره - محمد زين العابدين

نفى الدكتور عز الدين الهلالي أستاذ الفقه المقارن فى كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهـر أن يكون لكتب التراث أو لأصحابها وصاية على الناس. وقال في حوارنا التالي معه إن الإسلام لا يحتاج إلى الحماية من أي وصي، وأضاف أن «المؤلفات والمصنفات الدينية، قديمها وحديثها، ينطبق عليها ما ينطبق على أي مؤلف أو مقالات رأي، فابن تيمية أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من العلماء هم فى الأصل رجال علم وباحثون مجتهدون، مثلهم مثل أي أستاذ جامعى بمقاييس العصر الحديث، وجميعهم كان لهم نتاج علمي وثقافي كتبوا فيه ما يمليه عليه ضميرهم، وكانت لهم اجتهاداتهم وآراؤهم الخاصة التي لا تمثل في حد ذاتها حجة على من سواهم وليست لها قداسة مطلقة».

ودعا الهلالي إلى «إلغاء الجماعات والأحزاب والعصابات الدينية لأنها توقد الفتنة وتزكي نار الحروب الأهلية»، ورأى أن تجديد الخطاب الديني يبدأ بأن يستنير الناس ويتعلموا ثقافة النقد، فالعالم -على حد تعبيره- به العديد من الأديان السماوية وغير السماوية وإذا كنت أنا اخترت الدين الإسلامي باعتباره الدين الخاتم فلك الحرية في أن تدين بما شئت ولا أفرض عليك اختياري.

■ أولاً أحب أن أسألك هل نحن جادون في تجديد الخطاب الدينى، وما هو المدخل لتحقيق ذلك؟

المدخل احترام تفرد كل تخصص في العلوم الدينية عن غيره من التخصصات، فهناك علم الفقه المقارن، وعلم الحديث، وعلم العقيدة، وعلم التفسير، وعلم الدعوة، إلى غير ذلك من التخصصات الدقيقة، وللأسف يقع الإعلام والنخب في خطأ فادح بالاعتقاد أن كل من يتحدث فى الخطاب الديني هو «عالم كشكول» أو «شيخ دين شامل» يمكن اعتباره مرجعية، إذا استمر هذا الحال على ما هو عليه فلا أمل في الإصلاح أو التجديد.

■ تحدثت عن الإعلام والنخب، ماذا عن الناس وهم الطرف الأهم في الموضوع؟

الشعب – الذي يتهمه البعض بأنه أمي وغير واع- استطاع منذ زمن التفريق بين التخصصات الطبية والهندسية، انظر كيف احترمنا في ثقافتنا المجتمعية -على اختلاف شرائح المجتمع- التخصصَ الدقيق في كل المجالات لدرجة أن الكل يستطيع التفريق بين طبيب الباطنة وطبيب العظام وطبيب الرمد مثلاً، والشيء نفسه في الهندسة وغيرها.

■ لابد وأن هناك سببًا لذلك؟

السبب أن أصحاب هذه التخصصات احترموا تخصصاتهم وبصّروا الناس بها، ولم يفعل ذلك أصحاب الخطاب الدينى، الذين تعالوا على الشعب واعتبروا أنه لن يستطيع التفريق، ولم يفعل الإعلاميون والنخب أيضًا ذلك، لم يقوموا بالتفريق بين التخصصات في العلوم الدينية.

وعندما أواجه محتكري الخطاب الديني بأن الشعب يريد أن يعرف

الرأي والرأي الآخر ويتعلم الاختلاف ويدرك الفرق بين التفسير والحديث مثلاً، وبأنه لا بد أن يلتزم الكل بالتحدث في تخصصه؛ يتعالون بالقول بأن الشعب ستحدث له بلبلة بفعل الآراء المختلفة إذا تركنا له حرية الإختيار من بينها، وأنه لكي نريحه ونريح أنفسنا نذكر له ما نراه مناسباً.

■ **ولماذا لم ينتبه علماء الدين إلى إزالة هذا اللبس بين تخصصات العلوم الدينية؟**

السبب أن أصحاب الخطاب الديني حريصون كل الحرص على أن يبقى الشعب بالنسبة للخطاب الدينى أمياً وأن يظلوا أسياداً كأنهم وكلاء عن الله فى الأرض يلقون إليهم بإملاءاتهم ويتحكمون فيهم حسب أهوائهم ويصدرونها على أنها هي الدين، مع أنها مجرد اجتهادات شخصية منهم، أو قل إنها اختياراتهم التفضيلية.

نحن نعلم –مثلاً- أن العالَم به العديد من الأديان السماوية وغير السماوية، والمنطق الطبيعي عندما يسألني سائل عن الدين أن أقول إنني اخترت الإسلام باعتباره الدين الخاتم، وأنت لك الحرية في أن تدين بما شئت ولا أفرض عليك اختيارى. بل أقول إن الأديان السماوية جاءت بتدرج معين وأنني اخترت الدين الخاتم باعتباره يشمل السابق واللاحق وهذا هو ارتياحي أو اقتناعي الشخصي. هذه تعتبر إجابة شاملة وصادقة؛ فلماذا نصدّر للعالم أن ديننا هو الدين الأوحد الذي من يختار غيره لا بد من معاداته؟ لو أراد الله عز و جل أن يجعل البشر جميعهم مسلمين لفعل، بل قال في كتابه العزيز: «لا إكراه فى الدين»، وخاطب الرسول الذي اصطفاه بقوله «ما على الرسول إلا البلاغ».

■ **كيف إذن نضبط الخطاب الديني؟**

كما ذكرت لك؛ لن ينضبط الحال إلا إذا تم احترام التخصص في العلوم الدينية، ما بالنا نجد أناساً يظهرون على شاشات الفضائيات يتحدثون في الدين بالرغم من أنه ليس تخصصهم؟ بعضهم أساتذة قانون ويتحدثون في الفقه والتفسير. وإذا كان الإعلام غير مدرك لحقيقة أن أصحاب الوظائف الإدارية الكبرى، مثل وزير الأوقاف أو المفتي أو رئيس جامعة الأزهر أو شيخ الأزهر أو غيرهم، لا ينبغي لأي منهم -عند التعرض للأمور العلمية الدقيقة - أن يتحدث إلا فى مجال تخصصه العلمي الدقيق، فعلى هؤلاء أنفسهم أن ينتبهوا لذلك، وعندما يفعلون غير ذلك يجب أن يُؤاخذوا، ولا ينبغي لنا أن نعتبر أن أي رأي لهؤلاء -مع كامل الاحترام لهم- هو الرأي الأوحد الذي لا يمكن أن نسمع رأياً آخر غيره، فليس هناك كهنوت في الإسلام أبداً.

الهلالي ومراسل تراث

■ **وهل لهذه المعضلة من حل؟**

من وجهة نظري حل هذه المعضلة سيأتي من عامة الشعب وليس من المتصدرين للمشهد، فقد يكون فيهم الحريصون على بقاء الوضع على ما هو عليه لأن المكاسب كبيرة، ولكن عندما يستنير الشعب فسوف يُخضع كل رأي لعقله وضميره ويراجع من يقوله فلا يجرؤ عالم مهما علا منصبه الإداري أن يتحدث إلا في تخصصه أو يناقش رسالة علمية في الجامعة في تخصص غير تخصصه الأصلي.

■ **تتحدث دائمًا عن ضرورة وجود تعددية للآراء ليختار الناس من خلالها ما يرتاحون إليه؟**

بدون شك، وهنا تبرز أهمية التخصص وخطورته، فعندما نسأل أستاذاً في علم العقيدة أو الفقه مثلاً سؤالاً معيناً يجب أن يعطينا إجابة شاملة تشمل كل الآراء والإجابات العلمية الموجودة في الكتب لكل أهل هذا التخصص عن هذا السؤال، ولأضرب لك بعض الأمثلة للتوضيح فموضوع مثل حكم عذاب القبر ونعيمه كتبَ فيه أهل التخصص على مدار أكثر من 1400 سنة وبه عدة آراء مختلفة فنصف العلماء أقر بأن عذاب القبر ونعيمه حق وأن من ينكره فاسق ونصفهم الآخر ذكر أن عذاب القبر ونعيمه أمر معنوي ليس له توابع مادية في القبر، ولكلا الفريقين أدلته العلمية.

ويجب التفريق بين المعرفة والتخصص فعند سؤال غير المتخصص سيعطي لنا إجابة واحدة بينما عند سؤال المتخصص فإنه سيعطينا الإجابات المتوفرة.

والنتيجة الطبيعية لثقافة تعدد الآراء هي القضاء على التعصب، فالمتعصب بوسعه أن يضيق على الناس بأن يقول لهم أن من ينكر عذاب القبر فاسق وربما يصل المتشددون إلى تكفيره.

> دعا الهلالي إلى «إلغاء الجماعات والأحزاب والعصابات الدينية لأنها توقد الفتنة وتذكي نار الحروب الأهلية»، ورأى أن تجديد الخطاب الديني يبدأ بأن يستنير الناس ويتعلموا ثقافة النقد، فالعالم – على حد تعبيره– به العديد من الأديان السماوية وغير السماوية وإذا كنت أنا اخترت الدين الإسلامى باعتباره الدين الخاتم فلك الحرية فى أن تدين بما شئت ولا أفرض عليك اختياري

أهمية تنقية التراث

■ **يثار الكثير من الحديث حول أهمية تنقية التراث وتنقية مناهج تدريس علوم الدين، كيف في رأيك يحدث ذلك؟**

المنوط به تنقية المناهج والتجديد هو الشعب نفسه وليس النخبة، فمثلاً يجب على الأهل في المنزل الاطلاع على الكتب الدينية المقررة على أبنائهم فإذا وجدنا فيها ما يناقض جوهر الدين أو لا يقره العقل فيجب تصعيد الشكاوى إلى وزير التربية والتعليم أو شيخ الأزهر وإبلاغهم بضرورة تغيير هذه الموضوعات المقررة التى لا يليق تدريسها، فإذا كان الضغط شعبياً فلن يجرؤ المحتكرون للخطاب الدينى على الوقوف أمام هذا الضغط ولا بد أن يستنير الناس ويتعلموا ثقافة النقد لأنه إذا تم حشد بعض المتخصصين من أجل تنقية المناهج فسوف يطبقون وجهة نظرهم فى اختياراتهم للموضوعات على الشعب وربما بعد ذلك يتم تغيير ما قاموا هم بتغييره .

■ **شاع في الفترة الأخيرة انتقاد مناهج ابن تيمية والأئمة الأربعة، كيف تنظر إلى ذلك التوجه؟**

الحقيقة أن كل من ذكرتهم هم في الأصل رجال علم وباحثون مجتهدون، مثلهم مثل أي أستاذ جامعي بمقاييس العصر الحديث، وجميعهم كان لهم نتاج علمي وثقافي كتبوا فيه ما يمليه عليه ضميرهم، وسواء ابن تيمية أو شيخ الأزهر أو مفتي الجمهورية كان لهم اجتهاداتهم وآراؤهم الخاصة التي لا تمثل في حد ذاتها حجة على من سواهم وليست لها قداسة مطلقة، وبالتالي ينطبق على المؤلفات والمصنفات الدينية قديمها وحديثها ما ينطبق على أي مؤلف أو مقالات رأي، ومن هنا تحرص بعض دور الصحافة والنشر في العصر الحديث على ذكر عبارة «الآراء المطروحة منسوبة إلى أصحابها»، ولا بد من تفكيك العلاقة فليس لكتب التراث ولا لأصحابها وصاية علينا وليس للجميع أي وصاية على الإسلام ولا يحتاج الإسلام إلى الحماية من أي وصي، وبدلاً من الصدام والتهجم نرد على أي صاحب رأي برأي آخر فنبادله الحجة بالحجة بهدوء.

وعلى سبيل المثال أوضحتُ فى عدة مقالات ملامح حضارية مشرقة عديدة في فكر ابن تيمية، وله فتاوى حضارية جداً بالنسبة للمرأة، ولكن إذا أخضعنا أنفسنا لكل الآراء الواردة بكتب الفقه -رغم كونها اجتهادات لا قدسية لها- لرجعنا إلى العصر الحجري، لك أن تتعجب مثلًا حين تعرف أن جمهور الفقهاء في كتب التراث يقولون «من سار فى الطريق حاسر الرأس سقطت مروءته ولا تُقبل شهادته!».

إلغاء الجماعات والأحزاب الدينية

■ **كيف نحقق السلام الإجتماعي في مجتمعنا الذي يشهد حالة من الغليان؟**

لا بد من إلغاء الجماعات والأحزاب والعصابات الدينية لأنها توقد الفتنة وتذكي نار الحروب الأهلية، ولا بد من ترك الجميع أحراراً دون وصاية من أحد يتنافسون في فعل الخير من دون أن يتصادموا، ليتحقق قول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما

الأستاذ الدكتور سعد الدين الهلالي

أستاذ الفقه المقارن في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر. ناقش وأشرف على عشرات الأطروحات العلمية بجامعة الأزهر والعديد من الجامعات المصرية والعربية وتولى من قبل عمادة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بفرع جامعة الأزهر فى أسوان (1994-1995) ثم بفرعها فى دمياط (1995-1997) كما تولى رئاسة قسم الفقه والأصول في كلية الشريعة بجامعة الكويت (2002 - 2004) وهو حاصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام 2003 عن أحسن كتاب مؤلف باللغة العربية وهو «البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية» وجائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت في مجال الفقه الطبي عام 2006، كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم القانونية والإجتماعية في جمهورية مصر العربية عام 2007، كما نال عشرات شهادات التقدير من جامعات الأزهر والكويت وجامعة العين بدولة الإمارات والرئاسة العامة لتعليم البنات بالسعودية، له عشرات المؤلفات الموسوعية القيمة من بينها: حقوق الإنسان في الإسلام، والمهارة الأصولية وأثرها فى النضج والتجديد الفقهى، والمهنة وأخلاقها، والجانب الفقهى والتشريعى للاستنساخ .

كنتم تعملون»، و«وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» وخاطب الله نبيه الكريم بقوله تعالى «إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» وفي آية أخرى «ما على الرسول إلا البلاغ»، فإذا كان هذا دور النبي الكريم فلماذا ننصب من أنفسنا أوصياء على المجتمع؟ الخلاصة أنه يجب أن يفهم المسؤولون عن الخطاب الديني أن وظيفتهم التعليم والوعظ ونشر المعلومات بأمانة من دون إخفاء وأن يحترم الكل تخصصه وأن يبتعدوا عن الوصاية.

■ **ثمة تخوفات من ظاهرة الإلحاد التي يبدو أنها شاعت هذه الأيام، كيف في رأيك يكون التعامل مع هذا الأمر؟**

وظيفتنا في الحوار مع أي تيار تقديم الشعاع الهادي لهم في الطريق فقط، وأن نحاول إنارة عقولهم ونترك لهم في النهاية حرية الإختيار من دون التصادم معهم، فالقرآن الكريم نفسه يقول «وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين» والدين في جوهره له ثلاثة أبعاد، البعد الأول

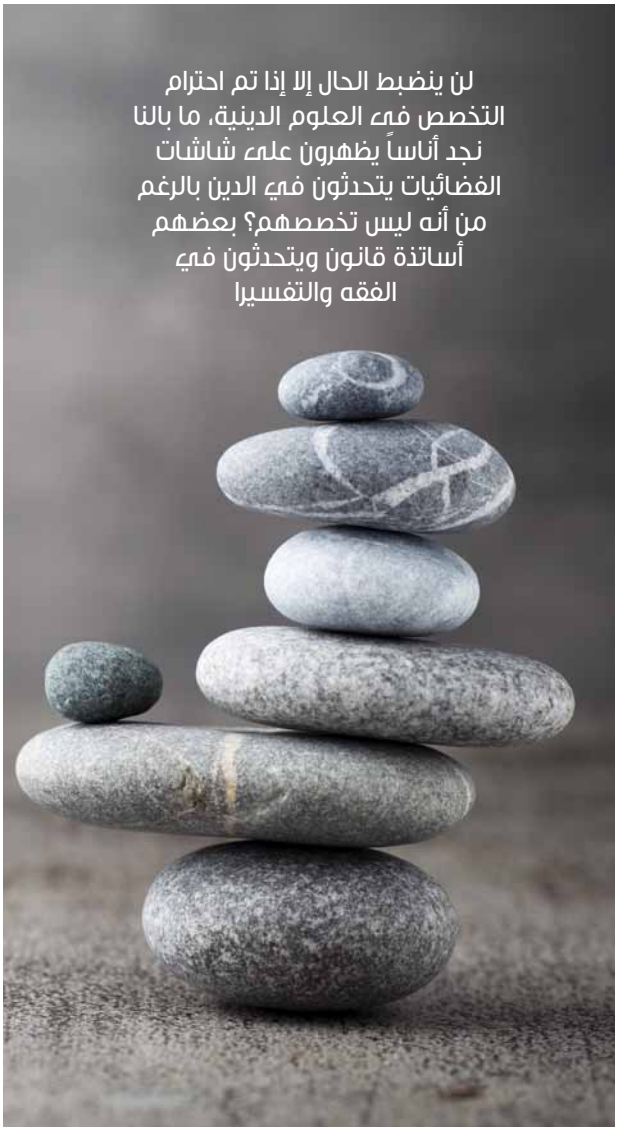

هو العبادات وهذه بين الإنسان وربه كل حسب دينه وطريقته في العبادة، وثانياً المعاملات ولا بد أن تكون حسب الأصول المرعية وتحترم شرف الكلمة، وثالثاً الأخلاق والقيم والجمال والتي يجب أن نتنافس فيها ويسعى كل واحد فينا إلى أن يكون الأحسن أخلاقاً والأجمل مظهراً وجوهراً، فإذا وجدنا أن بعضهم لا يريد تطبيق العبادات فعلى الأقل لا يجب أن نخسر التزامهم بالمعاملات الحسنة وإذا تركوا المعاملات فلا يجب أن نخسر القيم والأخلاق، وهكذا يجب أن يكون حوارنا معهم. وبدلاً من أن نشغل أنفسنا بزيادة عدد الملحدين من الأولى السؤال هل أدى رجال الدعوة والقائمون على الخطاب الديني دورهم الصحيح أم لا؟ ■

المقامات وممكنات القراءة الثقافية

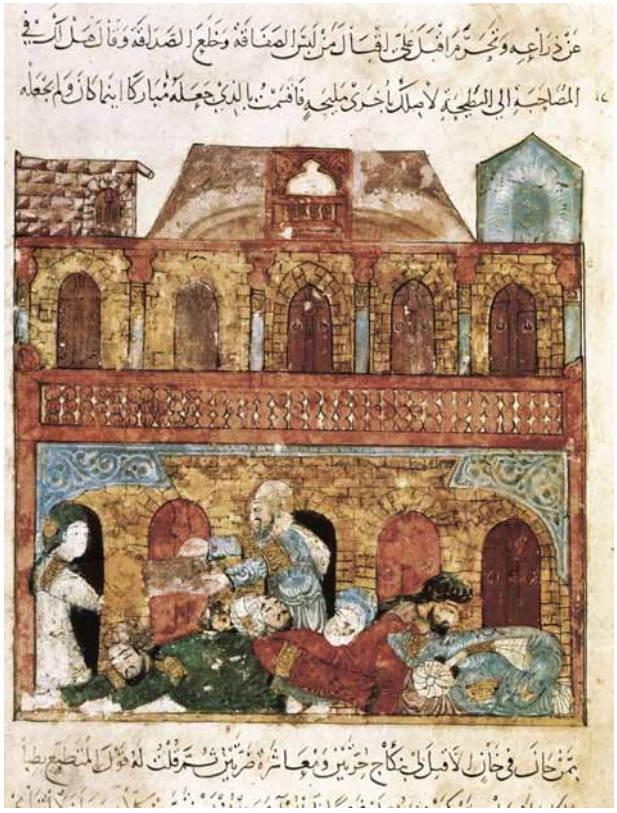

عبد الرزاق هيضراني *

■ يقول زكي نجيب محمود «الأمم كالأفراد تمر بأطوار متعاقبة، ولكنها تخضع لملابسات ذات سلطان قادر على توجيه الخطاب الثقافي لها وإخضاعه لمقتضياتها»(1)

تضمر ثقافتنا العربية الكثير من الأنساق الثقافية التي وجهت الشخصية العربية إلى أنماط معينة من التفكير لا يفارقها لأنه أصبح ملكا لها لا يسائل إلا لينبهر بإمكانياتها وبلاغتها وسلطتها، فهو يتباهى بها ويواجه بها الحداثة الغربية. ويأخذ هذا التماهي مع الموروث صورة تعويض عن إحباطات الحاضر ومآسيه، لهذا تتحول رغبته من التطلع للعيش في أزمنة متعددة وحيوات كذلك إلى رغبة أسيرة ذاكرة لا يزحزحها اليقين بسبب من قوانين ثقافية مهينة ومستأسدة، لذلك فالثقافة في مشهدنا الثقافي العربي تبدو «كعنصر إكراه وكقوالب موجهة ليس فقط لأنماط السلوك، وأنواع العادات والتقاليد، ولكن الثقافة بمعناها الأنثربولوجي الذي يتبناه «فيرتر» وهي آليات الهيمنة من خطط، وقوانين وتعليمات كالطبخة الجاهزة التي تشبه ما يسمى بالبرنامج في علم الحاسوب، ومهمتها هي التحكم بالسلوك. والإنسان هو الحيوان الأكثر اعتمادا على هذه البرامج التحكمية غير الطبيعية من أجل تنظيم سلوكه، ومن أبلغ الحقائق عن أن الواحد منا يبدأ حياته متطلعا، لأن يعيش ألف نوع من الحيوات ولكنه لا يحصل أخيرا إلا على حياة واحدة»(2)

يقودنا هذا الكلام إلى أن الكشف عن آليات الهيمنة في التراث والتي أصبحت توجه خطاباتنا وكتاباتنا هيمنة وتقديسا يقتضي ضرورة تجريب إمكانيات بديلة تفكك تلك الأنساق الثقافية، إمكانيات لا تطمئن للجمالي الآسر وإنما تتعدى الجمالي إلى البحث في علاقاته الثقافية، ما يصرح به النص وما يضمره، ما يبعده وما يجذره من أنماط العادات والسلوكات. ويعكس هذا الكلام حقيقة تحول النسق الثقافي من تجذره التاريخي المحكوم بسياق ثقافي محدد إلى شمولية ممارساتية نعيش تداعياتها وهي وليدة نصوص تراثية ذات مسافة زمنية ليست بالهينة.

وإذا كان اكتشاف الفعل الجمالي ذاته في العمل الأدبي يتطلب جهدا لا يقل عن الوصف الذي قدمه بريخت القائل؛ «إن الأكل ذاته يستوجب منا تحريك الفكين»(3)، إذا كان آكتشاف الجمالي استنادا إلى هذا التعبير يستدعي بذل المعاناة فإن الكشف عن الأنساق الثقافية يستدعي جهدا مضاعفا يقارب المضمر والممكن الثقافي في أي خطاب باحثا فيه عن الممارسات التي تحتوي وجود الآخر بتمثيله وإبعاده وإلغاء كيانه الإنساني.

الممكن الثقافي في المقامات

إذا كان البحث عن ممكنات سردية مهجورة يتيح تعريفا سلبيا للمقامات(4)، فإن البحث عن الممكنات الثقافية المتوارية يتيح لنا تعريفا جيدا للمقامات ويمنحنا إمكانيات فضح الأساليب المتبعة لتمركز الأنساق الثقافية والنسق المركزي تحديدا أي نسق الاحتيال والشحاذة الذي تدور المقامة في فلكه، وبهذا سيبرز الممكن الثقافي بشكل غير مباشر ونحن ندرس المقامات ونفكك بعضا من أنساقها المهيمنة. ومرد ذلك إلى أن البحث في الممكنات الثقافية في المقامات يرجع إلى أن شخصيات الكاتب جزء منه ومن السياق المجتمعي الذي عايشه ، وليس مجرد كائنات من ورق كما يذهب إلى ذلك فيليب هامون في مقاربته للشخصية، وهو ما يجعل الكتابة تتغير من معنى إلى معاني أخرى دالة، تعكس المعيش والسياق الثقافي.

إذا تأملنا مقامات الزمخشري، مثلا، تبين لنا أن المعنى المتداول عن المقامة بارتباطها بالمجلس لا معنى له إذ إن الزمخشري يوجه رسائل لنفسه وبهذا تتحول معاني المقامة من المجلس والناس إلى الذات الكاتبة، غير أنه حتى وفي حالة توجيه الكاتب رسائل إلى نفسه بآختراع شخصيات تنوب عنه ولو لم يقر بذلك، فإن الكتابة

ظاهرة مجتمعية ومقام الذات الكاتبة لا معنى لها إلا داخل وسط ثقافي منشق عنه أو متبن لأفكاره وأنساقه، يرسخها بالكتابة والبلاغة. ومعنى ذلك أن تحولات المقامة من ممارسة إلى أخرى لا يبعد عنها إمكانية إضمارها لأنساق ثقافية وممارسات مجتمعية، إذ يرجع ذلك تحديدا إلى أن الكاتب، كما أشرنا، جزء لا يتجزأ من مجتمعه وثقافته وإن وجه مقاماته لنفسه.. ففي هذه الحالة، مقامات الزمخشري، لا بد أن نقارب هذا النوع من الكتابة ثقافيا بالنظر إلى الدافع الأساس وراء هذا الاختيار في الكتابة؛ أي الانـزواء عن هموم المجتمع وقضاياه بتوجيه خطاب إلى الذات الكاتبة نفسها.

في سياق آخر يرى عبد الفتاح كيليطو أنه استنادا الى صاحب النثر الفني فان مقامات الهمذاني مثلا أصلها أربعون حديثا لابن دريد(5)، غير أن ما يهمنا في هذا السياق هو ما اصطلحنا عليه الممكن الثقافي، بحيث إن المقامات سواء أرددناها إلى ابن دريد أو درسناها عند الهمذاني باعتباره الباعث الأول لها فإن أنساقها الثقافية متكررة وممتدة نعيش تبعاتها في زمننا المعاصر. ولنأخذ مثالا للاستدلال على ذلك بشخصيات الهمذاني والحريري مثلا كيف تعيش في حياتنا المعاصرة ويتمثل أفراد المجتمع بأساليب تقوم في أغلبها على الشحاذة والنفاق..

خلافا لما سبق، نقرأ لتجارب كثيرة، سواء في الشعر أو النثر القديم، قد تبنت الآنشقاق الثقافي منهجا بإعطاء أهمية للهامش المبعد، ولأدل على ذلك شعر الصعاليك حيث تحول المهمش والفقير إلى موضوع للشعر بل موضوعا للدفاع عن القضايا من خلاله... بحيث سيتحول مفهوم الشعر وتحت مجموعة من الإرغامات إلى الية للدفاع عن المجتمع. غير أننا نفترض مقابل ذلك أن التسلط لم يكن موضوعا سياسيا فقط أو مقصورا على الحاكم السياسي بل كان مندغما في خطاب ثقافي يستثمر آلياته الفكرية لتكريس أنساق ثقافية وتمجيدها وهذا ما نلاحظه في المقامات حيث الهامش موضوعا للاستهزاء والاحتواء الثقافي والإلغاء المدمر لكيان الفرد ووجوده المستقل عن طريق الإيهام أو الكذب أو الادعاء..

إن الانتقال من الثقافة إلى اللاثقافة سيتم عبر مجموعة من الآليات؛ إذ نلاحظ في المقامات كيف يتحول الكذب إلى ممكن للعيش بل وحتمية، وهذا ما لا حظناه كذلك في شعر المدح، عندما يحول الشاعر قصيدته من حاكم إلى آخر مادحا إياه بالمضمون نفسه إن أعطاه أجزل في المدح وإن منعه أجزل في الذم كما نجد في حالة المتنبي الشحاذ العظيم.

لا يمكن أن نبعد ثقافة المركز في خطابات شتى ففي المقامات نجد مركزية لمفاهيم وممارسات؛ إذ إن كل مركز يصنع له هوامش يتحرك فيها، ويحركها، ولا غرابة في ذلك ففي كل رقعة مركز وهامش، أصل وفرع، في الدين والسياسة والثقافة وغيرها من المجالات. يكتسي المركز، إذن، أهمية بل سلطة وقيمة مضافة نقيس من خلالها درجة الوعي الثقافي السائد وقيمة الهامش ووضعه في سياق الاستئساد الثقافي للمركز وخطاباته وبلاغته المهيمنة. ولعل أهم صفة تميز المركز صفته السالبة ؛ أي أن الهامش في علاقته بالمركز مسلوب القدرة لأن إمكانياته محدودة بضوابط، قوانين، مؤسسات، مشاريع، لغة، ... لهذا يتحرك الهامش في دائرة مرسومة محدودة لا يمكن تجاوزها إلا ببلاغة الصمت أو الإعجاب. وهذا ما نلاحظه في مقامات الهمذاني أو الحريري مثلا، بحيث لا وجود للهامش إلا وهو فائض ومستهلك، آلة لتحقيق الأهداف غير النبيلة في الغالب ■

* كاتب مغربي

هوامش:

1 - زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1993، ص 20

2 - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ، ط 3، 2005، ص 74

3 - B.Brecht « Ecrits sur la littérature et l'art » ed.L'arch ;Paris ;1970 ;p 56

4 - «البحث في ممكن سردي مهجور يتيح تعريفا سلبيا للمقامات» عبد الفتاح كيليطو، المقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة ع الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط2 2001، ص 56

5 - المرجع نفسه ص، 92

الهلال، الهَلاّل، التهلال

د. سعيد يقطين *

يحتل الهلال موقعًا مهماً في الثقافة العربية الإسلامية عامة، وفي الثقافة الشعبية خاصة. فبه تعد الشهور إذ هو فاتحتها. ولما كان التقويم القمري يتصل بالصلاة، والصيام والزكاة والحج، كانت له حظوة خاصة في النفوس. ولهذا السبب نجد المسلمين يهتمون أكثر بهلال شهر رمضان (الصوم)، وهلال شوال (عيد الفطر)، وهلال شهر ذي الحجة ليكون الاستعداد لعيد الأضحى. ويبدو ذلك في كون وزارة الأوقاف تطل علينا في مفتتح كل شهر قمري لتعلن ثبوت ظهور الهِلال من عدمه.

ارتبط الهلال بنجمة الفجر. ولهذا السبب نجد الهلال متصلا بالنجمة علما في بعض البلدان العربية (موريتانيا، تركيا، تونس)، أو شعارا على صوامع بعض المآذن. ومن التقاليد التي كانت شائعة في المغرب، أن مؤذن الفجر غالبا ما يبدأ بذكر الله ولا إله إلى الله، ويستمر في الذكر إلى أن تظهر له نجمة الفجر، فيؤذن للصلاة. ولقد سمي الذكر الذي يتفنن فيه المؤذن قبل الأذان، بالتهلال. ولذلك يسمى المؤذن للفجر بالهلاّل، لأنه يظل يذكر الله بصوت شجي محفزا المسلمين للصلاة التي هي خير من النوم. ويبدو لنا ذلك في القصيدة الشعبية «النجمة» لمحمد العوني التي ظل فيها ينتظر نجمة الفجر للصلاة، فأخذته سنة من النوم، وعندما انتبه وجد الفجر قد فاته، من خلال قوله: «والهلاّل يعيط ها هي جات»، يقصد النجمة. أو ما نجده في إحدى حبات العيطة التي تقول: «صمعة بلا هلاّل/ خاصها التحوال». ومعنى ذلك أن صومعة بدون هلال يهلل وقت الفجر لا قيمة لها، ويلزمها أن تتحول من مكانها لأنها بلا وظيفة. وليس المقصود بذلك سوى المطالبة بأن يكون لها هلال لتستقيم ويكتمل دورها في الحياة العامة.

من الهِلال إلى الهَلال إلى التهليلة نجدنا ننتقل من المجال الديني إلى الغنائي حيث الزمن المشترك هو الليل حين يحلو الغناء الشعبي (الليالي القمرية). وحيث الهَلال الذي يذكر الله بتهلاله، يمسي هو «الرامي» الذي «يرمي» كلامه ليصيب به عين المعنى المراد من الغناء. ألم تقل إحدى الشيخات واصفة «الغناء الشعبي»، في إحدى حبات العيطة، بأنه ليس لهوا، وليس حتى غناء بالمعنى الذي يتداوله الناس. ولكن «حديث ومعنى» بقولها: «راه حديث ومعنى/ وما هواش غنا»؟

إن الشيخة هنا تعبر عن رأيها في الغناء بقولها: «إني أراه»، (راه)، أي إنه حديث لمن ينصت جيدا، وليس أي حديث. إن له معاني شتى، على السامع أن يتدبرها ويفكر فيها، وألا يتعامل معه على أنه غناء فقط. هذا المعنى هو ما يرسله «الرامي» (المغني)، سواء كان شيخا أو شيخة. ولعله لهذا الاعتبار تمت الموازاة بين «تهلال» الهلال، وتهليلة الرامي، فإذا هي هو، وهو هي.

قبل أن تبدأ الرباعة (جوقة موسيقية لا يقل عددها عن أربعة أشخاص) في أداء الأغاني الشعبية، أيا كان نوعها (ساكن، قصيدة، عيطة) في الحفلات والسهرات الشعبية، يطالب أحد أفراد الجوقة أحد أعضائها بـتقديم «تهليلة» تكون بمثابة بدء الحفلة الموسيقية. يكون صاحب التهليلة ذا صوت شجي يتميز به عن غيره. تصاحبه آلة «لوتار» فقط التي تملأ لحظات انتقاله من مقطع إلى آخر، بينما هو يعدد مناقب أحد الأولياء أو الصالحين، أو "يعدد» مرددا بعض المأثورات الكلامية التي تنسب إلى أحد الزجالين القدامى بما تحمله من معان عميقة تتصل بالحياة وتجاربها. كما أنه قد يهلل بذكر حكايات قصيرة على سبيل الهزل، ثم بعد ذلك تبدأ النوبات الموسيقية المتعددة ■

* ناقد من المغرب

التبالغ والتبالغية

نحو نظرية تواصلية في التراث

عرض - هشام بنشاوي ، المغرب

اختار الباحث المغربي رشيد يحياوي دراسة مسائل الكلام من جهة حقيقته ووظائفه ومقاصده في التراث العربي الإسلامي، بسبب الدور المتزايد للكلام في عصرنا، وتأصل الكلام في قيم الإنسان وماهيته، وقيام التراث العربي الإسلامي عليه، وافتقاره لما يبنيه بناء مناسبًا لأصوله التي قام عليها، ولمقاصد القدماء ومقاصدنا منه، ولما كان الكلام موضوعًا مشتركًا بين علوم مختلفة، وكان النظر إليه جائزًا من الجهة التي تخص كل علم، يتأكد أن الوظيفة المركزية للكلام هي الوظيفة التواصلية، وذلك أن ما نعته يحياوي بالدور المتزايد للكلام في عصرنا، راجع أساسًا لإعلاء دوره التواصلي، وكذلك الأمر بالنسبة لما سمي بتأصل الكلام في قيم الإنسان وماهيته. فالكلام ما عُدَّ من الضروريات إلا لحاجة الإنسان للتواصل به مع بني نوعه، ثم إن التراث العربي الإسلامي، ما كان ليوجد لولا أن الكلام قام بدور في تواصل العرب والمسلمين مع بعضهم ومع غيرهم.

نظرية التبالغ

إن الإنسان يستعمل وسائل مختلفة للتواصل، وقد تكون تلك الوسائل من جنس الكلام وقد تكون من جنس غيره. ولما كان الإنسان بفعله التواصلي يسعى ليبلغ غيره أو يطلب منه بلاغًا وبلوغًا، فقد اصطلح الباحث على عملية التواصل هذه بالتبالغ، لأن التبالغ يدل على الاشتراك بين طرفين أو أطراف متبالغة. أما الوسائل التي يتم بها التبالغ بين المتبالغين، فهي علامات يبين بها المتبالغون عن مقاصدهم، ويجوز أن تتراكب العلامات مع بعضها، كما لو قلنا إن الكتاب علامة تتضمن علامة الخط أو علامة الرسم.

أما التبالغ الذي يتم بالكلام فاصطلح عليه بالتبالغ الكلامي، ولما كان التبالغ قضية لها أصول ومبادئ، وكانت أصول وكيفيات التبالغ ومبادئه وآلاته محل تداخل مع مسائل وقضايا أخرى، فقد اصطلح على القضية المتعلقة بالتبالغ بالمسألة التبالغية.

وقد اختار رشيد يحياوي أن يضع مصطلح تبالغ دون أخذ بما ماثله من المصطلحات السائدة بين أهل زمننا لأسباب: إنه مرتبط

من جهة الاشتقاق بمصطلح آخر يعد من المصطلحات السائدة في التراث العربي الإسلامي، ونعني به مصطلح بلاغة. ثم إن أهل التراث القدماء كانوا يعدون أنفسهم أصحاب بلاغة. كما أن مفهوم المصطلح (تبالغ) احتوى مفهوم البلاغة فأصبحت بمقتضاه مشمولة بفعل التبالغ. أما اختياره مصطلح «تواصل» في العنوان الفرعي، فكان من أجل تيسير فهم القصد من هذا الكتاب في انتظار أن يطلع قارئه على ما قصده بالتبالغ.

التبالغ فعل اضطراري

ويتأسس على المفاهيم والتصورات، التي ولدتها علوم الكلام في التراث العربي الإسلامي أن التبالغ لما كان فعلا اضطراريًا، فكذلك كان التبالغ الكلامي. غير أن علامة الكلام تقدمت غيرها من علامات التبالغ في الأهمية لمقوماتها الذاتية المتمثلة بصفة خاصة في الخفة وقبول التعبير والإبانة عما لا يتناهى من المعاني، ورغم التنافي والتنابذ والمنافرة بين بعض المفاهيم التبالغية في التراث، فإنه لم يكن بين القدماء خلاف يذكر حول الأصول التبالغية باعتبارها أصولًا، بل كان خلافهم حول فروع تلك الأصول، أو في كيفيات عملها، أو في طرق الاستدلال عليها.

فالخلاف حدث حول كيفية التكلم في التكلم الإلهي بسبب المقصد التديني الذي وصل خلافهم في إعماله لحد الاختلاف في ماهية الكلام ذاته، هل هو الأصوات المتميزة المنتظمة الدالة، أم معانيها القائمة في النفس. لكن رجوعهم للكلام في الشاهد جعلهم يقرون بماهية الأداة في الكلام، ويتفقون حول كون هذه الأداة لها مهام وأغراض ومقاصد. إذ لم يكن منهم من أنكر أن يكون للكلام مقاصد، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تلك المقاصد بين الكيف والإعمال.

ثلاثية مبدئية للتبالغ

ويجزم الباحث المغربي أنه من بين مجموع المفاهيم التي أنتجها القدماء حول التبالغ بشقيه؛ الكلامي وغير الكلامي، والكلامي بشقيه أيضًا؛ البليغ وغير البليغ تناسقًا ترد إليه أصول التبالغ وفروعه مما يُجوِّز القول ببناء نظرية تبالغية في التراث. واقترح في هذا الإطار إعادة تنظيم تلك المفاهيم في ثلاثة رئيسة تمثل ثلاثية مبدئية للتبالغ، وهي التسييق والتمقيم والتقصيد، وميزنا ذلك بإعمال هذه المفاهيم في الأفعال التبالغية إجمالا، سواء أثناء جريان الفعل التبالغي، أو بعد انتهائه، كما لو عاد في مرحلة لاحقة لذلك الفعل مجسدا في علامة تبالغية شاهدة عليه. وفي هذه الحالة نكون أمام تمفصل مـزدوج لهذه الثلاثية. فتلك العلامة تدخل أولا في فعل

اختار الباحث المغربي رشيد يحياوي دراسة مسائل الكلام من جهة حقيقته ووظائفه ومقاصده في التراث العربي الإسلامي، بسبب الدور المتزايد للكلام في عصرنا، وتأصل الكلام في قيم الإنسان وماهيته، وقيام التراث العربي الإسلامي عليه.

تبالغي حاضر، ينطبق عليه التسييق والتمقيم والتقصيد كلا أو جزءا حالَ فعل التبالغ، وثانيا، قد نرجع بالعلامة المعينة إلى أصلها في الزمان والمكان، فنحاول فهمها، بأن نرجعها لسياقها ومقامها ومقاصدها الأصلية، أي أننا نقوم أيضا بإعادة تسييقها وتمقيمها وتقصيدها.

ويرى يحياوي أن نشأة علوم الكلام في التراث كانت استجابة لمقتضيات جمعية، معرفية وحاجية يومية وجمالية، فتضافرت في تحقيق المقاصد من الكلام. ولما كان من تلك المقاصد ما يتعدى مقاصد الأفراد إلى مقاصد الجماعة، وضع القدماء في العلوم مفاهيم وتصورات كلية عكست أنظارهم لمقاصدهم من الكلام. وانتمت تلك المقاصد الكبرى لمقام تبالغي أكبر وأشمل من مثيله الجزئي المرتد لأوضاع مادية متحققة في المكان والزمان المحددين. ففي المقام التبالغي الكلي تجادلت المقاصد التراثية الرئيسة من الكلام. ولما كان طلب تلك المقاصد غير محصور في حقبة بعينها من حقب التراث، فقد تواصل العمل على تحقيقها بين مختلف الأجيال والحقب.

تديين الكلام

وبتحويله الكلام إلى مسألة دينية، صاغ علم الكلام المسائل والقضايا التي استجابت لما سمي بالمقصد التديني. لكن علم الكلام، وبمقارنته بين الشاهد والغائب، عرض أيضا قضايا تتعلق بالتبالغ البشري. وإذا كان الأشاعرة دينوا الدلالة دون المدلول بقولهم بخلق الله لها دونه، وكان المعتزلة دينوا الدلالة والمدلول بقولهم بخلق الله لهما معا، فإن أهل السلف السني، وبقولهم إن القرآن صفة من صفات الله قائمة به، دينوا الكلام العربي. إذ أن القرآن لما كان عندهم صفة من صفات الله تعالى، وكان القرآن كلاما عربيا، كان الكلام العربي - تبعا لتفسيرهم- صفة من صفات الله قائمة به وهي قديمة به غير بائنة عنه. ثم التقوا مع الأشاعرة في تديين الكلام البشري أيضًا. إذن أن الأشاعرة بقولهم إن الفاعل الحقيقي لكلامنا هو الله، دينوا كلام البشر، كما أن أهل السلف السني بتفسيرهم النقلي لبعض آيات القرآن الكريم، أخرجوا الكلام من فعل خلق الإنسان واصطلاحه وتواطئه وتواضعه عليه، إلى خلق الله له وتوقيفه على الإنسان. فكان في قولهم بالتوقيف، قول بالتديين.

لكن الكلام - حسب رشيد يحياوي- خاصية بشرية أيضًا، إذ لم يكن كلاما لأن المتكلم به عربي أو عجمي، بل لأنه إنسان قبل كل شيء. ولأنه كذلك، احتاج لقوانين تنظم معقوليته حتى يحقق الصواب بناء على أسس وقواعد مشتركة بين الألسن، تنصرف بصفة خاصة لضبط آليات الفكر في علاقته بالكلام، وعلاقة الكلام بالواقع. وهذا الاتجاه اهتم بالكيفيات العقلية التي يتكلم بها المتكلم. وقد أرجع المعارف التي نحت هذا النحو إلى ما سماه بالمقصد التعقيلي المتمثل بصفة خاصة في المنزع المنطقي التراثي المتأثر بأرسطو.

ويخلص رشيد يحياوي إلى أن مقومات الكلام متعلقة ببعضها، وأننا بقدر اعتبارنا لها مقومات للكلام، نعتبرها أيضا من أصول التبالغ به، لأنها متعلقة بأصل آخر هو التكلم. فليقوم التبالغ الكلامي، لا بد من كلام. ولا بد للكلام من وحدات وأقسام تؤلف تأليفًا مخصوصًا يراعي المقاصد ومقام التبالغ. ولا بد لكل ذلك من تكلم. ويتحول التكلم إلى تكالم حين يولد رد فعل مماثل عند المخاطب. وسواء أتحول التكلم إلى تكالم أم لم يتحول إليه، فإن جنسه البعيد هو التبالغ، وجنسه القريب هو التبالغ الكلامي. فالأصل في التكلم والتكليم أن يتحول إلى تكالم وإن لم يتحول إليه . وليس من شروط التبالغ أن يكون فعل المخاطَب في التكالم مزامنا لفعل المتكلم في التكلم، وإنما يحصل التبالغ الكلامي كلما ترتب عليه رد فعل، سواء أتم ذلك لحظة فعل الكلام من طرف المتكلم، أم تأخر عنها. وسواء أيضا أكان المقصد الذي يؤشر على تحقق التبالغ من مقاصد المتكلم أم من مقاصد الكلام أم من مقاصد المخاطب.

ويعد الكلام أصلا مشتركا بين هذه الأطراف مفعولا بها فاعلا فيها بوجه من الوجوه. وإنما كان فاعلا فيها لأنه يحدث فيها أثرا. أما أنه مفعول بها، فمن جهة المتكلم، لأنه خالقه بفعل تكلمه، ومن جهة المخاطَب، لأنه خالقه بالتلقي الفاعل أو بالتكلم إذا ولد فيه الكلام رد فعل كلامي، أو بحمله المتكلمَ على مراعاة أحواله ومتعلقاته. والكلام مفعول أيضا بالمقام من جهة تأثيره في مقاصده وفي أحواله وما يتعلق به ■

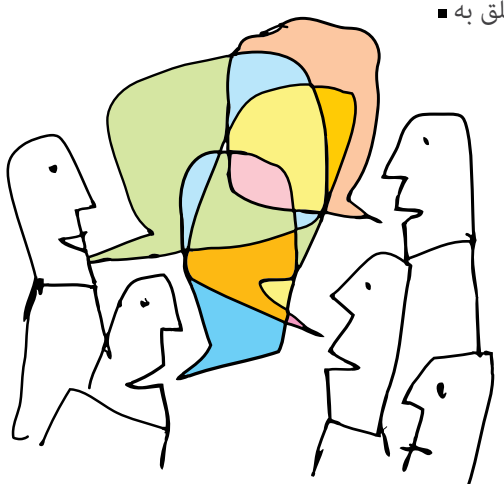

الطبقة في التراث اللغوي والنقدي

عبد الغني فوزي*

عُـرف مفهوم الطبقة في التراث الأدبـي أولًا عند الفقهاء والمحدثين، ثم انتقل إلى مجال «النقد» والأدب. وقد شُغل النقاد العرب بالطبقات قبل ابن سلام الجمحي وبعده. فتناقل الناس آنذاك أحكامًا سائرة تتعلق بتفضيل الشعراء بعضهم عن بعض، وقسموهم إلى طبقات بعضها فوق بعض، فقد سئل لبيد بن ربيعة من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل، قيل ثم من؟ قال: الشاب القتيل (طرفة بن العبد)، قيل ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل (يعني نفسه) وهؤلاء هم فحول الجاهلية عند لبيد.

وقد جمعت هذه الأحكام وأمثالها في أواخر العصر الأموي؛ وتداولها الرواة من بعد وتم تسجيلها في كتب النوادر وأخبار الشعراء منذ القرن الثالث الهجري.

لم تكن تلك الطبقات مقاييس مجردة، بل كانت تعتمد على معايير لها مسوغاتها، ضمن سياقات معينة منها عنصر الزمن، وعنصر الجودة الشعرية، وكذا عنصر الكثرة.

فعنصر الزمن، يعني مراحل بعينها ابتداء من المرحلة الجاهلية إلى المرحلة العباسية، فكان تناول الشعر يتم ضمن سياق غاص بإشكالات لغوية وثقافية (الفصاحة، السليقة، التدوين...). كان عنصر الجودة الشعرية يتأطر ضمن طريقة العرب المتبعة في نظم الشعر أي مكونات العملية الإبداعية (لفظ، معنى، صياغة، نظم، مقتضى الحال، غرض . . .) فتعددت التصورات للأدب والشعر أساسا. أما عنصر الكثرة فقد ارتبط بتعدد الأغراض الشعرية، لأن الكثرة الشعرية إنما تحصل نتيجة لطرق أبواب ومواضيع شعرية متنوعة من فخر وغزل وهجاء، فإن اجتمعت هذه العناصر احتل الشاعر مكانة متميزة في الطبقات.

استحضرت هذا المدخل في مفهوم الطبقة في الأدب قديما كآلية يمكن الاستئناس بها في تناولنا لشعراء القصيدة المعاصرة عربيًا ومغربيًا، شعراء يتم تصنيفهم إلى جماعات على أساس زمن سريع، ومعيار إيديولوجي دون التصريح به وعدة معرفة تنهض على منطلقات متعددة الخلفيات تسعى للتبرير.

أجيال تصنف على أساس سير الزمن والتكتلات التي امتدت للحقل الثقافي وهندسة المشهد على ضوء إطار أو جهة. الشيء الذي تضيع معه مكونات العملية الشعرية والخصوصيات والـرؤى. أما آن الأوان للفت النظر لهذا الكم الحاصل من المجموعات الشعرية، دون تصنيف مسبق أو تجزيء لا يخدم الكتابة الشعرية في شيء.

هناك الكثير من النظرات على ساحتنا الثقافية العربية التي تكرس لمفهوم الطبقة التي مارست الكثير من التجني على النصوص. فبقدر ما تتعدد الموجات والتيارات، تتعدد معها الطبقات في أشكال مثل الواحدية والأجيال، وهو ما يؤدي إلى التعامل مع أسماء بنوع من الهالة. الشيء الذي يؤدي إلى تفضيل جيل على آخر تحت أوهام التفوق أو التفرد.

لا ننكر أن الأبحاث التصنيفية تلك، على الرغم من إسقاطاتها وأوهامها، فإنها طرحت مقاربات وتعدد نظر، له مزاياه على مستوى التناول المنهجي: من حيث التجميع ودراسة عينات وتحريك مفاهيم وأطر مرجعية متعددة.

بكل تأكيد، فمفهوم الطبقة يغيب الجدل الداخلي للأدب، ويخلق القطائع في رؤوس أصحابها فقط. وفي المقابل كلما كان الأمر يذهب في إطار التجربة والرؤيا، كنا من طينة الكلمة الخلاقة أقرب. آنذاك يمكن الحديث عن طبقات من نوع آخر، ضمن ضوابط وتقاليد ثقافية. أعني طبقات النص ■

* شاعر وكاتب من المغرب

إشراقة سودانية

سيد ضيف الله *

هل يمكن أن تكتب امرأة عربية سيرتها الذاتية بحرية وصدق كاملين؟ سؤال دار بذهني قبل أن أطالع السيرة الذاتية للدكتورة إشراقة مصطفى حامد أستاذة العلوم السياسية بجامعة سيغموند فرويد في فيينا؛ «أنثى الأنهار» الصادرة مؤخرًا عن دار النسيم بالقاهرة.

هناك إشارات تؤكد أن كتابة امرأة عربية لسيرتها الذاتية بحرية وصدق كاملين نوع من الكتابة لم تعرفه اللغة العربية بعد. فالسيرة وإن كانت ذاتية فهي سيرة لشبكة من العلاقات يتوهم الفرد أنه مركزها وصاحب الحق في كتابتها، بينما واقع العلاقات يفرض حـدودًا لحرية الفرد في تأمل شبكة علاقاته الماضية في ضوء مدى استمرار تورطه فيها حتى لحظة الكتابة.

هناك إشارات تؤكد أن كتابة امرأة عربية لسيرتها الذاتية بحرية وصدق كاملين نوع من الكتابة لم تعرفه اللغة العربية بعد. فالسيرة وإن كانت ذاتية فهي سيرة لشبكة من العلاقات يتوهم الفرد أنه مركزها وصاحب الحق في كتابتها، بينما واقع العلاقات يفرض حدودًا لحرية الفرد في تأمل شبكة علاقاته الماضية في ضوء مدى استمرار تورطه فيها حتى لحظة الكتابة

لكن الإشارة الأهم في الدلالة على أن إشراقة رغم جرأتها ونبلها الإنساني لم تكتب سيرتها بحرية وصدق كاملين، أنها اختارت الكتابة عن أشخاص لتعيد لهم بعض حقوقهم التي سلبها منهم الواقع المرير الذي عاشوه وعاشته معهم في سودان التسعينيات، فكانت الكتابة عنهم تعويضًا عن الألم الذي عانوه وعرفانًا من الكاتبة بدور هؤلاء المهمشين المظلومين في صناعته وبنائه كبطل منتصر على الواقع في ختام التجربة.

تقتص إشراقة من الماضي من خلال تمثيل شخصياته وإعادة سرد حكاياتهم بما يحقق للمرأة العربية أن تنتصر على سياق فرضَ عليها الانكسار سنوات وسنوات. فثمة حدثٌ يمثل النقطة المركزية لحياة المرأة العربية بشكل عام، هذا الحدث هو الختان، لكن هذا الحدث بآلامه لم يكن نقطة تحول في حياة الكاتبة في علاقتها بنساء عائلتها اللاتي قمن بختانها، وإنما كان زواج الأب من امرأة أخرى غير الأم هو نقطة التحول في حياتها التي جعلتها تتجه لمناصرة قضايا المرأة.

رغم أن السيرة تكشف عن حميمية العلاقة بين الابنة إشراقة وأبيها أكثر من علاقتها بأمها؛ فالأب مثقف مستنير ورومانسي يختار اسم ابنته إشراقة لحبه لمجموعة شعرية تحمل العنوان نفسه للشاعر السوداني التيجاني يوسف، والأب مصدر معرفة أساس للابنة يقدم لها الكتب ويشجعها على التثقف، لكنه تثقف مشروط بشروط المجتمع؛ ففي سياق مجتمع يمنع قـراءة كتب معينة في العلن لأسباب سياسية أو جنسية أو دينية فإن احتفاظ الأب بهذه الكتب للقراءة الخاصة لا يعني نقضه لعُرف المجتمع، ومن ثم يقدم للابنه تبريرًا لمنعه هذه الكتب عنها بأنه خوف على المعرفة وليس من المعرفة!

إنه الأب المُعلّم، لكنه مُعلّم لما يريد المجتمع أن يعلِّمه لابنته، وليس نقيضه! والكاتبة هي الابنة التي تتعلّم استدعاء مخزن ذاكرة المرأة العربية.

من هنا، فإن سيرة «أنثى الأنهار» تعد سيرة امرأة تتشكل وفق منظومة ثقافية واجتماعية لتكون امرأة يسارية تدافع عن الفقراء في السودان، وتناصر قضايا النساء خاصة الفقيرات

منهن، في مواجهة سلطة سياسية مستبدة متذرعة بخطاب ديني يقنن العلاقات على خلاف ما ترى الكاتبة وجوب أن يكون في المجتمع الإنساني.

وإذا كان زواج الأب من امرأة أخرى غير الأم نقطة التحول الأولى التي تدركها الكاتبة لحظة كتابتها لسيرتها، فإن إصرار اللجنة الممتحنة لها بكلية الإعلام على أن تحفظ جزءًا من القرآن وأن تكف عن ممارسة السياسة في الجامعة كانت نقطة التحول الثانية التي قادتها للتخلي عن موقفها الرافض للانضمام لأي تنظيم سياسي حفاظًا على فرديتها، فأسرعت لتنضم رسميًا للجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي لتقيّد نفسها بقيود التنظيم ورؤيته.

إن حاجة الفرد للاحتماء بجماعة ما (سواء كانت جماعة النساء أوجماعة الحزب الشيوعي) والتظلل بظلها للاستقواء في صراعه الحياتي ضد جماعة أخرى لا يعني أن الكاتب يكتب سيرة تفرده بقدر ما يعني أنه يعلن ضمنيًا أنه يكتب سيرة تنازله التدريجي عن فرديته وهو يسرع الخطى نحو تمثل النموذج الذي سيكونه.

فالطالبة إشراقة مصطفى التي تتفرد سيرتها بأنها سيرة طالبة فقيرة تبيع سندوتشات الفول والطعمية في المدرسة لزميلاتها ثم تبيع «الزلابية» أمام بيتها من أجل الحصول على مجموع يمكنها من تحقيق حلمها بالالتحاق بكلية الإعلام على مدار خمس سنوات متوالية من المحاولات غير الناجحة، هي تتفرد بإرادتها لتسير نحو نموذج نسائي يساري تتمثله وهو نموذج «فريدة النقاش» الكاتبة اليسارية المصرية، وهنا يبرز الصراع بين التفرد والتمثل من خلال سرد الكاتبة لما تسميه بحكايات «السرحان» التي تأتيها وهي في حالة ما بين الصحو والغيبوبة؛ حيث تأتي فريدة النقاش في حكايات السرد محفزة للطالبة ومتنبئة بمستقبلها الصحفي لكن الخيال/الهذيان وحده هو الذي ينهي مسار علاقة التمثل على مستوى الوعي حين تطلب فريدة النقاش من الكاتبة أن تطعم لها كلبها آيس كريم!

إن نقطتي التحول اللتين وعت بهما الكاتبة لحظة كتابة سيرتها (زواج الأب من امرأة أخرى، واضطهاد الإسلاميين لها أيديولوجيا) كانتا نقطتي تحول لمسار الفرد باتجاه جماعة أو نموذج يتم تمثله ولم يكونا نقطة تحول من أجل زيادة مساحة حرية الفرد أو تفرده عن المحيط الاجتماعي والثقافي.

وإذا كان جسد إشراقة قد تم انتهاكه مرتين؛ الأولى بالختان على يد قريباتها من النساء، والثانية على يد رئيس قسم الإعلام الذي صفعها على وجهها لأنها شيوعية وقليلة الأدب، فإن خروج إشراقة في المظاهرات النسائية لم يكن سوى خروج ضد الوجه الذكوري للسلطة؛ وليس أدل على ذلك من مواجهة العسكري لتلك المظاهرات النسائية بتهديده لهن بإظهارعضوه الذكري لهن إن لم يتراجعن!

إن التمرد على الوجه الذكوري للسلطة كان يتم وفق أعراف التمرد التي وضعها المجتمع وثقافته المتوارثة، فقد تم لإشراقة التمرد على زواج الأب من امرأة أخرى بخطاب منحاز للنساء باعتبارهن ضحايا الذكر وتم لإشراقة التمرد على اضطهاد الإسلاميين أيديولوجيا لها من خلال الارتماء في حضن الحزب الشيوعي باعتباره نصيرًا للفقراء والمرأة وعدوًا للإسلاميين. لقد نجحت إشراقة في مواجهة تحديات عديدة منها امتحان الثانوية السودانية ومنها معوقات الالتحاق بجامعة فيينا، لكن تجاوز ألم الختان في نفسها مع حنينها لحكايات قريباتها من النساء عن الجن السوداني الأبيض و البقرات الحلوبات التي تطرد الجن بإخراج نيران من فمها يعني أن نمط التمرد بالانحياز ضد الوجه الذكوري للسلطة لم يكن ليفضي بإشراقة سوى لنقاط تحول سيرًا نحو تقييد الذات بنموذج يتجاور في وعيه الألم الدفين بانتهاك الجسد والحنين لحكايات الجدات عن الجن السوداني الأبيض دون تأمل للبحث في السيرة الذاتية لامرأة عربية عن وجوه أخرى للعسكري الذي يهدد النساء بإظهار عضوه الذكري ليردعهن عن المظاهرات! ■

* أستاذ النقد الأدبي ، مصر

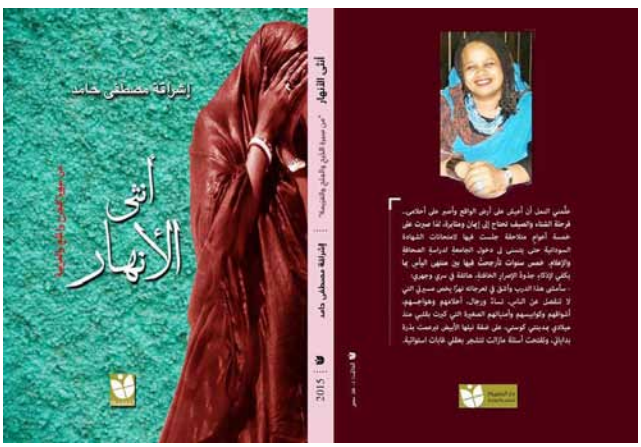

صلاح الدين الأيوبي

صورتان في الحكاية الشعبية الإسبانية

عبدالهادي سعدون *

الاطلاع على الأعمال الحكائية التراثية والشعبية الإسبانية بلغتها الأصل والتي وصلتنا أولى نماذجها مع نهاية القرن العاشر الميلادي وبدايات الحادي عشر، تحيلنا بشكل مباشر إلى تأثرها الواضح والصريح بالتراث العربي الإسلامي الذي امتد في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا الأندلس) لأكثر من ثمانية قرون وأكثر، عصور تعايش وتمازج وتبادل منافع وكذلك عصور تنازع وخلافات وحروب لتنتهي بطرد المسلمين من الديار الأندلسية ومحاولة القضاء على كل أثر أوجدوه هناك. لكن الحيز الإنساني والتمازج البشري، لا سيما في جانبه التربوي والثقافي لا بد أن يظهر بشكل وبآخر في أدبيات الفترات اللاحقة في إسبانيا وجل دول أوروبا المتاخمة.

يعد كتاب الكوندي لوكانور El conde Lucanor من أهم كتب القرن الوسيط الإسباني والفترة التي تلته في مجال الحكايات الفلكلورية والتراثية الشعبية، وهو يضم حكايات ومواعظ شعبية جمعها وشذبها وأعاد كتابتها الأمير دون خوان مانويل Don Juan Manuel ، الأمير والسياسي والكاتب البارع وأهم صوت أدبي في آداب إسبانيا في القرون الوسطى. صاغ المؤلف الحكايات بصياغة أدبية أشبه ما تكون بحوارية ومسامرات شخصية ما بين بطلي الكتاب وهما: الكوندي لوكانور ومستشاره باترونيو. إذ تبدأ كل حكاية بأن يسأل الكوندي لوكانور مستشاره في معضلة ما فيشير عليه بالصائب عبر مثل أو موعظة أو حكاية متداولة. تضمن الجزء الأول من الكتاب 51 قصة وحكاية وموعظة، وهو الجزء الأكبر والأمتع والأغزر بالمعلومات والمصادر والمؤثرات الشعبية الإسبانية أو العربية الإسلامية الواضحة. أضاف إليه المؤلف في فترات لاحقة أربعة أجزاء أخرى تشكل أقل من ربع الكتاب الكلي، يتمسك فيها بطبيعة الأمثلة والأقوال الشائعة آنذاك أكثر من إيراد الحكايات والقصص الشعبية. ليس محتوى الحكايات الذي يبدو جديداً ومتنوعاً وحسب؛ بل إن دون خوان مانويل أيضاً صاحب أسلوب مرهف، خبير بالوسائل المتاحة ومدرك لفائدتها. يستخدم الشخوص البلاغية والتنويعات والتدرج الأسلوبي والسيكولوجي في

الوقت نفسه، مع تناسق العناصر والتقابل وتوزيع الأحكام. تبدو مواضيع الكتاب متعددة الأوجه ومن الصعب تلخيصها، يحاول فيها المؤلف الإحاطة بكل عناصر التصرف البشري مقدماً لنا معرضاً من الأشخاص والمعضلات التي تشكل الواقع الاجتماعي لعصره، والتي هي ذات صبغة عالمية في الوقت نفسه، على الرغم من أن النظرة التي يتبناها هي نظرة النبيل بشكل دائم. وهكذا تبرز موضوعات منها الحرب والسلام والثراء والرذائل والفضائل والوفاء والخديعة والكذب والصداقة، ويتداخل العديد منها مع أمثال أخرى؛ ومع ذلك فهناك بعض المواضيع تبدو واضحة المغزى كما هو عليه موضوع المستشار والشرف والشهرة والحرب والمرأة.

مصادر متنوعة وثرية

ركز النقد اهتمامه على مصادر المؤلف، والتي يصعب في العديد من الحالات الإشارة إليها مباشرة، بل من الواجب الحذر في الحديث عن الحكايات المتقابلة (العديد من المواضيع تقدم اختلافات متعددة في نصوص كانت شائعة في العصر الوسيط كما عليه في كتب متنوعة مثل: كتاب القطط Libro de los gatos وكتاب الحب الطيب El libro del buen amor إضافة إلى مصادر لنصوص فارسية قديمة) ولكن يمكننا التحدث عن أستاذية دون خوان مانويل في الجمع ما بين المصادر المختلفة من تراث العصر الوسيط ليمثل الموضوع بصيغ متباينة ومتعددة.

يصنف الكتاب ضمن الأدب الحكائي التعليمي، وهو إن كان جديداً في إسبانيا آنذاك، فقد كان متداولاً بين العرب في المشرق أو في

الأندلس نفسها، هذا الإحساس بالأنا بأسلوب شخصي في الكتابة كان جديداً في التراث الأوربي، لكنه كان شائعاً في الأدب الإسلامي.

وضوح المصادر الإسلامية

الكتاب متنوع وتأثيراته كثيرة، إلا أن الأكثر وضوحاً فيها هو تأثير المصادر العربية الإسلامية، كما عليه أكثر من عشرة نماذج لقصص ولحكايات مستلة مباشرة من كليلة ودمنة (وهي المجموعة التي أمر بترجمتها في حينه الأمير ألفونسو العاشر، عمُّ مؤلف كتاب الكوندي لوكانور، مما يعني قربه ومعرفته بها بشكل مباشر عن طريق التأثير والقرابة العائلية) من تلك الحكايات على سبيل المثال: ما جرى للسُنونو مع الطيور الأخرى عندما حل موسم زراعة الكتان، ما جرى للحصانين مع الأسد، ما جرى للثعلب مع الديك، ما جرى للأسد والثور وغيرها الكثير.

النماذج في أحيان عديدة تتمثل في التقاليد الشفاهية، كما عليه الأمثال أو النوادر البسيطة. على أية حال، التأثير العربي في أعمال دون خوان مانويل لا جدال فيه، فقد أمضى كل حياته على اتصال مع العرب، كحليف لهم في مرات، ومرات أخرى كعدو. من هنا جاء العرب وتراثهم ليشكل محور الكتاب بالأكمل. بلا أدنى شك.

المهم عند الحديث عن المصادر المستخدمة من قبل مؤلفنا هي تلك الحرفية والفنية المرهفة التي صاغ بها تلك النصوص. ففي بعض المناسبات يستخدم مثالاً أو موضوعاً تراثياً، كإطار لنوع

قصصي جديد؛ كما عليه الحال في فصول الحملة الصليبية وما جاء بشأنها وما دار من نزاعات ما بين الجيوش الأوروبية الكاثوليكية والجيوش الإسلامية، لا سيما تلك الفصول التي قادها القائد العربي صلاح الدين الأيوبي المعروفة كلها تقريباً في الحوليات الإسلامية أو الغربية. وهو وإن كان يزج بشخصيات تاريخية واقعية من الطرف الإسباني، إلا أنها في الحقيقة لم تدخل أو تشارك في تلك الحروب الصليبية بصورة مباشرة، وهي هنا تمويهية خيالية، إلى جانب شخصيات حقيقية شاركت وأثرها كبير في التواريخ المعروفة، كما

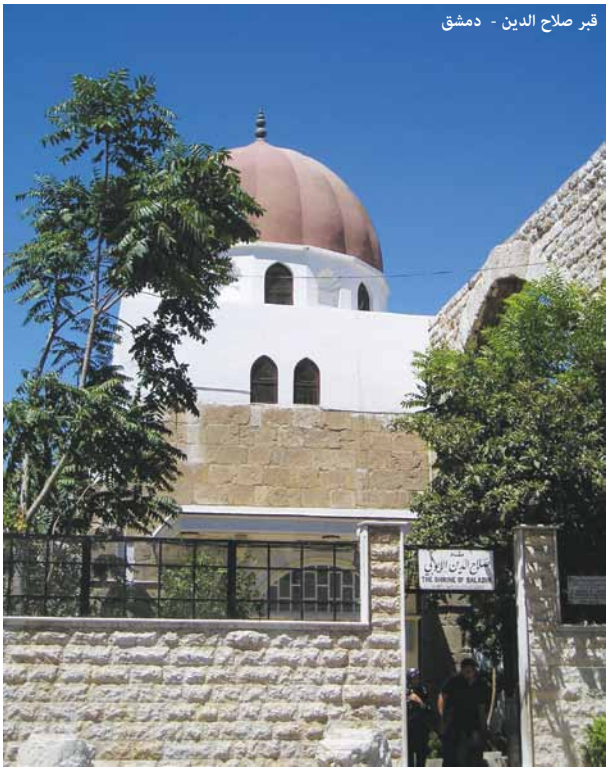

قبر صلاح الدين - دمشق

صلاح الدين، ما قبل 1568

عليه شخصية صلاح الدين الأيوبي، محرر القدس والشخصية الكبيرة في تاريخ أوربا أيضاً والتي طغت عليه صفات أسطورية وخيالية عديدة في الحوليات الأدبية وكتب التاريخ. لكن أن نجد شخصيته واضحة في عدد من الحكايات الشعبية، كما عليه كتاب الكوندي لوكانور، هو ما يهمنا نقله وتبيان أثره.

حكايتان عن صلاح الدين

الحكايتان اللتان يتناول فيهما شخصية صلاح الدين الأيوبي كشخصية رئيسية في الكتاب، تمثلان عين الموضوعة المستحبة والمستلهمة في كتب الفترة تلك والتي تلتها. صورة العربي المسلم العالم الحكيم وكذلك نقيضها العربي المسلم الخادع المضلل والجشع كل حسب نوعية الأدب وغايته. هاتان الصورتان تمثلان قمة الوجه الحقيقي للثقافة الإسبانية في النظر للعربي المسلم في كونه العدو الغازي وكذلك المحارب القوي والحكيم. هما منزلتان لم يختلف فيهما أي كاتب إسباني في تلك الفترة وفي كل آداب العصر الوسيط، بل حتى القرن التاسع عشر، لا يخلو نموذج شعري أو قصصي من هذين النموذجين المتناقضين، وكل نموذج له مسبباته ومعطياته. والقائد المسلم صلاح الدين في الحكايتين لا يخرج عن النموذج التقليدي المرسوم للعربي المسلم في حوليات إسبانيا وتراثها الشفوي والمكتوب. وهو في كل نموذج له الاعتبار المعلن والمسببات القوية لتشكيله على تلك الصورة. يجب ألا ننسى أن الحكمة والبطولة كانت ميزة معروفة عن المسلم العربي آنذاك، كما إن إيرادها بهذه الصفات والبطولة مدعاة فخر للجانب الإسباني الكاثوليكي بالنصر على غريم قوي ونموذج للبطولة. ولكن خلفية النزاع الحربي والتناحر تطلب أيضاً من الأدبيات الشعبية إيجاد النموذج الآخر المكروه والخادع والمضلل.

صلاح الدين كامل الأوصاف

ينسج الدون خوان مانويل في هاتين الحكايتين الخياليتين كل ما يعرفه عن شخصية صلاح الدين في المخيال الشعبي آنذاك. في نموذج القصة الأولى (حكاية رقم 25 ما جرى لكوندي بروفنسا الذي تم تخليصه من السجن بفضل نصيحة أسداها لـه صلاح الدين)؛ تبدو سيرة حياة رجل متزن وكامل الأوصاف عبر حكاية الشاب النبيل، وبالوقت نفسه عبر مثال الحكمة والطيبة التي تتجسد في السلطان العربي يوسف صلاح الدين (الأيوبي) كمثال للمستشار ومن ثم صبغة الحكمة والكرم البارزة فيه. وصلاح الدين نفسه يظهر وقد كان سلطاناً على مصر وسورية وتدخل في الحروب الصليبية. وقد وصلت شهرته إلى درجة أن بثوا عنه في أوروبا العديد من الأساطير التي جعلت منه أو يكاد بطلاً ورمزاً للحكمة.

صلاح الدين الدموي المخادع

أما في الحكاية الأخرى (رقم 50 ما جرى لـ صلاح الدين مع رجل من أتباعه)، فهو الجشع والدموي والمخادع وسارق يرغب بانتزاع أبسط الأشياء من مساعديه حتى لو انعم الله عليه بكل شيء. وهو لا يتوارى عن ذلك على الرغم من كل الدلائل التي تظهر أمامه ويذكره بها الجميع. نموذج تسلطي دموي لا رغبة له غير أهوائه وملذاته الحياتية. صورتان كلاسيكيتان متناقضتان ومتعايشتان في آن واحد في النموذج الحكائي الشعبي الإسباني سواء آنذاك أو في فترات طويلة لاحقة.

لقد كان دون خوان مانويل كاتباً مقيداً بزمنه، وبسيرته والطبقة الاجتماعية التي كان ينتمي إليها. بتوجيه عمله إلى طبقة «المدافعين» قد قيد بنية الكتاب وأسلوبه ومادته، المعضلات يتم طرحها وحلها من خلال وجهة النظر الطبقية.

يبقى أن الكتاب بتركيبته الفريدة يعد مرجعاً لفهم عادات واخلاق وبنى مجتمعات بأكملها، ويمنحنا نحن القراء فرصة الدخول في عوالم شاسعة وأفكار مهيبة لفهم الآخر وأدواته وزمانه الذي بنيت فيه أفكاره وتراثه الشعبي والحكائي ■

في نقد النَّص التراثي

رشيد الخديري *

- هل يمكن اعتبار الشعر العربي شعرًا فحوليًا بامتياز؟

سؤال كهذا يُفَجِّرُ تعدُّد القراءات النَّقدية التي حاولت مساءلة النَّص التراثي منذ نشأة إواليات النُّقد الأدبـي وصـولًا إلى الخطابات النُّقدية الجديدة، ولعلَّ أبرزها (النقد الثقافي) كما بشَّر به عربيًا عبد الله الغذامي، كمحاولةٍ لكسر عمود النسق الفحولي المتجذر في الشعرية العربية، فإذا كان النَقد الأدبي، يسعى إلى مساءلة الظاهرة الأدبية على أسسٍ جمالية، فإن النَّقد الثقافي يذهب إلى البحث في الأنساق الثقافية، بوصف النَّص الأدبي علامة ثقافية تنطوي على سمات دالَّةٍ ومحدِّدات نسقية. ومشروع الغذامي النقدي لا ينفك يطرحُ الكثير من الإبدالات النَّقدية، تروم تحريك المياه الرَّاكدة تحت الجسر، بُغيةَ تكشُّف سلطة النسق الفحولي، بما هو نموذج قيمي»يعزز مفهوم التسلط والتعالي الفردي ويدفع طغيان الذات المفردة، والآنا المتوحدة، والمرتبط بالضرورة بإلغاء الآخر ورفض التعددية، وترسيخ الصوت الفرد، وهي قيم خلقها وعززها النموذج الفحولي الشعري، وصارت قاعدة مسلكين لكل نماذج التسلط والفردية الاجتماعية والسياسية»(1).

إن ما يحكم الشعرية العربية منذ نشأتها حتى وقتنا الراهن، هي الرؤية المعيارية، وليست الرؤية الثَّقافية، فهي» لم تخرج عن نظم الشعر، كما جاءتنا في جوهرها، من قديم الشعر، أي من «القصيدة»، كمقترح شعري، حجب غيره، أو صار هو عيار الشعر، وليس عيار القصيدة»(2)، إننا أمام معضلةِ النَّص التراثي، وسبلُ الخلاص من ترسُّبات الماضي، وإعادة النظر في القيم والتصورات المفاهيمية حتى يَتمكَّن من استيعاب الخطابات النقدية الجديدة بما هي خلخلةٌ وزعزعة للسلطوي والمُترسِّخ فينا، لكن، هذا لن يحدث إلا عن طريق الوعي بهذا التراث كصيرورة حتمية للبحث عن أجوبة للقضايا النقدية في الوقت الراهن، لا النظر إليه كماضٍ يمضي دونَ أن يحدث خلخلةً للمسلمات، ف»الماضي هو مكان معرفةٍ، وهو أحد أشكال اختبار الحاضر، الذي لم يكن أبدا، وجودا من فراغ، العودة إلى الماضي، حين تكون وعيا بالحاضر، كشرط معرفة ووجود، أو النظر في الحاضر بعين الماضي، وتفسير كل ما يحدث في زمننا بزمن غيرنا، إن هذا الغير سواء كان سلفا لنا، أو لغيرنا، فهو في صياغة شكل إقامته في الوجود».(3)

يعني هذا ضمنيًا، أن الحديث عن الاشتراط الكلِّي لمعرفةِ النظريات النقدية القديمة في الشعر والشعرية، يتضمَّن أفقًا يُطبقُ على هذه المُسلَّمات، ويُعيدُ تمثلها بشكلٍ جديد، فالنظر «في منجزات السلف، سلفنا، لا باعتبارها تراثًا تفصلنا عنه القرون، بل الانطلاق من الوعي التام بأنَّها حالة فينا، تحيا معنا، منقوشةً كالوشم في صميم ذواتنا، لذلك لا بد من تمثلها وتفهمها قصد تحقيق حدث التَّملك تملّكها، وتملّكها لا يعني الاكتفاء بترديدها أو تحديثها عنوة وقهرًا واستبدادا، بل يعني الوقوف على ما فكر فيه سلفنا للشروع- وهذا هو الهام- في بناء ما لم يفكّروا فيهّ»(4) ■

*باحث من المغرب

هوامش:

1 - عبد الله الغذامي، صراع الأنساق – عودة الفحل/ رجعية الحداثة-، مجلة فكر ونقد، العدد 31، سبتمبر 2000، ص104.

2 - صلاح بوسريف، الشعر وأفق الكتابة، منشورات ضفاف- منشورات الاختلاف- دار الأمان، ط 1، 2014، ص12.

- الشعر وأفق الكتابة، مرجع سبق ذكره، ص27-31.

4 - محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سيراس للنشر، ط 2، 1992، ص08.

«شربات» الأمم المتحدة

أحمد محجوب*

كان اختلافهما كارثة كبرى، فالأكبر سناً، برتبة حكمدار، والأصغر مهندس الري المسؤول عن «غيطان أفنديا»، وقف الرجلان على مسافة واحدة من الجحيم، الأول يحتمي بالانجليز لإنفاذ القانون، والثاني يلتحف بالعثمانلي وشيوخ ست زوايا صوفية تحشد له الأتباع، لم يكن قد بقي على موسم الفيضان سوى أسبوع واحد، وحين جفت الأرض، ذهل الناس من الخراب القادم، وتوقعوا أن البلاء الذي حل في «الهوجة الكبرى» (الحرب العالمية الأولى)، سوف يكون مجرد «هزار» إذا خسر أي من الطرفين.

روي هذه الحكاية وهو يسحب نفساً عميقاً من سيجارته الملفوفة بمخدر الحشيش، وضحك كاشفاً عن أسنان سودها التبغ، فيما صدق على كلامه عبد التواب خضير، الذي تجاوز المائة بعامين ولا يزال بوعيه كصقر عجوز، وأيوب النقرزاني، تاجر الغلال الذي تزوج جنية في مقتبل شبابه.

أشاح جابر بوجهه بعيداً عنهم وهو «يزوم» رافضاً الكشف عن دوره في الكارثة التي كان سبباً في انجلائها في أوائل صيف 1930 تقريباً. ظل جابر متعففاً عن الحكي، بعد أن القى قنبلته عن خلافٍ ما دب بين أمين بك حكمدار الفيوم، والباشمهندس محمد أفندي غبريال قبل عقودٍ عديدة.. وحين ترجاه الحفيد أن يروي الظمأ بالحكي، أشار ضاحكاً لعبد التواب خضير، كي يكمل الحكاية.

يقول خضير:«أمين بك كان متمرساً على الضبط والربط، رجلٌ لايطيق أن يتلوث حافر حصانه بروث الحياة، ورث عن والده بضعة فدادين في شرق المنيا على النيل مباشرة، وعن أخواله «حب الخواجات»، فتعلم «رطانهم» الانجليزي، وأتقن طقوس سهراتهم بالفرنسية، ولاعبهم القمار بعد العشاء كل اثنين.. كان رجلاً يحب «البرنيطة»، ويكره «الطربوش»، كان أمين بك، قد تورط في عدة حوادث قتل للمتظاهرين في القاهرة خلال ثورة 1919، فأتوا به إلى الفيوم، كي يبعدوه عن «الجورنالجية».

يضيف خضير ذي الصوت الخشبي الناعق:«كان ضابطاً على أهل البلد، يجلد هذا لأن بقرته لوثت بذيلها كم خفير نظامي مر إلى جوارها صدفة، ويحبس ذاك لأن طفلته بالت من الخوف في الشارع، حين مر ركب الإنجليز محمري الوجوه، وخلفهم الهجانة القادمين من عمق افريقيا.. بالت الصغيرة على الأرض، فنزل البيك من على حصانه، ليمسكها من جلبابها المرقع، ويصرخ:«بنت أنهي كلب فيكم» موجها حديثه للفلاحين.. كان أمين بك، يعرف أن الأهالي يلقبونه بـ«أمين الطافش»، كونه أتى متخفياً من «البندر» إلى الفيوم، خائفاً من غضبة أهالي الشهداء، ومرتجفاً من انتشار خبر وجوده فتلحقه العيون وأسنة الصحفيين الحادة.. ورغم صلفه اللعين، كان لا يوقر في البلدة كلها إلا ثلاثة، أولهم المندوه بن السيد علي الجارحي، ملتزم الأبعدية، والثاني درويش أفندي صروف، «المكاس» الأشهر في وسط الصعيد (جابي الضرائب)، والثالث هو جدك جابر».

كان لكل من الثلاثة وزن نسبي يخشاه أمين الطافش، فأولهم مندوب الملك على الأرض، وثانيهم، الرجل الذي يكدس المال في جيوبه، أما الثالث، فلم تكن له ميزة نسبية، سوى القدرة على فض المنازعات، فكان الطافش يلجأ إلى جابر، كلما خرجت الأمور عن السيطرة، فيحضر جابر وهو العالم بسرائر بيوت المراكز الخمس، وعلى رأسه عمامه الأشراف، وعن يمينه غضب يدرك أهل البلدة جميعاً أن حدوده السماء، وعن يساره

ألف رجل كلهم ينتهي بنسب معه.

على الضفة الأخرى، كان محمد أفندي غبريال، رجلاً متعلماً، درس الهندسة في جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً)، وسافر إلى «باريز» عاصمة النور، ليجمع العلم والفكر معاً، وعاد إلى بلده، ليغير اسمه من اسحاق إلى محمد، وديناته من المسيحية إلى الإسلام، فتتلقف الصحف الخبر، وينجح مخططه في التحول من مهندس بالأشغال العامة، إلى مسئول الري عن الفيوم وبني سويف والمنيا مجتمعين، كجائزة على التحول الديني، فكتب الرجل في الصحف «يهدي» تحوله إلى «بركات أفندينا ولي النعم»، فصار معززاً بالقرب، ومحصناً من النقد والتفتيش والرقابة على مصير الخلائق.

خلف محمد أفندي غبريال، يقف ثلاثة من مشايخ الأزهر، أولهم عبد اللطيف العفناوي، الحائز على عالمية الأزهر، والرجل الذئب الذي يستطيع أن يحشد الكتاتيب والزوايا، أما الثاني فهو عتمان الطويل، الذي خرج من الأزهر دون إنهاء الإعدادية، لكنه احتفظ بودٍ ضخمٍ مع الأهالي، فعلى يده ينفك المربوط، وتحبل العاقر ويختتن الصبي وتزوج البنت، وتقسم المواريث حسب من يدفع أكثر. ثالث المشايخ كان يدعى علي، هكذا مباشرة الشيخ علي، لم يعرف له أحد أصل أو فصل، لكنه مسئول عن الأوقاف التابعة للأزهر في المديرية، وهو رجل شديد التدين قليل الكلام، عنيف الطبع تفرض جهامة وجهه على الناس احتراماً من نوع «اجتناب شر الفقها».

أما أصل الخلاف، فكان موعد فتح سد اللاهون، وهو الحاجز الهائل الذي يمنع المياه ويمنحها، بقرار من محمد أفندي غبريال، وحين أصر الانجليز على فتح الهاويس قبل موعده بأسبوع، كي يعبر جنودهم متخذين طريقهم إلى الثكنات في جنوب الجيزة، قرر محمد أفندي أن يحرق الأرض من تحت أقدامهم، وأعلن للفلاحين، أن فيضان هذا العام سيتأخر حتى نهاية أغسطس، وأن أي فتح للهاويس، يجعل الأرض توحل ، فيبور الزرع ويجف الضرع.

لجأ الانجليز إلى الطافش، فأمر رجاله بالفتح، لكن الخفراء خافوا على «كام قيراط» من طرح النهر، فعصوا قادتهم، فاستقدم البيك «أورطة» من الهجانة، أرعبت البلد أسبوعاً، وعسكرت على أبواب محمد أفندي، بينما سحب الانجليز قواتهم من قصر الباسل متجهين شمالاً، وتكدست أعدادهم القادمة من حملة ضخمة على السودان، في بني سويف، بانتظار فتح بوابة اللاهون.

يضحك خضير ملء قلبه وهو يقول:»كان جابر يسهر مع محمد أفندي حتى الصباح، ثم يذهب للدار فينام إلى الظهيرة، ويخرج إلى أمين بك الطافش فيجلس معه في الحكمدارية حتى قبل مغيب الشمس.. على مدار أسبوع حاول جابر أن يردم الهوة بين الأفندي، والبيك، مرت الأيام والأهالي يحملون جابر المسؤولية، وحين طال الأمد، تركهم جابر متجها إلى شربات، خليلته التي لا تكل ولا ترفض، فجلس في حجرها ساعتين، ثم حلت له المعضلة:«ساعة وأكسر لك أتخن شنب فيهم».

دخلت شربات على الأفندي ولديه الشيوخ، فبادرتهم صارخة:»اللي في بطني ابن مين يا محمد افندي.. مافيش غيرك إنت والحكمدار اللي كنتوا في داري من ساعتها، ماهو يا ابنك يا ابنه»، ثم خرجت فجأة والرجال أصابهم الشلل، فيما اتجهت هي إلى بيت الحكمدار بناحية الحواتم، وكررت أمام الخفر والحريم ذات الرواية.

طار الخبر في البلد كالنار في الهشيم، وتحول الرجلان إلى مسخة، وتحدث الأهالي أن أصل الخلاف ليس الماء ولا النفوذ ولا الانجليز ولا أفنديا، لكنها شربات، وأصبح محمد وأمين، مطاردين في بيتهما، فزوجة الأول، ابنة وصيفة الملكة الأم شخصياً، وزوجة الثاني، ابنة شقيقة وزير الداخلية، وحين استشعر الرجلان الخطر، ذهبا إلى صلاة الجمعة على غير عادة، وصعد الشيخ عتمان المنبر، وهو يتعجل الخطبة التي خصصها لـ«الصلح في الإسلام»، وما إن انتهت الصلاة، حتى تصافح الرجلان وسط همهمات المصلين، بينما زغردت النسوة على الأسطح، وهتفت إحداهن:»شربات طلعت أجدع من سعد باشا» ■

* شاعر وروائي مصري

الأرشيف الوطني

نصف قرن على درب الذاكرة

تقرير - جمال مشاعل

لم يعد الأرشيف الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة مجرد حاضنة للوثائق التاريخية فحسب، فقد صار يؤدي دوراً كبيراً في مجال تنظيم الأرشيفات في الدولة، وجمع الوثائق وحفظها، وصار يعمل في إطار التنشئة الوطنية ليعزز الولاء والانتماء ويرسخ الهوية الوطنية وقيم المواطنة الصالحة لدى أبناء المجتمع، وقد تخطت أنشطة الأرشيف الوطني حدود دولة الإمارات ليسهم في إنشاء أرشيف وطني بحريني وينظم أرشيفات مدينة جدة، وقد استطاع أن يحقق موقعاً متميزاً على صعيد المؤسسات المماثلة في الشرق الأوسط والعالم، لاعتماده على قاعدة تكنولوجية حديثة في تنفيذ مهامه.

تاريخ الإمارات

تأسس الأرشيف الوطني التابع لوزارة شؤون الرئاسة عام 1968 تحت مسمى «مكتب الوثائق والدراسات» بناءً على توجيهات المغفور له -بإذن الله- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بهدف جمع ذاكرة الوطن وحفظها.

وبعد مرور أربعين عاماً على تأسيسه، أصدر صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله» القانون الاتحادي رقم / 7 / لسنة 2008 بتحويله إلى المركز الوطني للوثائق والبحوث، وأنيطت به مهام تنظيم أرشيفات الجهات الحكومية في الدولة، وتمّ مرة أخرى تعديل تسمية المركز الوطني للوثائق والبحوث الواردة في القانون إلى «الأرشيف الوطني» وفق القانون الاتحادي رقم /1/ لعام 2014 الذي أصدره صاحب السمو رئيس الدولة « حفظه الله ».

وفي إطار تنظيم أرشيفات الجهات الحكومية أنهى فريق عمل الأرشيف الوطني 100% من المرحلة الأولى من تشخيصها، إذ تم تشخيص وضع الأرشيف في 202 جهة اتحادية ومحلية.

و يؤكد سعادة الدكتور عبد الله الريس مدير عام الأرشيف الوطني بأن الأرشيف الوطني يتكفل بحفظ الرصيد الوثائقي وتنظيمه؛ مشيراً إلى أهمية

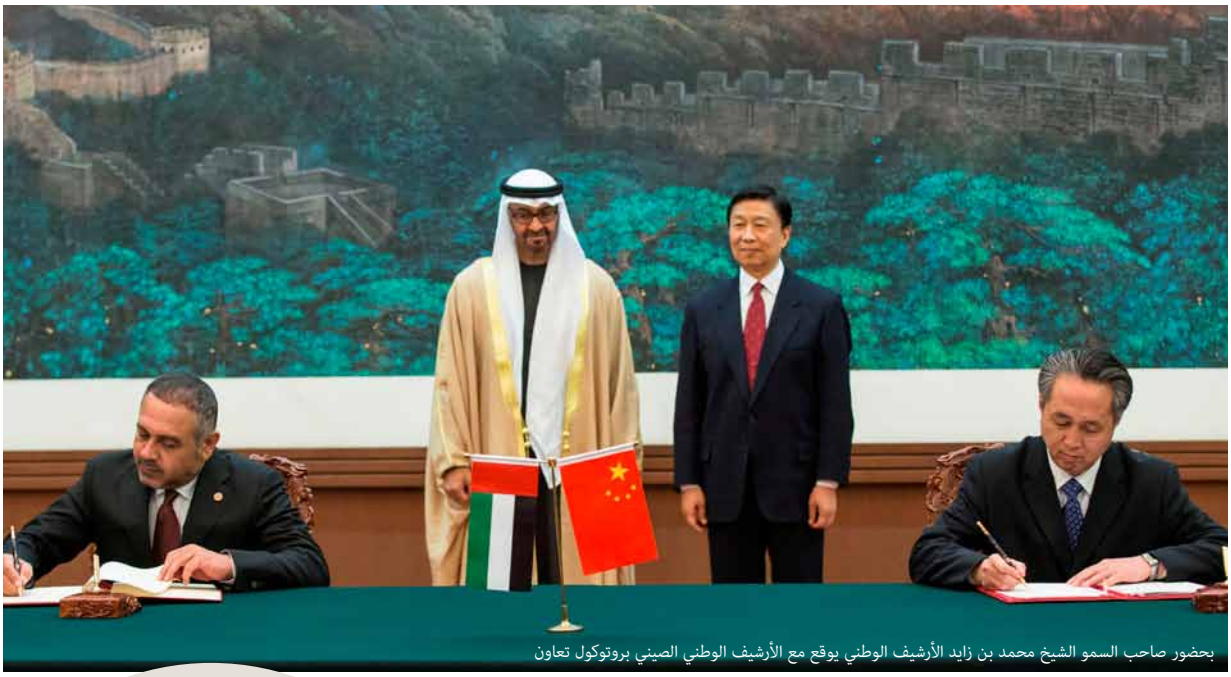

بحضور صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد الأرشيف الوطني يوقع مع الأرشيف الوطني الصيني بروتوكول تعاون

أحد أعضاء وفد الأرشيف الوطني وحديث دافئ مع أحد منتسبي دار المخطوطات بجمهورية جيبوتي

الأرشيف الوطني فيه مكتبة متخصصة ثرية بالمصادر والمراجع

رصد تفاصيل تاريخ الإمارات وحفظه، فما حفل به هذا التاريخ من قيام الاتحاد، وما تلاه من نهضة مباركة حدثت في وقت قياسي وعمّت جميع أنحاء الإمارات يستحق كل الاهتمام توثيقاً وحفظاً ليكون درساً في الوحدة وقيام الدول ونهوضها».

وعن إنجازات الأرشيف الوطني، يقول سعادة المدير العام: لقد امتدت جهود الأرشيف مستهدفة ترميم بعض التراث العالمي؛ وليثري الأرشيف مكتبته بالتراث العالمي النادر؛ لذا وقّع الأرشيف اتفاقية تعاون مع وزارة الثقافة والسياحة الإيطالية للحفاظ على التراث الثقافي وتعزيزه ورقمنة متحف « نابليون» في جزيرة ألبا الإيطالية ومكتبته، وبهدف إثرائه بالمقتنيات، وتفعيلاً لمذكرة التفاهم التي وقّعها الأرشيف الوطني مع الأرشيف الوطني الألباني، فإن العمل جارٍ على ترميم عشرين ألف مخطوطة عربية نادرة في الأرشيف الألباني تعود إلى القرن السابع الميلادي، وبعد أن تشرفت برئاسة برنامج «ذاكرة العالم» التابع لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، فإننا نسعى جادين من أجل إدراج وثائق الشيخ زايد في اليونسكو، فهو – طيب الله ثراه- شخصية عالمية محبة للسلام، ويجب أن يتعرّف الأكاديميون على تاريخه الحافل بالإنجاز، والمآثر».

ذاكرة وطن

أطلق الأرشيف الوطني عدداً من المشاريع الوطنية، وأبرزها: مشروعه الريادي «وثق» الحملة الوطنية لتوثيق السجلات الشخصية لما لها من أهمية في تعزيز ذاكرة الوطن التي يعمل على جمعها وتوثيقها وحفظها.

كما أطلق الأرشيف الوطني حملته الوطنية «أرشيفي مستقبلي» المماثلة لحملة «وثق» والخاصة بالطلبة، وفي إطار موسمه الثقافي استطاع أن يستقطب أكثر من عشرين ألف مستفيد في عام 2015 من محاضرات الموسم الثقافي وفعالياته التي

تعزز الولاء والانتماء وترسّخ لدى أبناء المجتمع الهوية الوطنية وقيم المواطنة الصالحة.

للأرشيف الوطني عدة مشاريع أخرى خاصة بالطلبة في مختلف مراحلهم الدراسية، مثل: مشروع نـادي المؤرخين الطلابي، وجائزة المؤرخ الشاب، وافتتح ركناً خاصاً به في مدينة الأطفال العالمية التعليمية «كيدزانيا دبي»، ليكون أول أرشيف في العالم له فرع في كيدزانيا. ولكي يكون قريباً من الأطفال والطلبة أطلق الأرشيف الوطني شخصيات كرتونية (حمد وحصة والجد) لاقت إقبالاً كبيراً من قبل الأطفال والطلبة في عدد من المعارض والفعاليات التي شارك فيها وتسهم هذه الشخصيات في الترويج للقيم الوطنية النبيلة.

ويشارك الأرشيف الوطني سنوياً في مهرجان الشيخ زايد التراثي في منطقة الوثبة؛ ليعرض بعض مقتنياته من الوثائق التاريخية التي تقدم ملامح من تاريخ الإمارات بتقنيات إلكترونية وشاشات تفاعلية.

ويفتح الأرشيف الوطني أبوابه أمام الباحثين والأكاديميين من داخل الدولة وخارجها، وهو يضع خدمة الباحثين في مقدمة أهدافه الإستراتيجية؛ لذا يعمل على توفير بحوث وخدمات معرفية متكاملة وتعمل كوادره على تعزيز التواصل مع الباحثين الذين يعتبرون الشريحة الكبرى من جموع المستفيدين من خدماته، ويضع في حساباته طلباتهم وهو يعمل على تنمية مقتنياته وتعزيز إتاحتها.

> أطلق الأرشيف الوطني عدداً من المشاريع الوطنية، وأبرزها: مشروعه الريادي «وثق» الحملة الوطنية لتوثيق السجلات الشخصية لما لها من أهمية في تعزيز ذاكرة الوطن التي يعمل على جمعها وتوثيقها وحفظها

يوميات الشيوخ

ويعمل الأرشيف الوطني على تطوير الخدمة المقدمة للباحثين عبر تحقيق مستوى عالٍ من الجودة والسعي الدائم إلى التميز والريادة في تقديم الخدمات ملتزماً بمواد القانون رقم / 7 / لعام 2008 وبشروط شهادات الآيزو التي حصل عليها في مجال نظام الإدارة المتكامل / IMS العالمية / و الآيزو 27001 التي تعتبر أعلى معايير جودة أمن المعلومات وحمايتها.

وللأرشيف الوطني إنـجـازات على صعيد التطبيقات الذكية نالت إعجاب الخبراء والمختصين، ففي معرض جيتكس 2013 قدّم الأرشيف الوطني تجربته الأولى محليًّا وعربيًّا في هذا المجال بتصفح مجلدات «يوميّات الشيوخ» إلكترونيًّا على هواتف آيفون الذكية وأجهزة الآيباد اللوحية، وتتألف «يوميات الشيوخ» من ثمانية عشر مجلداً أصدرها الأرشيف الوطني، رصدت يوميات صاحب السموّ الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله - ويوميات صاحب السموّ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي - رعاه الله - ويوميات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، ويوميات سموّ الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، رئيس المجلس التنفيذي لإمارة دبي.

وقد احتوت هذه الإصـدارات على جميع الأنشطة والأحـداث اليومية لأصحاب السموّ الشيوخ، ووثقتها بتسلسل موضوعي وزمني على مدار الفترة التي تشملها اليوميات من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتتيح هذه التقنية التفاعلية الحديثة الوصول إلى محتويات هذه المجلدات؛ حسب الموضوع أو التاريخ أو المصدر ويتيح البحث عن كلمة أو عبارة محددة بدقة عالية وفي زمن قياسي، وحقق الأرشيف الوطني للباحثين إمكانية الاستشارة المعرفية عبر التطبيقات الذكية في البوابة الإلكترونية، بعد أن حدّث موقعه الإلكتروني وطوره وجعله موقعاً تفاعليًّا بامتياز.

يوميات الشيوخ إصدار الأرشيف الوطني.. على الأجهزة الذكية

طلبة جامعة العين يتابعون محاضرة في البحث العلمي بمقر الأرشيف الوطني

وأتاح للمستفيدين إمكانية الوصول إلى المكتبة الصوتية للمغفور له - بإذن الله - القائد المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، بعد أن أثراها بمئات الأقوال لحكيم العرب التي تقدم آراءه في قضايا مختلفة محلية وعربية وعالمية سبقت عصره حول الاتحاد والمرأة، والإسكان والزراعة، وغيرها من أمور الدولة.

الوطني للوثائق يتسلم جائزة كتاب زايد رجل بنى أمة أفضل كتاب مترجم، بمعرض الشارقة الدولي للكتاب

زايد رجل بنى أمة

واحتفاءً باليوم الوطني الثالث والأربعين لدولة الإمارات العربية المتحدة دشن الأرشيف الوطني معرضاً رقميًّا على معهد Google الثقافي على الإنترنت، وتضمن ذلك المعرض وثائق وصوراً وأفلاماً وثائقية تعرض رحلة قيام الاتحاد في الدولة؛ بهدف التعريف برحلة وحدة الإمارات وتطورها.

ولا يـزال العمل جارياً من أجل إنشاء مركز للحفظ والترميم بمواصفات عالية ومزود بأحدث التقنيات.

ومن قبيل الحرص على تأهيل الموظفين ورفع مستواهم العلمي والمهني أطلق الأرشيف الوطني مشروع «التعليم والتدريب الإلكتروني «الـذي يشتمل على عدد من الـدورات التعليمية والتدريبية، وأطلق أيضا «برنامج المشاركة في جوائز التميز المؤسسي «الذي يتضمن عدداً من المشاريع التطويرية تمهيدا للتقدم لشهادة «معرّفون بالتميز R4E» التي تمنحها المؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة «EFQM» في بروكسل.

وشارك الأرشيف الوطني بإصداراته في معارض الكتاب الكبرى داخل الدولة كمعرضي أبوظبي الدولي للكتاب والشارقة الدولي للكتاب، كما شارك في معارض وثائقية تاريخية بأهم إصداراته في معرض الصيد والفروسية واحتفالات السفارات العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة، وبالتعاون مع وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع شارك بإصداراته في معارض الكتب خارج الدولة، ووزع عدداً كبيراً من هذه الإصدارات ليبحر عبرها القراء والمثقفون في تاريخ وتراث الإمارات ومنطقة الخليج.

وأصدر الأرشيف الوطني عدداً كبيراً من الكتب في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج، إلى جانب مجلة «ليوا» العلمية المحكّمة التي تصدر مرتين سنوياً، ويذكر أن الأرشيف الوطني حصل على جائزة معرض الشارقة الدولي للكتاب في دورة سابقة عن كتاب « زايد رجل بنى أمة « بوصفه أفضل كتاب إماراتي مترجم، ويحفل هذا الكتاب بأكثر التحليلات تفصيلا لحياة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .. والذي أثرته الذاكرة الجماعية للذين عاصروا رحلته الطويلة وشاركوا فيها وتم تعزيز محتوى الكتاب

آثار الإمارات في جناح الأرشيف الوطني المشارك في مهرجان الشيخ زايد التراثي

الأرشيف الوطني يحتفي بحق الليلة

معالي نائب وزير شؤون الرئاسة متفقداً المعرض الوثائقي الذي يشارك به الأرشيف في احتفالات السفارة العمانية باليوم الوطني

بمواد مرجعية أساسية من كافة أرجاء العالم حتى غدا الكتاب في / 800 / صفحة يرسم قصة شخصية فريدة وآسرة تدعمها العديد من الصور الأرشيفية الفريدة.

وجابت معارض الأرشيف للوثائق التاريخية بأشكالها إمـارات الدولة لتقدم للجمهور جوانب من تاريخ الإمارات وماضيها العريق، ومن أبرز هذه المعارض تلك التي شارك بها في احتفالات سفارات الدول العربية الشقيقة والأجنبية الصديقة، ومشاركته بمعارض للصور والوثائق التاريخية في المناسبات الوطنية.

وينظم الأرشيف الوطني سنوياً معرضاً للصور بعنوان « زايد رجل بنى أمة» في مسجد الشيخ زايد الكبير، في شهر رمضان المبارك، يوثق فيه بعض ملامح العمل الخيري والإنساني التي اتسم بها الشيخ زايد بن سلطان طيب الله ثراه.

وشارك الأرشيف الوطني في القوافل الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع في الفجيرة والعين وفي العديد من الفعاليات الثقافية والتراثية على امتداد أرض الإمارات.

التاريخ الشفاهي

ويهتم الأرشيف الوطني بمشروع توثيق التاريخ الشفاهي، وبهذا الصدد فهو يحتفظ بأكثر من 1000 تسجيل في التاريخ الشفاهي بالصوت والصورة أجري مع كبار السن، وتدور مواضيع المقابلات بشكل عام حول التاريخ الحي، أو «السيرة الذاتية» للراوي، وسيصدر الأرشيف هذه المقابلات قريباً في سلسلة كتب ومجلدات بعنوان «ذاكرتهم تاريخنا».

وتشمل مقابلات التاريخ الشفاهي العديد من المواضيع المهمة مثل: الأنساب، والحياة الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والطب الشعبي، وأساليب العلاج التي كانت تُمارس، والمهن التي كانت تُمارس، والأحـداث التاريخية التي عاصروها أو وصلتهم من آبائهم وأجداهم، وقصة المكان، وأسباب تسمية بعض المناطق بهذه التسميات، ومواقع الآبار، والتغيرات التي طرأت على الأماكن عبر الزمن، بالإضافة إلى الدروس التي تعلموها من آبائهم ومن حياتهم، والقصص والحكايات الشعبية، والأمثال الشعبية، والقصائد، والشعر، وأسماء الشخصيات أو الأبطال الذي كان لهم دور تاريخي مهم أو الذين اشتهروا بعملٍ ما، وتثري المقابلات الذاكرة بحقائق التاريخ، وتملأ الثغرات ببعض الأحداث غير المسجلة في الوثائق والتاريخ المكتوب، وتعدّ الإمارات ممثلة بأرشيفها الوطني أول دولة عربية تنال شرف العضوية في الجمعية العالمية للتاريخ الشفاهي، وهو الجهة العربية الأولى في تمثيل قارة آسيا في الجمعية العالمية للتاريخ الشفاهي.

وللمسؤولية الاجتماعية أهميتها لدى الأرشيف الوطني .. فهو يتعاون مع الجهات التي تطلب الرعاية أو الشراكة في الفعاليات التي تهم المجتمع وأبناءه وسبق أن كانت له مشاركة ببعض الفعاليات مع الهلال الأحمر ومدينة الشيخ خليفة الطبية، وأكثر من مرة احتفى مع دار المسنين في الشارقة باليوم العالمي للمسنين.

ووقع الأرشيف الوطني اتفاقية تعاون مع مكتب سمو ولي عهد دبي تخصّ مبادرة 1971 التي أطلقها سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، ووقع أيضا عدداً كبيراً من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم الداخلية والخارجية بهدف تعزيز أرشيفاته، وتمتين العلاقات ومدّ الجسور مع المراكز المماثلة، وتقوية العلاقات لتبادل الخبرات في مجال تخصصه.

وفي إطار اهتمام الأرشيف الوطني بأرشيفه الرئاسي الذي يحتوي على الصور الفوتوغرافية وأفلام الفيديو التي توثق أنشطة الشيخ زايد بن سلطان - رحمه الله - وصاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله - على المستوى المحلي والخارجي واحتفاظه بالأفلام الوثائقية القديمة؛ فإن الأرشيف الوطني يعمل على إثراء مقتنيات قسم الأرشيف الرئاسي بالصور الفوتوغرافية والأفلام الوثائقية ذات الصلة بموضوع اهتمامه ■

القراءة والسعادة

ناصر عراق *

تطرح المبادرات المتنوعة التي يطلقها قادة الإمارات بخصوص القراءة العديد من القضايا بالغة الأهمية، مثل مبادرة (2016 عام القراءة) التي أطلقها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، والتي استلهمتها الحكومة لتطلق مشروع (الاستراتيجية الوطنية للقراءة)، حيث تم تخصيص 100 مليون درهم كدفعة أولى لدعم المشروع، فضلا عن إصدار القوانين التي تشجع على القراءة وتنظمها.

كذلك أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله مبادرة (تحدي القراءة العربي)، وقد قام بنفسه بتوقيع أول 15 شهادة للطلاب الفائزين داخل الإمارات في حفل بهيج أظنه نادر الحدوث في عالمنا العربي، أما الطالبة الأولى فاطمة النعيمي من إمارة رأس الخيمة فقد تلقت من سموه قبلة أبوية فوق رأسها تقديرًا لإصرارها ودأبها على قراءة 56 كتابًا طوال فترة العام الدراسي الذي انتهى مؤخرًا.

أقول... تطرح هذه المبادرات الجادة قضايا متنوعة مثل: دور القراءة في تعزيز الابتكار والإبداع، أو دور القراءة في شحذ همم الشعوب، أو دورها في إطلاق قطار التنمية المستدامة، أو دورها في تأكيد فضيلة التسامح وقبول الآخر، إلى آخر هذه القضايا المرتبطة عضويًا بمفهوم القراءة وتأثيرها المدهش.

لكني أريد أن أتحدث معك عن دور آخر للقراءة لا يقل أهمية عن الأدوار التي ذكرتها توًا، وهو دورها المذهل في إسعاد الإنسان ومنحه طاقة من الفرح يجدد بها نشاطه العقلي، ويقاوم بها منغصات الحياة اليومية.

أجل، القراءة تصبُّ في روح القارئ البهجة المقطرة، وتمنحه شعورًا نادرًا بأنه يتجاوز فرديته، يتجاوز مكانه، زمانه، إنه صار أكثر من شخص، إنه يتناسل ويتكاثر هنا وهناك، يحوم ويطير مع الحروف والكلمات، يصعد مع الأفكار إلى ذرى غير مسبوقة، يهبط مع الرؤى إلى الوديان المنسية والسهول المترامية.

لا يغيب عن فطنتك بطبيعة الحال أنني أمتدح القراة بشكل عام وأمجّدها، ولا أخصص مجالا معينا، فكل قراءة هي فعل سعادة، وكل مطالعة هي قفزة في أمواج الحبور، سواء كنت تمسك رواية أو ديوان شعر، سواء كنت تبحر في الفلسفة والتاريخ، أو كنت تتجول في سراديب العلوم والجغرافيا، أو تتكشف أسرار اللغات والأساطير القديمة، كل ذلك يعد احتفالا بالقراءة وتبجيلا للمعرفة، الأمر الذي يؤدي حتمًا إلى الاستزادة من المتع العقلية والروحية اللانهائية.

تزيح القراءة الستائر التي تحجب نور المعرفة، فكل كتاب يمزق سترًا، وكل معرفة تبدد نقطة ظلمة، وكل معلومة تثير سؤالا... وهكذا تتفتح مسام العقل لاستقبال الفكرة والمعلومة والخاطرة، ويتألق الوجدان وهو يغتني ويمتلئ بزهور العلم والأدب.

القراءة هي عزف موسيقي باهر في فضاء الروح، وهي النغم البهيّ الذي يصدح في سماوات الوجدان، بدونها يرتد الإنسان إلى وحشيته الأولى، فلا رقة في التعامل، ولا إدراك لقيمة أو فضيلة.

صحيح أن هناك كتبا تنشر الأفكار الفاسدة وتروج لها، إلا أنها كتب محدودة العدد، قليلة التأثير بالقياس إلى تراث البشرية الثري جدًا بالكتب التي تعلم وتشرح وتضيء وتحلل وتمتع، من أول (كتاب الموتى) الذي ألفه مجموعة من الكهنة المصريين الأوائل ونقشوه على جدران معابدهم وقبورهم قبل آلاف السنين لتساعد الميت في رحلته النهائية إلى العالم الآخر، حتى آخر كتاب صدر وأنا أكتب هذا المقال.

اقرؤوا، تصحّوا. اقرؤوا، تستمتعوا.

* روائي وتشكيلي من مصر

أول عربي ينال جائزة طاغور للسلام العالمية

شهاب غانم:

الشعر الإماراتي في حاجة إلى نقد موضوعي متين

حوار- تقية العامري

يصف الشاعر والمترجم الإماراتي الدكتور شهاب غانم نفسه بالمحظوظ، ويبرر ذلك قائلًا: «فبعد مسيرة خمسين عامًا مع الشعر وترجمة الشعر، صرت أصل إلى كثير من القراء والمستمعين الذين يحبون الشعر في الإمارات والعالم العربي وأيضًا في البلدان الأجنبية مثل الهند وخصوصًا ولاية كيرالا حيث أعد أشهر شاعر عربي ومن أشهر الشعراء الأجانب» ويضيف في حوارنا التالي معه: «أيضًا نلت العديد من الجوائز المحلية مثل شخصية العام الثقافية في الإمارات، والجوائز الأجنبية مثل جائزة طاغور للسلام وذلك بسبب انتشار كتاباتي، والجوائز زادتني معرفة للناس بي». وفيما يلي الحوار:

■ شاعر ومترجم وكاتب، هل هي ضربة حظ أم قرار شخصي؟

بالنسبة للشعر فقد وجدت لدي ميلًا شديدًا للشعر وحفظ نصوصه منذ كنت في المدرسة الابتدائية، وبدأت محاولاتي في كتابته منذ المدرسة الثانوية. وكنت أدرس الهندسة في جامعة أبردين عندما بدأت أكتب محاولات صالحة للنشر.

أما الكتابة النثرية فبدأتها في الثانوية عندما كنت محرر مجلة «كلية عدن» في سنواتي الأخيرة الدراسية فيها، وكانت المجلة تصدر مطبوعة سنويًا بقسمين عربي وإنجليزي وكنت أحررها وأيضًا أكتب فيها.

أما الترجمة فتعلمتها في الثانوية من العربية إلى الإنجليزية والعكس

ولكن ما جذبني هو ترجمة الشعر وبدأت نشر بعض النماذج في الثمانينيات، ثم من حوالي 1990 صرت أترجم الشعر بانتظام في المجلات والصحف، ونشرت حتى الآن 25 كتابًا من الشعر المترجم إلى العربية أو إلى الإنجليزية، وبعض هذه الكتب حصل على جوائز.

■ **يقول الشاعر لويس أراغون «لولا الشعر لأصبنا جميعا بالسكتة القلبية»، كيف ترى الشعر؟**

الشعر بالنسبة لي مهم جدًّا في سبر أغوار النفس وإعادة التوازن النفسي للشاعر ولبثّ القيم والإيمان بالصمود، يقول أبوتمام:

ولولا خلال سنّها الشــعر مـا درى
بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

المرأة في الشعر

■ **كيف تتجلى صورة المرأة في شعرك؟**

موقع الأنثى وإلهامها في تجربتي الشعرية في غاية الأهمية وقد كتبت عن زوجتي رحمها الله نحو 50 قصيدة في رحلة زواج استمرت قرابة نصف قرن ونشرت كثيراً من تلك القصائد في ديواني «هو الحب» الذي أهديته لها ثم جمعتها كلها في ديواني معاني الهوى عندي» وهـي من أجمل شعري وإن لم أشر في الغالب إلى أنها عن زوجتي. ثم كتبت عنها ثلاث مراث وقد قلت في مرثيتي الأخيرة لها منذ أسابيع:

يا ابنة الشعر كنت منبع شعري

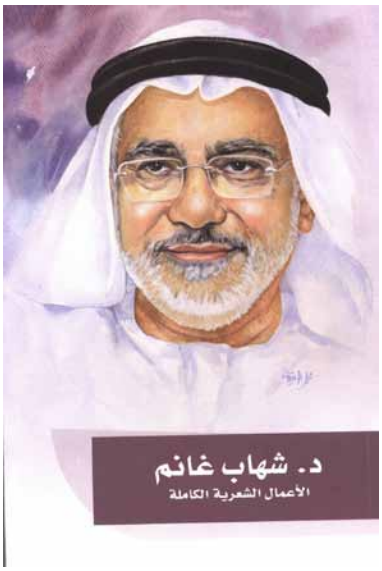

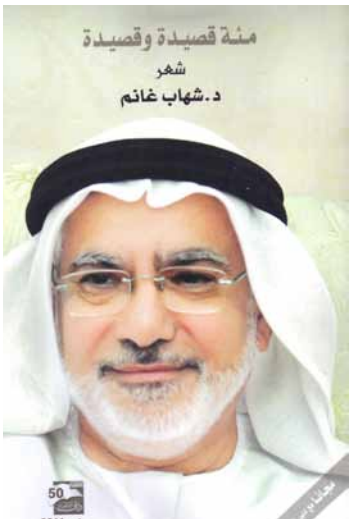

كل تلك السنـــين فيك انـــسابا
كان شعري حبًا وعشقًا ووجـــدًا
واشتياقًا، وكـــان شـــعري عتابا
نحو خمسين من قصائد شـــعري
في «معاني الهوى» تضم العُجابا

كما كتبت قصائد عن والدتي وابنتي وحفيدتي.

■ **كيف ترى واقع الشعر الإماراتي في خارطة الشعر العربي؟**

الشعر الإماراتي فيه الغث وفيه السمين مثل بقية الشعر في العالم العربي، ونحن في حاجة إلى نقد موضوعي

يصف الشاعر والمترجم الإماراتي الدكتور شهاب غانم نفسه بالمحظوظ، ويبرر ذلك قائلًا: «فبعد مسيرة خمسين عامًا مع الشعر وترجمة الشعر، صرت أصل إلى كثير من القراء والمستمعين الذين يحبون الشعر في الإمارات والعالم العربي وأيضًا في البلدان الأجنبية مثل الهند وخصوصًا ولاية كيرالا حيث أعد أشهر شاعر عربي ومن أشهر الشعراء الأجانب

متين وعميق لنستطيع أن نخطو خطوات واثقة إلى الأمام في مجال الشعر والإبداع، لابد من النقد وأن نتقبله إذا كان موضوعيًا وليس مغرضًا وهو حق للناقد والقارئ، وأيضا مفيد للمبدع وإن أزعجه أو آلمه أحيانا. ولكن الناقد ينبغي أن يمتلك أدوات النقد وأن يكون نقده بناء.

■ **كيف تنظر إلى لغة شباب الشعراء اليوم؟**

على الرغم من أن التعليم ينتشر في وطننا والعالم العربي ومستوى معرفة اللغة الإنجليزية يرتفع بشكل ملحوظ إلا أن مستوى اللغة العربية حسب ملاحظتي يتراجع لعدة أسباب ليس هنا المجال في ذكرها، ولكن وزارات التربية والتعليم ينبغي أن تقوم بجهود إضافية لتدارك هذا الأمر، فاللغة العربية عنصر أساسي في هويتنا فإذا استقامت اللغة فستتحسن اللغة الشعرية .

دبلوماسية الشاعر

■ **يقال إن الشاعر يشبه الدبلوماسي، هل ثمة تشابه بينهما؟**

لا أظن ذلك أبدًا فالشاعر يحب أن يعبر بصدق ودقة وبلغة شاعرية راقية عن مشاعره وإن كان كثيرا ما يلجأ إلى الرمز، أما الدبلوماسي وإن كان ينبغي أن يعبر بلغة راقية – ولذلك نجد كثيرًا من الشعراء يختارون للعمل كسفراء ودبلوماسيين- ولكنهم كثيرًا ما يضطرون للمجاملة أو التعبير عن رأي بلادهم ووزارات خارجيتهم حتى ولو لم يكونوا مقتنعين بذلك الرأي.

أذكر أنني التقيت الشاعر الكبير عمر أبو ريشة في الهند عام 1969 وكان يومها سفيرًا لسوريا فأعرب لي في أول لقاء لنا عن اختناقه بعدم المقدرة على التعبير كما يشاء في كثير من الأمور مراعاة لظروف الوظيفة وكان يتطلع إلى التقاعد منها.

■ **كيف تنظر إلى المهرجانات الشعرية في العالم العربي؟**

المهرجانات الشعرية في العادة تجمعات جميلة تجمعك بأصدقاء من الشعراء لم ترهم منذ سنوات. وقد تعرفت من خلالها على عشرات الشعراء وعرفت في بعض الأحيان من خلال تصرفاتهم أخلاقهم كأشخاص وليس كما تخيلتهم دائما من خلال ما قرأت من شعرهم وبعضهم أحببتهم أكثر عندما عرفتهم والبعض الآخر على عكس ذلك. وبعض المهرجانات الهادفة مثل «القلب الشاعري» الذي ساهمت في إنشائه واستمراره تساعد في نشر قيم السلام والوئام بين الشعوب من لغات وثقافات وأديان مختلفة. وبعض المهرجانات تعرفك على شعراء لم تكن قرأت لهم من قبل. ومهرجان أو مسابقة شعرية مثل «أمير الشعراء» قرب الشعر إلى كثير من الناس الذين لا يقرؤون الشعر في هذا الزمن ولكنهم قد يتمتعون بالاستماع إليه عبر التلفزيون.

يجب ألا تكون خيانة بل على المترجم أن يكون أمينًا قدر الإمكان ولكن يجب ألا تكون الترجمة حرفية بل فنية وراقية قدر الإمكان دون أن تضع كلمات في فم صاحب النص الأصلي لم يقلها أو يقصدها. ولكن الترجمة تكون حسب فهم المترجم ولذلك ينبغي ألا يترجم نصا لم يفهمه. والنص نفسه ينبغي أن يكون نصًا كما قلت نصًا «عابرا للغات»

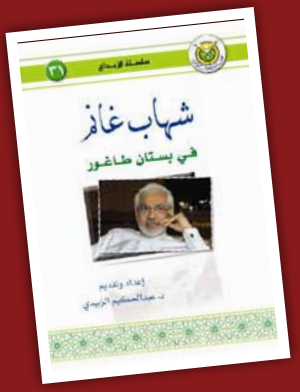

نجومية الشعر

■ **هناك شعراء لم يحظوا بجماهيرية تشهد على مسيرتهم الشعرية، فكيف هو ارتباطك بالجماهيرية والنجومية الشعرية؟**

الشاعر الحقيقي همه الأول الشعر والإبداع وطبعا يهمه أن يصل صوته إلى الناس. أنا من المحظوظين فبعد مسيرة خمسين عاما مع الشعر وترجمة الشعر صرت أصل إلى كثير من القراء والمستمعين الذين يحبون الشعر في الإمارات والعالم العربي وأيضا في البلدان الأجنبية مثل الهند وخصوصا ولاية كيرالا حيث أعد أشهر شاعر عربي ومن أشهر الشعراء الأجانب. أيضا نلت العديد من الجوائز المحلية مثل شخصية العام الثقافية في الإمارات والجوائز الأجنبية مثل جائزة طاغور للسلام وذلك بسبب انتشار كتاباتي والجوائز زادتني معرفة للناس بي.

■ **كيف برأيك يتجدد الشاعر وشعره، سيما وأننا في عصر التفرد والبعد عن التكرار؟**

هذا سؤال مهم جدًا وكان يشغلني منذ بداية تجربتي ولعل الفضل الأول يعود في ذلك لوالدي الشاعر الكبير البروفسور د. محمد عبد غانم رحمه الله الذي كان يقوِّم تجاربي، خصوصا تجاربي الأولى، وينصحني أن يكون صوتي متفردا ولا يتشبه بأي شاعر مهما كان متميزا ولا يقلد أي قصيدة. وقد استطعت أن أحاول التعرف على القصائد المتفردة للشعراء الكبار من مختلف اللغات وأترجم ما أجده شعرا أعده «عابرا للغات». وأحاول أن أعبر في قصائدي عن نفسي وأن تحمل كل قصيدة شيئا جديدا وليس تكررا لنفسي أو لغيري. أيضا أهتم

كثيرا بقراءة وكتابة القصائد الإنسانية الرفيعة القيم.

■ **لوركا يقول: «الشعر لا يحتاج إلى مهنيين مهرة بل إلى عشاق»، ما رأيك؟**

كلام لوركا صحيح في المقام الأول، ولكن في المقام الثاني يحتاج الشاعر إلى تمكن من اللغة والثقافة الواسعة وأدوات الكتابة، أي المهنية والجهد في التنقيح.

الشعر والنقد

■ **حركة الشعر العربي في الخليج هل هي امتداد للحركات الشعرية العالمية بما فيها الشرقية والغربية أم صنعت لنفسها مسارا شعريا مغايرا؟**

هـي امـتـداد للشعر العربي ولكن لها بعض خصوصياتها في مواضيعها وصورها.

■ **النقد يهدف لإضاءة العمل الإبداعي، كيف تنظر للعلاقة القائمة بين القصيدة والنقد في مشهدنا الشعري الراهن؟**

إن كنت تتحدثين عن الشعر في الإمارات فالنقد للشعر قليل جدا والشاعر الإماراتي لم يتعود تقبل النقد الموضوعي بل تعود بشكل كبير على النقد المجامل بشكل أساسي. أما في الوطن العربي فالوضع أفضل ولكن النقد في النصف الأول من القرن العشرين في مصر ولبنان كان أكثر فائدة على الرغم من التحامل في بعض المعارك النقدية في تلك الفترة ثم رأينا نقدًا أكاديميًا ونقدًا أيديولوجيًا. وأتمنى أن نرى المزيد من النقد المسؤول ليرتفع مستوى الإبداع .

التعويض الشعري

■ **ترجمة الشعر هل هي خيانة راقية للنص؟**

يجب ألا تكون خيانة بل على المترجم أن يكون أمينًا قدر الإمكان ولكن يجب ألا تكون الترجمة حرفية بل فنية وراقية قدر الإمكان دون أن تضع كلمات في فم صاحب النص الأصلي لم يقلها أو يقصدها. ولكن الترجمة تكون حسب فهم المترجم ولذلك ينبغي ألا يترجم نصا لم يفهمه. والنص نفسه ينبغي أن يكون نصًا كما قلت نصًا «عابرا للغات».

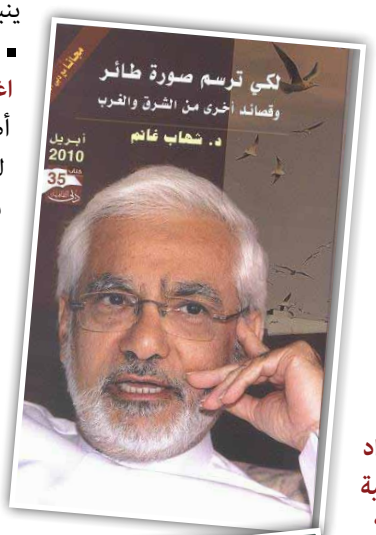

■ **هل أنصفت الشعر والترجمة أم أن أحدهما اغتالك من الآخر؟**

أظنني أنصفت كلا الشعر والترجمة. والترجمة لعبت دورا تكامليًا مع الشعر، فالترجمة ممكنة في معظم الأيام والظروف بينما الشعر لا يمكن أبدا كتابته إذا لم تتلبسك الحالة الشعرية وهي حالة نادرة قد تمر أسابيع وشهور دون أن تفرض نفسها عليك. فالترجمة نوع من «التعويض الشعري» خلال الفترات بين محطات الإلهام الذي يحمل إليك القصائد.

ازدهرت الترجمة في العالم العربي ولكن ما زال المترجم لا يحظى بالاعتبار الكافي لأهمية دوره، فهناك من يعتبره ظلا للكاتب لا أكثر؟

هذا صحيح وهو وضع ينبغي تصحيحه. أما ترجمة الشعر فينبغي أن يقوم بها شعراء متمكنون من اللغتين وخاصة اللغة التي يترجم إليها. وهؤلاء أندر من الكبريت الأحمر كما يقولون.

■ **كيف كانت قـراءة الـقـارئ غير العربي لترجماتك؟**

حصلت على العديد من الجوائز والتكريمات ولله الحمد في الهند واليابان والصين ولدى بعض الجمعيات الأجنبية في الإمارات والشرق الأوسط وحصلت على الدكتوراه الفخرية في الأدب من اليابان وقد تكون هذه دلالات على تقدير تلك الترجمات.

■ **صرحت من قبل بأن دول «المركز» العربية تراجعت عن دعم الثقافة فنهضت بها دول الخليج، من موقعك كمثقف إماراتي بارز كيف تقيم الحراك الثقافي في الأونة الأخيرة؟**

أظن أن ذلك الرأي كان وما زال صحيحا. على سبيل المثال كيف استطاعت الإمـارات أن تفوز بمنصب أمين عام الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب لولا ضعف الأداء للاتحاد عندما كان في دول المركز ولولا الحراك الثقافي المتطور في الإمارات؟ ■

ابن زيدون ومعشوقته ولادة

عبدالمقصود محمد*

تربى وعاش ابن زيدون حياة الترف والبذخ في قرطبة وكان من أشهرشعراء الأندلس وعمل كاتبا ثم وزيرا لابن جهور حاكم قرطبة، ولكنه ابتلي بحب فاتنة ورثت الحسن والجمال والدلال من أمها الأسبانية، إنها الأميرة ولادة بنت الخليفة المستكفي وهي أيضا شاعرة موهوبة تتميز بالفصاحة والذكاء ويمتد نسبها إلى جدها عبدالرحمن الداخل مؤسس دولة الأمويين بالأندلس، ولما قتل والدها الخليفة المستكفي، لم تنعزل وتتقوقع، بل فتحت قصرها للأدباء والشعراء، لتتواصل معهم فيما يشبه الصالون الأدبي، كما كانت تفعل الأديبة مي زيادة فى ثلاثينيات القرن الماضي، وكانت ولادة تسمع أشعار ضيوفها وتسمعهم أشعارها البليغة:

إنى وإن نظـر الأنـام لبـــــهجتى
كظبـاء مـكـة صيدهـن حـــــرام
يُحسبن مـــن لين الكلام فـــــواحشاً
ويصدهـن عـن الخنا الإســـــــلام

ومن خلال تردده على صالونها الأدبي أحبها ابن زيدون حبا ملك عليه كل مشاعره:

إني ذكرتك بالزهـــــــراء مشـــتاقاً
والأفق طلق ومرأى الأرض قـــد راقا
وللنسيم اعتلال فـــــي أصـــائله
كـأنـــه رق لي فاعـتـــل إشـفـــاقـا

ونجح ابن زيـدون في التعبيرعن لوعته ومعاناته في حب ولادة التي تجاوبت معه وبادلته حبا بحب، ومثله ضمنت شعرها عواطفها الحارة تجاهه من دون أن تفصح مراعاة لكثرة المعجبين والحساد والمتطفلين من حولها، وما كاد ابن زيدون يعلن خطبته لولادة، حتى انفجرت واشتعلت أحقاد المنافسين له، وعلى رأسهم الوزير ابن عبدوس، الذي حاولت ولادة أن تروضه وتطفىء حقده وغيرته من ابن زيدون، فقربته منها وتوددت إليه، فلم يحتمل منها العاشق الولهان ابن زيدون أن تتقرب من خصمه وظنها انقلبت عليه، فحاول أن يغيظها بالتقرب من جاريتها فعاتبته:

لو كنت تنصف في الهوى مـا بيننا
لم تـهو جاريـتي ولم تتخـــير
وتركت غـصـنـا مثمـرا بجمـــالـه
وجنحت للغـصن الذي لم يثـمر

فرد عليها ابن زيدون ليطمئنها ويؤكد صدق وثبات مشاعره نحوها بقوله :

لا تحسبوا نأيكم عـــنا يغـــيرنا
أن طالما غيـر النـأي المحبـينا
والله ما طلبـت أهـواؤنـا بـــــدلاً
منكم، ولا انصرفـت عنكم أمانينـا

وحانت فرصة الحاقد ابن عبدوس لينقض على منافسه ابن زيدون، فاستغل عودة المرتضى سليل بني أمية إلى قرطبة، وهمس في أذن حاكمها ابن جهور بوشاية موجعة بأن وزيره ابن زيدون يأوي المرتضى ويدعو الناس للقائه لإقناعهم بضرورة الإطاحة بابن جهور وتولية المرتضى، وصدق ابن جهور وشاية

الحاقد ابن عبدوس، فغضب على ابن زيـدون وألقاه في السجن، واحتالت ولادة حتى ساعدت حبيبها ابن زيدون على الهروب من السجن، وظل هاربا حتى مات ابن جهور فعفا ابنه أبو الوليد عن ابن زيدون وقربه منه، كما بارك خطبته للأميرة ولادة، إلا أن الوشاة نجحوا في إحداث وقيعة بين حاكم قرطبة وابن زيدون واستشعرت ولادة الخطر المحدق بمعشوقها ابن زيدون، فحذرته وشجعته على السفر إلى بني العبادي في أشبيلية، فأحسنوا وفادته وجعلوه مستشارا للحاكم ولكنه رغم حياة البذخ والنعيم، كان يعاني ويذوب شوقا ولهفة للقاء محبوبته التي تركها وراءه في قرطبة، فقال فيها أروع أشعار الحب ،التي تتميز بجمال الصياغة وقوة الصورالبلاغية ورقة المشاعر، مع إيقاع موسيقي تطرب له الأذن فيتسرب إلى الوجدان، وقد ذاعت أشعاره وتغنى بها المطربون أكثر من أي شاعرأندلسي :

بنتم وبنا، فما ابتلت جـــوانحنا
شوقـاً إليكم ولا جفـت مآقينـا
نكاد حين تناجيـكم ضمائـــرنـا
يقضي علينا الأسى لولا تأســينا

وخوفا من الوشاة لم تلحق ولادة بحبيبها في أشبيلية، ومرت السنون وهي تعيش أملاً خادعا، مكتفية برسائل العاشق ابن زيدون الذي يبثها عواطفه الحارة وشوقه الجارف إليها، ومضى العمر فأصابهما الشيب رغم توهج الحب في أشعاره إليها:

غيظ العدا من تساقينا الهوى فـدعوا
بأن نغـص فـقال الـدهر آمـــــينا
فانـحل ما كان معـقـودا بأنـفســـنا
وانبت مـــا كان مـــوصولا بأيدينا
بالأمس كنـا وما يُخشـى تفـرقـــنـا
واليوم نحن وما يـــــرجى تلاقينا

ولما رجع ابن زيـدون إلى قرطبة كان شيخا في الستين، أصابته الشيخوخة، كما أصابت معشوقته فلم يتزوجا ومات بعد ثماني سنوات لتخلد أشعاره أسطورة حبه لولادة، وتجعله جديرا بموقعه المتميز فى صدارة سجل العاشقين.

*روائي وناقد مصري

تواصيف

خلّ القرعا ترعى

القرعا: هي الشاة التي أصابها القرع في جلدها، وهو داء يصيب الماشية عموماً، والإبل ويتسبّب في تساقط الشعر عن جسمها، ويسمى «الجَرَب».

ومعناه اترك الشاة القرعاء تنعم بالرعي فهي لا تحتاج إلى من يرعاها.

وبرغم أن هذا المثل الشعبي جاء بصيغة الأمر، إلا أنه في الحقيقة يضرب انتقاداً للإهمال واللامبالاة بحيث يتمكن الخبيث من قضاء حاجته بسهولة نتيجة المكر والخداع وإهمال الجانب الآخر.

صورة لنصب ابن زيدون وولادة في قرطبة

الحكمة في الشعر الشعبي الخليجي

قراءة في نماذج أربعة شعراء

سعيد الشفاج*

نجح الشعر الشعبي في الخليج العربي في الوصول إلى وجدان المتلقي وتلقفته الأغنية لتزيده رواجًا بعد أن تحولت العديد من القصائد إلى أغان حققت نجاحًا ساحقًا.

لقد ورثت القصيدة الشعبية المعاصرة في الخليج العربي تراث القصيدة النبطية التي كانت انعكاسًا إبداعيًا لحياة الإنسان العربي عبر امتداداته معبّرة عن اندماجه التام مع بيئته التي يشاركها الحلو والمر عبر ثلاثة عناصر أساسية هي المرأة، والصحراء، والقيم.

وقفتُ عند قصائد شعراء أربعة جمعت بين نصوصهم بصمة الحكمة رغم تنوع تجاربهم وما بينهم من اختلافات في الشكل والطرح، وهم الشاعر السلطان بدر بن عبد المحسن، والشاعر الحميدي الثقفي، والشاعر صالح السكيبي، والشاعر مدغم أبو شيبة.

الحكمة وشاعرية التأمل

تتكاثف الصور الشعرية عبر شاعرية التأمل من خلال اصطياد كثيف للّحظة الشعرية التي تتولد عنها حكمة التجلي، حيث تصبح مظاهر الكون تجليًا للخالق، حتى أن المخلوقات حوله تصبح كائنات تتجسد بذاتها، تتحرك، تتفاعل مع دفق الحس اللحظوي، إن التأمل يستند إلى عدة منطلقات متينة المبني وهي: الزمان والمكان، والآخر، والمغزى الحكمي.

هذه الأبعاد هي بؤرة النص الشعبي، إذ تتلاحم فيما بينها حتى تصنع لنا مجازًا شعريًا، نتيجة اشتغال رصين بين الذات واللغة، وسوف نقف عند هاته الأبعاد منجذبين إلى طموح واحد ألا وهو الوصول إلى المغزى الحكمي داخل المتن الشعري الشعبي للشعراء الأربعة. والذي يعتبر جوهرًا شعريًا حسب تحديد الدكتور نزار بريك هنيدي: «ولاشك في أن الجوهر الشعري الذي نتحدث عنه، لا يمكن الإمساك به وتحديده، بخصائص ثابتة، وتقييده في تعريف جامع مانع، فهو كالعطر الذي يفوح من كل زهرة، من دون أن يمتلك كيانًا ماديًا».(1)

لكن رغم ذلك تبقى العناصر الأساسية المشار إليها أعلاه رابطًا ماديًا يؤصل للشعر الشعبي بشكل عام مع تنويع في الخصوصية الذاتية لكل شاعر.

الزمان وانسيابيته

يرتكز الشعر الشعبي في بنائه على تيمة الزمان إذ يشكل في انسيابيته هاجسًا للشاعر:

لا تأخر دام لي في العمر ساعة
ولا تقدم لين أشوفك في انتظاري
وأنت لو خان الزمن بقول وافي
لا أنا تركي، ولا أظنك مشاري(2)
بعد ما دار عام من المفارق يا غرام عام
وروحي ما بقي إلا زفرتين وتبلغ الحلقوم(3)
اتعظ من قبل ما تمضي فرصتك
لا تظن العمر هذا مستديم (4)
كل ما خط منحط خطين
خط البداية وخط النهاية (5)

في المقاطع الأربعة يرتبط الزمن بقدر الإنسان المسكون بنقطتين، البداية والنهاية وما بينهما حوادث وإيقاعات تتماوج بين حزن وفرح، ومن الزمن تتوالد الحكمة والعبرة فلا أمان له ولا استكانة ولا مصداقية ليوم ينصرم منك ويجرك للأبدية القادمة، مما يجعله موطنًا غير آمن، فيكون الاستعداد للرحيل حتمية، وهنا يكون الشعراء الشعبيون قد عكسوا ما أسميه «دينامية الفراغ»، التي تجعل الفرد يتحرك في حلقة محكومة بالبداية والنهاية، على غرار كتابة المحو عند الحميدي الثقفي.

في قصيدة بيض الردون للشاعر السلطان بدر بن عبد المحسن يصبح الطيران نهاية لصفاء العمر وبداية حتفه:

«بيض الردون طيري
برقة جناحك لي
وحتوفك لغيري»

فالشاعر يتمسك بالبقاء والامتداد عبر بريق

الكتابة الذي يتمدد في الزمن، ويقول في صدر بيت شعري في قصيدة «في دروب الرمل»:

«الزمن وردة سهرت أحسب ورقها»

إن ثقل الزمن يولد ما سماه الدكتور إبراهيم الحجري بقصيدة الابتهال(6)، عندما تحدث عن الشعر الحساني (وهـو لـون شعري شعبي مشهور بالصحراء المغربية وموريتانيا) وهـذا بـارز بقوة في قصيدة «اغفر الماضي» لصالح السكيبي، الذي يبدأ بمناجاة روحية طمعا في المغفرة:

«يا الله الغفران يا الله رحمتك * الذنوب كثار يا الله يا رحيم»

صالح السكيبي

المكان المقابل للحلم

الصحراء رمز النقاء والامتداد و المجهول، فضاء شعري غني وملهم متوج، إنه يستمد من المكان الشاسع مجازه الشعري، لا يرضى بضيق الأيام، إطلالة متمعنة على النص الشعري تكشف انزياحه بين فضاء واسع وأمكنة مصغرة وأن ما يشغل بال الشاعر هو الحياة بشكلها الوجودي، المكان المقابل للحلم، فالصحراء هي اكتمال للنقص والضعف، إنها فضاء رمزي يؤثر على نسق شعري موروث من القصيدة العربية في الأدب الجاهلي والتي تولي للمكان قيمة كبيرة الفضاء كتحفيز للذاكرة بمعنى المكان كآلية للتحفيز، يقول مدغم أبو شيبة في قصيدة لوعة الفراق:

الحميدي الثقفي

بدر بن عبد المحسن

«سلام عـــــلى الله على
ظلم الفراق وقـسوة الأيام
عسى ربـــي يســـــهل لك
طريقك وتحيا وتـــــدوم»

مدغم أبو شيبة

الآخر المتمثل في الحبيبة

يتداخل «الزمكان» مع الآخر في المتن الشعبي، الآخر المتمثل في الحبيبة عبر مجازات شعرية وانسياب لغوي إيقاعي، وتستولي الحبيبة على نصيب وافر.

في قصيدة «ردي علي الصوت» لسلطان بدر بن عبد المحسن،

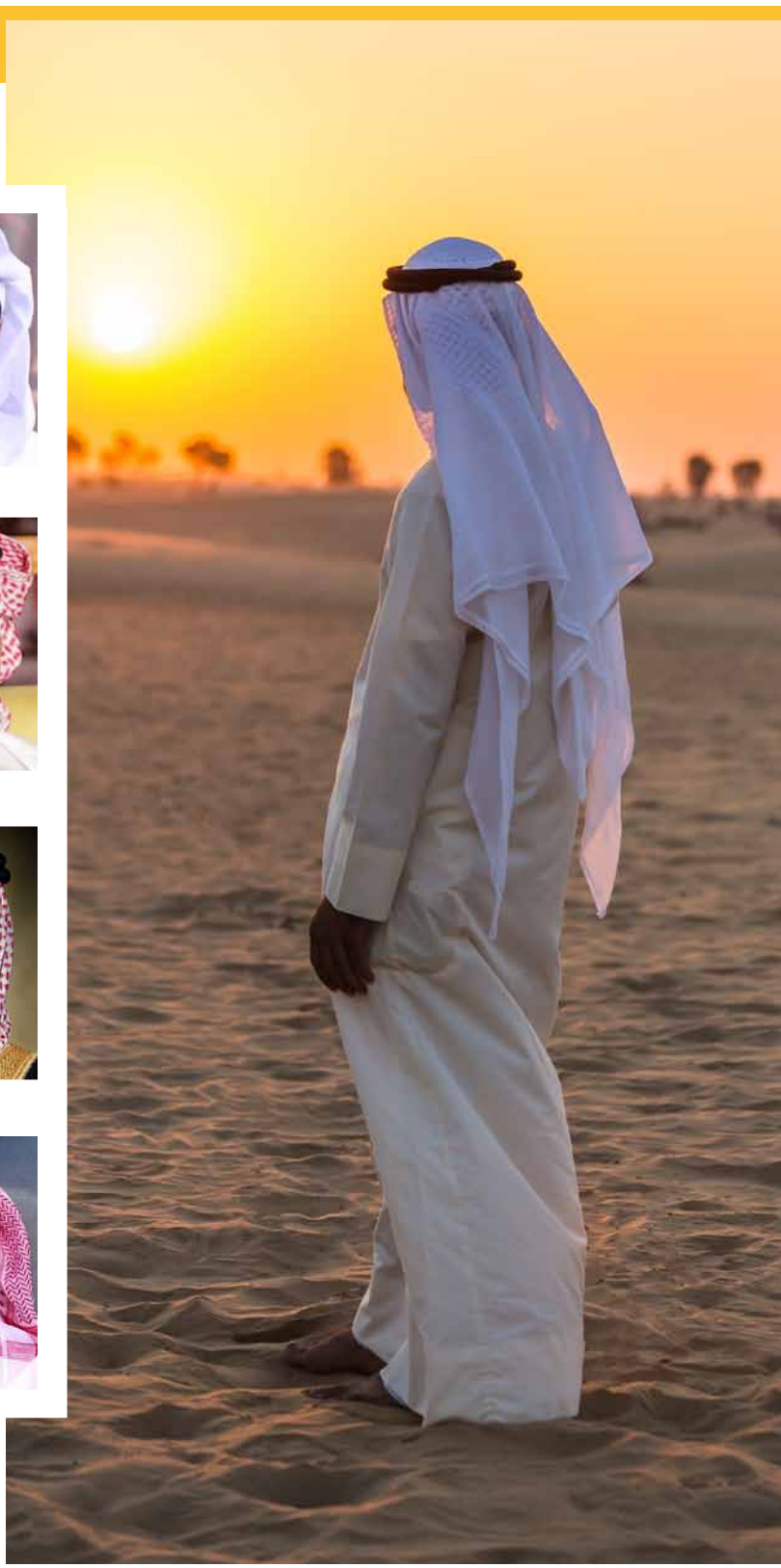

ينشغل الشاعر بمعاتبة الحبيبة على عدمية الرد، والصد واللامبالاة، إلى جانب ألم البعاد:

«لا توعديني عـــذب الصبر ذاتي
والبعد حالي مع عنا الوجـد سـله»

وهو يرجوها أن تتفاعل معه وتستجيب لحبه، محملًا بكل ما هو جميل من القصيد والغرام والكلام:

«صاحبي ما جيتك إلا وفـي طريقي
من ربيع العام نـــوار وخـــباري»

في قصيدة الحميدي الثقفي «الخامسة والثلاثون» تتشكل نبرة الإحساس بالآخر عبر توجيه سلسلة من الأوامر وتوظيف لفعل الأمر: «اقبليني- اغسليني –افتحي – كوني» لتصل إلى الالتحام بين ذات الشاعر وذات الحبيبة: «اجتمعنا – مشينا – تعبنا – ركضنا – وقفنا – سمعنا – ...» هنا يتحقق الوصل ويعود البهاء مما يجعل النص الشعري ليس فقط رديفًا للألم والفراق بل يغدو نعيمًا للقاء.

الحكمة تتجلى

يتجلى الآخر في ملكوت الخلق، فتستمد الحكمة من الحبيب ويتحول عشق الذات المخلوقة إلى ذات الخالق:

«بعدها صار البحر صمتك فـراغك
والشجر هذا الدم المـورق شماغك
والهـــــوى كـــــــينونتك
والأرض تـحت أقـــــدامك»(7)

إن القوة الدلالية للقصيدة الشعبية تستقي عنفوانها من أبعادها المتلاحمة: الزمان/ المكان/ الآخر، حتى تتولد الشذرة الحكمية وهي ترتكز على المعاني الأساسية التالية: «حتمية النهاية – سيرورة الزمن – الألم هو الآخر- عدم الاغترار بملذات الحياة» فتتسع بذلك القيمة الدلالية للشعر الشعبي فيتجاوز الملموسات (الحبيبة/ الصحراء/ المتع) إلى المحسوسات: (الزهد في متع الدنيا – الإيمان بالقضاء ...)، لنتأمل بيت الشاعر السلطان بدر بن عبد المحسن:

«ردي علي الصوت ويكفي السكاتي
قولي لغيرك ما هفا القـــلب لله»

كيف تسمو النفس من الحب المادي إلى الحب الروحي، وكيف انتقل الشوق من الوصل بالحبيب إلى الوصل بالذي هو أولى بالحب. نفس الاشتغال الشعري وسمَ قصيدة صالح السكيبي عندما دعا إلى تجديد التوبة ما دام ربنا غفور رحيم: «اغفر الماضي وجدد توبتك/ دام لك رب غفور رحيم».

أقام إنسان الخليج العربي حضارة عريضة، وجرت الحكمة على لسانه، وكان الشعر قالبًا لها، وشكلًا إبداعيًا تفنن العرب فيه، والأكيد أن الإنسان هناك التقط، بعمقٍ، القصيدةَ الشعبية وتفاعل معها، وهي لا تبتعد شكلا ومضمونا كثيرًا عن القصيدة الفصحى، حتى أنه استمد منها الأوزان الشعرية وزاد عليها، فلا تفاضل بين هذه وتلك إلا في الصور الشعرية والحكم المتدفقة.

لقد أولى الإبداع الخليجي للمتن الشعبي القيمة التي يستحقها إلى جانب الألوان الشعرية الأخرى، ومازال مستقبل القصيدة الشعبية مفتوحًا على آفاق إبداعية رحبة وواعدة بالأبهى و الأجمل، في ظل الاهتمام النقدي والشعبي الذي بدأت القصيدة الخليجية الشعبية تعرفه داخل محيطها الجغرافي وخارجه ■

* ناقد وباحث من المغرب

المصادر

1. مقدمة كتاب «الشعر والمعنى» للدكتور إبراهيم الحجري، طبعة 2012 ص 9.
2. الشاعر السلطان بدر بن عبد المحسن، قصيدة في دروبي رمل، الموقع الإلكتروني، الموسوعة العالمية للشعر العربي.
3. الشاعر مدغم أبو شيبة، قصيدة أول يوم، الموقع الإلكتروني، الموسوعة العالمية للشعر العربي.
4. الشاعر صالح السكيبي، قصيدة اغفر الماضي، الموقع الإلكتروني، الموسوعة العالمية للشعر العربي.
5. الشاعر الحميدي الثقفي، قصيدة الخامسة والثلاثين، الموقع الإلكتروني، الموسوعة العالمية للشعر العربي.
6. مجلة آفاق المغربية عدد 87 شتنبر ص 73.
7. الشاعر الحميدي الثقفي، الخامسة والثلاثين، مرجع سابق.

أوهام أيمن مارديني

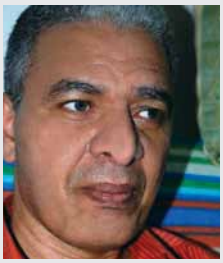

محمد عيد إبراهيم *

يحدّد إيهاب حسن في مصنّفه «منعطف ما بعد الحداثة»، أن الانتهاكَ «ينحو إلى اللاشكلانية والفوضى، بما يؤكّد جدلية العنف، فالأدب فعل شيطانيّ وردّ فعل شيطانيّ، لكنه يحتاج في النهاية إلى نزعة رؤيوية». وقد ارتأينا مصداقاً لهذا رواية «سيرة الانتهاك» للمبدع السوريّ «أيمن مارديني»، طبعة دار «أكد» التي أساءت للنصّ للأسف، سواءً بالقطع العجيب أو أخطاء الطبع العجيبة.

تنقسم الرواية إلى فصول بأرقام، يروي خلالها عدداً من الحكايات أو الرؤى القصصية على لسان شخص واحد، هو أيمن نفسه، لكن لا يخدعنّك هذا، فهو متعدّد الأقنعة، أو الأوهام، كلّ فصل بوهم، يفصّله على مقاسه، وأحياناً بل دائماً باسم جديد، وقد يكون حتى اسم امرأة، فهو الراوي الدائم، لكنه ليس العليم، حيث لا يعلم الكثير عن شخوصه، بل ويستطلع هذه المعرفة، مثلك يا قارئ، من سرد الحدث ومعاقرة المكان وروح ساكنيه وكيف تتطوّر مشاعرهم وإلى ماذا تُفضي، من دون أن يضع ولو نهايةً واحدة تامة لإرضاء القارئ النهم الذي يودّ الراحة بعدما يُطبق الغلافين، فهو لا يريد سوى القارئ (العليم) الذي يستكمل ما بدأه المبدع، ولو كان على غير هواه.

يبدأ مارديني أوهامه على يد فاتن، وهي خالة عزباء تنتهك طفولته، يراها مرة مع أبيه ليلاً، ثم يتشكّك في نسبه: هل هو ابن خطيئة من أمه، وذاك ليس أباه، وهل انتحرت فاتن في النهاية، بعدما حملَت سِفاحاً؟ ويعود الراوي إلى حكاية أمه، وسيرته المبكرة، وانتهاك الأب لأمه فقد تزوّجها طفلة، وأجبرها على ترك اللعب، لكن أسرقت خالته أباه من أمه، يظلّ السؤال معلقاً. فاتن وهم كبير، سيظلّ في وعي الكاتب طويلاً، اغتصبها الجميع، ولم يرحمها الجميع، تقول: (يا من ترجموننني اليوم، نلتم ما تظنون، لكني من أخضعكم ونال منكم)، ويعقّب (هي لم تقل، لكني رأيت، وكنتُ شاهداً).

ثمة وهم آخر هو منال، الابنة المتبناة لشيخ لا يُنجب، وكان صوفياً متجرّداً يعشق امرأته، وذات ليلة تأتيها أم الراوي بطفلة وجدتها عند باب الجامع، فهل هي للشيخ أيام شبابه من زوجة أوروبية، أم بنت سِفاح فعلاً، لكنها تصبح (زرقاء يمامة) تتنبأ من بعيد بما هو قادم، وتكتمل (الواقعية السحرية) حين تحمل منال وهي فتاة صغيرة، مع أن الداية تؤكّد أنها عذراء، فمِمّن الحَمل، هل ركبها الجنّ؟ ويظلّ الوهم وهماً.

ثمة وهم جديد، فما إن تملّ وهماً حتى يوقعك في غيره، علاقة الراوي بشيخ صوفيّ زاهد مسنّ، يستبطن الألم، بمعادلة كمتوالية حسابية (نص حكيم له سرّ قاطع، سرّ حكيم له نصّ قاطع) إلخ. فما السرّ ومَن الحكيم وأين الرؤيا، وكلّكم كاذبون! نكتشف هنا لعبة أخرى، أن أيمن الراوي ليس أيمن، بل أنس توأمه، فقد مات أيمن في حادثة، وحلّ محلّه أنس، لكن باسم أيمن. ثم وهم جديد، نسيم المسيحيّ، يبدأ السرد، يعمل في حمّام شعبيّ، ويتعرّف إلى باشا ثريّ، يلحقه بخدمته في بيته، وتتوالى الأحداث إلى أن يقتل نسيم مخدومه (الكلاب ليس لها إلا الموت مثل الكلاب).

الوهم الأخير، في الفصل التاسع والأخير، وهو أطولها. تتداخل الأوهـام، بعضها فوق بعض: أبو الصباح، تاجر بيع وشراء المكتبات، مبروكة التي اغتُصبت وطُردت، عمته التي لا تريد أن تبوح بالسرّ، وأيّ سر؟!، حيّ الحسين كمكان بطل، د. المملوكي أول من نال دكتوراه من أكسفورد ومكتبته، زوجة أبيه الثانية وسرقة الإرث، رمزية الأم التي تتعامل مع الابن كالزوج، نسيم الذي يغيب في إشارات القدر، وأيمن مارديني بطل النصّ وكاتبه نفسه، حيث يتّصل الأنا بالآخر، على أمل أن يكمل القارئ ما بدأ، ولو بضمير آخر، يقول: (هنا، يكمُن الخلاص)! ■

* شاعر ومترجم من مصر

سباق إلى قلب

محمد بركة

كان الفتى «ايداس» والفتاة «ماريسا» يجلسان فوق شاطئ البحر كوردتين من ورود الربيع الذي يبتسم للحياة كلها، كانا يلعبان فوق رماله في رعاية «نبتيون» رب البحار السبعة الذي كان ينظر إليهما ويبتسم.

كثيرا ما كان نبتيون يتخفى فى صورة شيخ عجوز، ثم يأتي من آخر الشاطئ ليقرئ الحبيبين الشابين السلام، ويقدم لهما هداياه العجيبة من لألئ البحر ومرجانه، ويجلس معهما لحظات يجتر فيها ذكريات غرامياته القديمة، ثم ينصرف بعد ذلك قرير العين طيب النفس، ليفسح للحبيبين خلوة غرامهما.

كان «أبوللو» رب الشمس والفنون التسعة، يرعى الحبيبين الشابين كذلك، ولكن لا كما يرعاهما نبتيون، لأن أبوللو، هذا الإله العاشق الذي لم يفلح مرة في إحدى مغامراته الغرامية، كان يهوى الفتاة ماريسا، فقد رآها مرة تستحم في ذلك المكان من الشاطئ، وقد جعل الموج يؤرجحها فوق هذا المهد الحريري الذى كان نبتيون يبثه تحتها فوقع في غرامها، وكادت أن تشغله عن نفسه، وعن مركبه الشمسي التي كان يسوقها وقت الضحى.

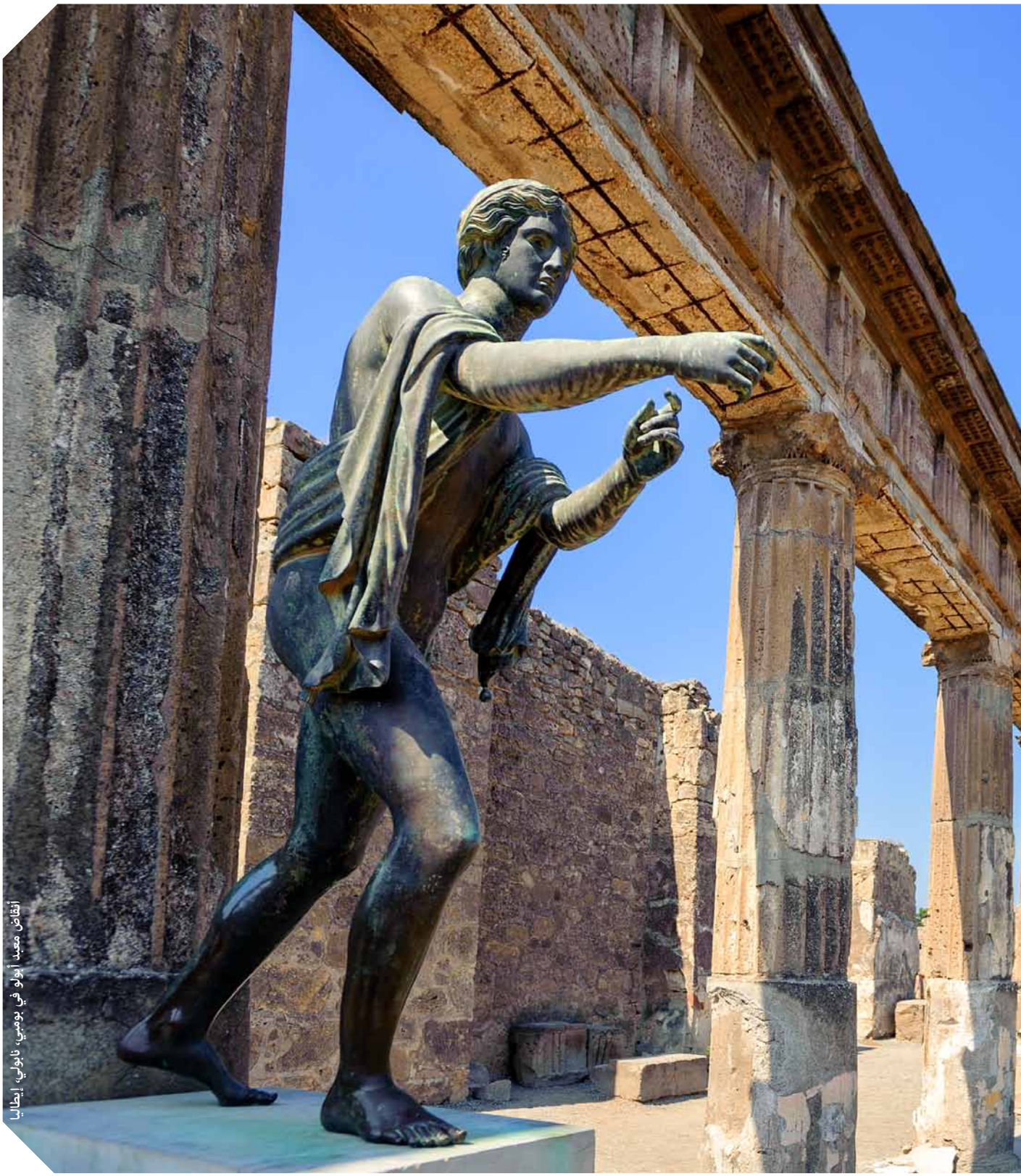

أنقاض معبد أبولو في بومبي، نابولي، إيطاليا

وانتظر أبوللو، انتظر طويلا، وكان يتمنى أن تخرج ماريسا من الماء ليخلو إليها، وليبثها غرامه، ويعرض عليها حبه، لكن ماريسا لمحته، فاستحيت أن تبرز من الماء، فطال مكوثها فيه. فلما أدرك ذلك لجأ الى الحيلة، فتخفى في روضة قريبة ليترك لماريسا فرصة الخروج من البحر، وارتداء ثيابها البيضاء الحريرية.

ثم برز أبوللو، لكنه لم يبرز وحده، فقد برز معه، ومن الروضة نفسها ايداس حبيب ماريسا، حبيبها من هذا العالم المتواضع الذي يمضي فيه كل شيء إلى أجل محتوم.

وعجب أبوللو أن تؤثر عليه هذه الفتاة ذاك الفتى، فأسرها في نفسه، وعرف أنه سيتعب كثيرا حتى يصل إلى قلبها.

ولم يضع أبوللو وقته سدى، فقد عرف والد الفتاة وأخذ يغريه بالأماني ويغازل أحلامه بالآمال، ويغدق عليه كل يوم من هدايا الأوليمب، ما خلب به لب الرجل، ثم طلب يد ماريسا، بعد أن وعده بأن يرفعه إلى صفوف الآلهة المخلدين، بالتوسط له عند عمه نبتيون، رب البحار، فيجعله أحد أرباب الأنهار.

واستطاع أبوللو أن يملأ صدر الرجل غرورا، فوعده هذا بيد ابنته، على أن تكون له زوجة، لا خليلة كما هو دأب أبوللو من قديم الزمان.

ولا يكاد نبيتون يعرف ما يهدد حب صاحبيه من أهوال حتى يفتر فمه عن ابتسامة عريضة، ثم يقول: «لا عليكما يا صديقي الصغيرين، اطمئنا، ولا يفزعكما أن تعلما أنني أنا نبتيون، نبتيون الذى يحملك كل يوم فوق صفحة البحر يا ماريسا، اطمئنا يا ولدي، أقسم لكما لأخبرن أخي زيوس سيد الأولمب، بما يحاول ابنه أبوللو من التفريق بينكما، وإلى أن أفعل، فإني أشير عليكما بالهرب من وجه أبيك يا ماريسا، عربتي المطهمة التي تجرها خيولي البحرية تحت أمركما، فاركباها، واذهبا بها إلى أقصى أطراف الأرض، أو أبعد أصقاع المحيط، هيا، هيا، لا تفكرا فى شئ غير ما أشرت به عليكما، هيا، إنكما فى رعايتى، ولن يمسكما سوء».

ونظر أبوللو حوله، فرأى العربة العجيبة تطوي الأفق الشمالى بالفعل، فمرق وراءها غير مستأذن، وأدركها بعد لحظات، ثم وثب إليها. وأخذ بتلابيب ايداس فأنزله إلى الشاطئ، وطلب إليه أن يبارزه

تمثال للملك نبتون بولاية فرجينيا - بالولايات المتحدة الأمريكية.

وتصبح ماريسا من نصيب الفائز في المبارزة.

ولما بلغ القتال أشده، واستعر بين الفتى والإله حتى أصبح جحيمًا، فوجئ المتحاربان بوابل من الصواعق يحول بينهما، فلا يستطيع أحدهما أن يقترب من الآخر، فلما نظر أبوللو ناحية المشرق، إلى الجهة التي يأتي منها سيل الشهب، رأى والده زيوس، سيد الأوليمب، ينظر إليه، والغضب يتفجر من عينيه، وإلى جانبه عمه نبتيون، فعرف أنه قد انطلق إلى هناك، وشكاه إلى أبيه، فأرسل أبوه الصواعق لتحول بينه وبين خصمه ■

شعب وحكام

أشرف أبو اليزيد*

شاعتْ وعُرفتْ أسماءُ وصفاتُ الحكام على طريق الحرير، ومنها ما يظل ساريا العمل به اسمًا ومفهوما، ومنها ـ بالطبع ـ ما اندثر مع ما باد من ممالك. وإذا كان الأشهر الذي ندركه اليوم بين سلطان وملك وأمير ورئيس وحاكم، فإن من الألقاب اللصيقة بالحكام ما هو غير مألوف.

ونبدأ بالأمير، وهو في اللغة ذو الأمر، وقد استعمل منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يولي به إمارة من يكون وليًا على الحكم أو رئيسا للجيش، فضلا عن معناه الدارج بالولاية العامة. كما سمي ولي العهد في الدولة العباسية أميرا، وإن لم يكن ابناً للخليفة. ثم أضيف اسم أمير المؤمنين، وكانت الألقاب الثنائية قد شملت أسماء متعددة للحكام، مثلما نسمي الخلفاء الراشدين اليوم، والخليفة ـ إطلاقا ـ لقب يعني خلافة رسول الله (ص).

وإذا كانت الدول (والأمم) المعاصرة لفجر الخلافة الإسلامية قد عرفت الإمبراطور بين الشرق الأقصى في اليابان، وأوروبا العتيقة في روما، فقد كان هناك القيصر في روسيا، وكسرى في بلاد فارس، وشاهنشاه (ملك الملوك) لدى المغول، والنجاشي في الحبشة، والسيد عند أمراء بخارى، والخاقان لدى ملوك الترك (قديما) والتتار، والفرعون في مصر وبلاد النوبة والسودان.

كما درج حكام الدول الإسلامية على التسمي بلقب ما، مثل الرشيد، والمنصور، والمأمون، والمقتدر، كما كان من بين الأسماء ما ارتبط بلفظ الجلالة كالناصر لدين الله، والمتوكل على الله، والقائم بأمر الله والعزيز بالله، أو ثنائية أخرى مثل ركن يضاف لها الإسلام أو الأمة أو الدولة، وهناك ـ بالمثل ـ غياث الدين وفخر الدين. ويمكن إدراج اسم إمام مع أول من بويع من العباسيين سرا، وهو إبراهيم بن العباس.

ومن أندر الألقاب الثنائية قيد الأرض، أي المسيطر عليها قاطبة، ومثلما تعرف دول شبه الجزيرة العربية اليوم أسماء الملك والسلطان والأمير والشيخ والرئيس والحاكم، فقد عرفت في أوقات متفرقات أسماء وألقابا ارتبطت باحتلال أو نفوذ ساد وباد، مثل الباشا، والبك التركيتين، والخواجة الفارسي وهو السيد والشيخ والكاتب والتاجر والمعلم، ويسمى المنتمي غالبا لأصل فارسي. والطريف أن الباشا تعني نعل السلطان، وهو يعني خضوع ولاة الدولة العثمانية التام لسلطانهم.

وإذا كان الأتابك تعني مربي الأمير، فقد أصبح اللفظ مرادفا للحاكم الذي يصبح وصيا على تلاميذه من الأمراء وقد يكونون أوصياء على الأمير الصغير فيتزوجون من أمه، لإيجاد سند شرعي له في الحكم.

وظهر اسم الخادم في المكاتبات معبرا عن صاحب الكتاب، وقد أضيفت له بالمثل تركيبات مثل خادم بيت المقدس. وكان لقب خادم الحرمين الشريفين قد استخدم للمرة الأولى من قبل صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس الهجري، قبل أن يتخذه الملك فهد بن عبد العزيز محل عبارة صاحب الجلالة منذ 1407 هـ/ 1986م.

وهكذا تعددت ألقاب الحكام، وبقي الشعب المحكوم واحدًا ■

* شاعر وروائي من مصر

قصة لم يكتبها الكاتب

ممدوح عبد الستار

حملتْ السيارة الميكروفون، ودارتْ في الأزقة والحواري، معلنة: مات الكاتب.

وقبل أن يُعلَن الخبر في مساجد القرية، كانت مديرة أعمال الكاتب قد دقت باب الشقة المكونة من غرفتين وصالة، وسلّمتْ أحمد الصندوق المزخرف المربوط بشريط أسود.

جاء صوتها محبوسًا مرتجفًا، والحروف مكسورة ومسكونة بالحزن، لم تستطع تكملة جُملة صحيحة، والعين تسحّ من الهواجس والأفكار، لكنها قالت بصعوبة: لقد مات.

لم يَدعُها أحمد للدخول، وهي أيضًا لم تبد أي اهتمام، سارتْ مهرولة نحو الشارع الأصمّ، كل ما كان يشغلها في ذلك الوقت إعلان كافة وسائل الإعلام والترتيب لجنازة تليق بالكاتب، وتنفيذ وصاياه بكل دقة.

كانت «أم أحمد» واقفة أمام الباب، تنظر بدهشة مفعمة بالسؤال عن محتوى الصندوق ومرسله، سار أحمد خطوات قليلة بتمهل شديد، ومدّ يديه بالصندوق لأمه. وقبل أن تلمس الصندوق، أعلنتْ المساجد: مات الكاتب.

شهقتْ وهرولتْ إلي غرفتها، بحثتْ عن شريط مسجل، يحمل نغمات راقصة، أمسكته بقوة وتذكرتْ رقصتها يوم الدُخلة، وضعتْ الشريط فانسابتْ النغمات الراقصة، انتشتْ من الرقص، وأحمد يتعجب من هذه النشوة العارمة.

- ارقص يا أحمد.

جاوبها ورقص مستسلمًا لرغبة أمه، كان بين السؤال والدهشة، وبين الرقصة المجنونة. لم يشاهد أمه في حالة كهذه أبدًا. سقط جسدها من الإعياء فحملها إلى سريرها وحاول أن يُسكتْ هذه النغمات، لكنها قالت:

- هذه رقصة الموت يا أحمد، أبوك مختلف، كاتب.

بعدها بقليل، قامتْ متلهفة وفتحتْ التلفاز. كانت الإذاعات المرئية والمسموعة تبث شريطًا عن الراحل، وكان أحمد منشغلًا بمحتوى الصندوق من الداخل. نادتْ عليه أمه، فأسرع إليها.

- أحمد، هل كان غنيًا؟
- نعم.
- الآن، ستحصل على تعويض ما جرى لك، وستبدأ حياة جديدة.

هزّ رأسه، وانـزوى بالصندوق داخل غرفته، لم يقدر على فتح الصندوق إلا بعد أربعين يومًا. ما الذي منعه كل هذه المدة من فتح الصندوق؟ هل هي قداسة الموت؟ هل ظل مدة الأربعين يومًا ليتأكد من موته؟ ربما! كل هذه الأسئلة متعلقة بأحمد، الذي ظل خائفًا من الصندوق، ولم يقترب منه. كان عاجزًا عن معرفة ما بداخله، حتى أنه لم يستطع أن يرمي الصندوق في مكان لا يستطيع استعادته منه مرة أخرى، الصندوق أمامه على المكتب. هل كان خائفًا من المعرفة، والمجهول؟ ربما!

في لحظة غير مناسبة، فتح الصندوق علي غير إرادة منه. خطف بصرَه بريقُ الذهب الخالص، وارى عينيه، ومدّ يديه المرتعشتين داخل الصندوق، تحسسه، قبضتْ يداه على قلادة، تأملها قليلًا، معجبًا بها، وجد أسفلها كتابة محفورة (وسام العلوم والآداب)، رماها جانبًا، مبتسمًا ابتسامة ساخرة، بل نصف ابتسامة، ثم بدأ يسأل نفسه بصوت مسموع: لماذا؟

كان السؤال صادقًا، خارجًا من ذات بِكْر، لم تنشغل مطلقًا بالسؤال، كان هذا السؤال هو البداية، خرج من نفسه ولنفسه. انتبه قليلًا، وأدرك أنه في منتصف الطريق، أو أنه على باب جهنم، وانعكس هذا على سيره ذهابًا وعودة داخل غرفته.

لم يحاول أحمد الإجابة على سؤاله الأول، كان منشغلًا بمحتوى الصندوق المزخرف، أرهف السمع جيدًا، فالتقط صوت خطوات

تمشي بخفّة متناهية. فتح باب الغرفة بسرعة، فوجد أمه تتلصص عليه. انكمشتْ على نفسها، ولم تستطع الكلام. نظر أحمد إليها، ولم ينطق بكلمة، فانزوتْ داخل غرفتها مرتجفة من المباغتة، وأحست بضعفها لأول مرة.

حاول أحمد أن يصنع كوبًا من الشاي لنفسه. لأول مرّة، يخدم نفسه. كان مذاق الشاي مختلفًا هذه المرّة، ارتشفه بتلذذ، ثم اختلس النظرات إلي الصندوق. حين انتهى من آخر قطرة، أمسك بالصندوق، وأفرغه على الأرض، فلم يجد غير رسالة. قلّبها يمينًا وشمالًا، وقال:

- كلام. كله كلام في كلام

وحاول أن يمزق الرسالة، لكنه لم يستطع.

أمسك الرسالة، قبض عليها بيديه، أدرك لأول مرة قوة الرسالة وهي مُقفلة، وفكّر قليلًا، وحدّث نفسه: فَتحُ الرسالة يعني موتها. أي رسالة لا تعنيني، إلا هذه الرسالة، التي تخصني بالذكر. لن يحدث شيء لو فتحتها، وقال مشجعًا نفسه:

- إنها رسالة ميت!

وفتحها بلهفة.

الرسالة

أحمد

اعلم أني تبرعتُ بمالي كاملًا. أنت الآن وحدك، لا تملك غير نفسك. فكن صادقًا معها، واخرج عن إطارك الذي صنعه لك الناس، ولا تجعل سلطة ما تحجبك عن ذاتك. أنت الآن سيد نفسك.

وأخيرًا، إذا فهمت كلامي، فاقرأ على روحي الفاتحة.

أبوك (الكاتب)

ترك أحمد الرسالة مفتوحة، وذهب لأمه، متعثرًا بأحلام وأسرار صغيرة، تخصه وحده.

- ما لك؟
- لقد تبرع بماله كاملا
- عملتها يا ابن ...

هاجتْ، واكتست بالدموع والصمت. تركها أحمد، وانزوى بغرفته، لا هو حي يُرزق ولا هو ميت، وليس لديه شاهد قبر مثل أبيه ■

في «العهد، الكلام المباح»

التراث كنز أم لعنة؟

د. هويدا صالح

■ الاشتغال على الأساطير في الدراما التلفزيونية ليس حديثا، فهوحيلة فنية يلجأ إليها كتاب الدراما لتحميلها ما يريدون من رؤى ووجهات نظر يسعون لتوصيلها عبر العمل الدرامي، والكاتب الفرنسي المعروف بيير برونيل يقول إنه: «لا وجود للأسطورة الأدبية دون تقمص يحييها في عصر تكون قادرة فيه على التعبير الأفضل عن مشاكله». وقد شهدت ساحة العمل الدرامي الكثير من الأعمال التي تعتمد في بنيتها الفنية على الأساطير. وقد جاء مسلسل»العهد، الكلام المباح»؛ ليجسد لنا تجليات الإسقاط الفني على الواقع الاجتماعي والسياسي، وهو يعتمد على الفانتازيا ضمن أحداث درامية تدور في بيئة زمنية ومكانية غير حقيقية، معتمدًا على أسطرة العالم؛ ليصور محاولة الاستئثار بالحكم من قِبل عائلات كبيرة تحكم ثلاث قرى،عبر صراع يخوضونه على كتاب«العهد» الـذي له سطوة كبيرة على شعوب تلك القرى.كان الرهان طـوال المسلسل على أن الفائز بذلك الكتاب (العهد) ستؤول إليه مقاليد الأمـور، ويستطيع من خلاله أن يحكم القرى الثلاث.وربما تتناص رؤية الكاتب مع فكرة أن الكلمة هي بداية الخلق «في البدء كانت الكلمة» لذا الصراع كان على الكلمة المكتوبة التي يمثلها «كتاب العهد». يحاول المسلسل أن يكشف صراع الأفكار والعادات والتقاليد التي نرثها، وتتحكم في حياتنا دون منطق ودون حتى أن نُخضعها للعقل وللمراجعة النقدية. حين تصير هذه الأعراف وتلك التقاليد بمثابة قوانين مقدسة تحكم حياتنا علينا أن نتوقف ونتساءل إلى متى يجب أن نخضع لها؟ هذه هي المقولة الثقافية التي يطرحها المسلسل بالدرجة الأولى، لكن الفن ليس فقط مقولة ثقافية يمكن أن تختصر في مقال نقدي، الفن منظومة جمالية وفنية يكمن خلفها بناء فكري ورسالة مضمرة يسعى فريق العمل لتوصيلها لمتلقي العمل الدرامي.

إنها فكرة الصراع على السلطة، وكيفية تحول الأعراف والموروثات الاجتماعية إلى ما يشبه التشريعات التي تضرب بالحق عرض الحائط. إنه الصراع الإنساني القائم منذ الأزل بين الخير والشر.

حالة من الجدل أثارها المسلسل منذ بداية عرضه، فقد أُتهم بالاقتباس من مسلسل «لعبة العروش» المأخوذ عن رواية بنفس الاسم لمؤلفها الإنجليزى «جورج مارتن»، كذلك باقتباس الألحان والموسيقى من ألحان كنسية قبطية، وخاصة في تتر البداية، وهذه الألحان تدخل في إطار التراث والموروث الشعبي، الذي يمتلكه الكل، فمن حق الموسيقار هشام نزيه أن يقتبس بعض الألحان ويعيد توزيعها، مما منح المسلسل نكهة أسطورية مميزة. تدور الأحداث في قرى: كفر النساء، وكفر نطاط الحيط، وكفر القلعة.

تأتي شخصية «ريا» التي تمثلها الفنانة صبا المبارك، لتشير إلى العصر الأمومي، أو المترياركي، حين كانت تحكم المرأة العالم، وهو عصر ما قبل الانقلاب الأبوي أو البطرياركي على حكم المرأة/ الأم. تتميز شخصية ريا بالقوة ومحاولة الانتصار للعدل والانحياز للمظلوم، فهي كبيرة كفر«النساء». وحين تتعرض والدتها وشقيقتها للظلم تسعى«ريا» للانتقام وتستولي على زمام السلطة في الكفر الذي كان يحكمه والدها وتقرر التخلص من كل الرجال فيه.

الشخصية النسائية الثانية هي شخصية«ستمنوها» التي جسدتها الفنانة سلوى خطاب، وهي الشخصية التي حصلت على العهد وأخفته حتى لا يقع في أيدي أطراف النزاع، لكنها تُقتل بسبب العهد نفسه، ثم تعود لتشارك في الأحداث بعد أن صارت روحًا أو شبحًا، وقد أجادت سلوى خطاب تجسيد الشخصية العالقة روحها بالدنيا رغم رحيلها بالجسد، وجسدت هذه الشخصية فكرة «العالقون بين الأزمان» الذين ماتوا بأجساهم، لكنهم ظلوا معلقين في برزخ بين عالم الروح وعالم المادة/ الحياة.

أما شخصية سوسن ابنة الشيخ «ضوي» مثلتها كندة علوش، لكن لهجتها وتعبيرات وجهها، وطريقة الأداء لا تعبر مطلقًا عن الشخصية. الشخصية تحارب من أجل السلطة، وتتسم بكثير من الشر، لا أظن أن كنده علوش قد أقنعت المشاهد بهذا الدور فعليًا، فأداؤها جاء نمطيًا، لا تختلف تعبيرات وجهها أو صوتها عن أداء كندة علوش في مسلسل آخر مثل «نيران صديقة» نفس الأداء بنفس الروح، ويأتي عدم إتقانها للهجة المصرية عائقًا كبيرًا في التواصل مع المشاهد.

تقدم الفنانة غادة عادل في المسلسل شخصية «سحر» الفتاة التي لديها قدرات خاصة، وفي نفس الوقت تتنكر في زي رجل والتي تحاول الوقوف إلى جانب المظلومين. جاء أداء غادة عادل مميزًا، لكن لأنها تصور الشخصية وهي متنكرة في زي رجل لم تجد وسيلة لإقناع المشاهد سوى أن تجعل صوتها ضخمًا حتى تعطي إيحاء أنها رجل، ولكن ملامح وجهها كما هي أنثوية جميلة بعيون كحيلة وحواجب مزججة، أما كان الأولى بالمخرج أن يستعين بالماكياج ليوهم المشاهد أنها رجل؟ ألم يكن الماكيير قادرًا على تغيير شكلها أو وضع شارب مثلا لتغيير ملامحها؟

يبدأ تتر المسلسل بشخوص سواد باهتة على خلفية دم أسود في إشارة إلى ميراث الدم الذي سيتحكم في مجرى الأحداث، فثمة قتل ودماء سوف تسيل من أجل السلطة والحكم والاستيلاء على العهد. يصير ميراث الدم علامة سيميائية من علامات المسلسل، وكأنه امتداد للجريمة الأولى التي ارتكبها قابيل في حق أخيه هابيل. وخيط الدم الممتد ليس العلامة السيميائية الوحيدة، فثمة علامات أخرى كثيرة، فعنونة الحلقات بعناوين فرعية هو إشارة أيقونية أخرى.

الحلقة الأولى تحمل عنوان (النبوءة الأولى – سبع نوايات تمر)، ورمزية العدد (7) علامة إشارية لهذا الميراث الإنساني من القتل والدماء. تبدأ الحلقة الأولى بخيانة من الزوجة جومر التي تقوم بدورها شرين رضا. تشترك مع خليل أخي زوجها لقتل الزعيم كمال الديب/ الزوج.

إنه الصراع الإنساني واستعداد البعض للتضحية وانتهاك المقدسات من أجل الوصول إلى السلطة، وذلك من خلال صراع عائلي في قرية ملعونة يتم فيها قتل الأطفال ودفنهم أحياءً،حيث تبدأ الأحداث على شخص مصاب بالجرب يرتدى ثيابًا من الخيش، ثم تظهر شخصيات مختلفة ومتنوعة تبعًا لسياق الأحداث.

كثرة الأحـداث وتداخلها، وتعدد الخيوط الدرامية ربما أفقد المشاهد التركيز، فقد انشغل المؤلف في حشد خيوط درامية كثيرة ومتقاطعة في عمله، ولم يحرص على الحبكة الدرامية التي تجعل المشاهد في حالة من التشوق والترقب والرغبة في المتابعة، كما أن غياب الحبكة أصاب العمل بالتفكك والترهل، فحتى لو أن العمل يعتمد على الأسطورة والفانتازيا إلا أن الواقع يظل مرجعية تربط المشاهد بالعمل.

أبدع الفنان صبري فواز في أداء شخصية «الضوي» فالشخصية المركبة التي تستعين بالدين والميتافيزيقا في صراعها من أجل السلطة لا تختلف كثيرًا عن واقع المجتمعات العربية التي تستعين بالدين من أجل مكاسب سياسية وسلطوية. تأتي الخاتمة مربكة للمشاهد، إنها خاتمة مفتوحة لا تتناسب وهذا الجو الأسطوري الذي يتخذ من الصراع الإنساني وسيلة يسقط من خلالها على الواقع، فلم نجد الأمر محسومًا في النهاية، هل هو لصالح كشف زيف هذه القدسية المزعومة للتراث والتي يحاول صناع العمل أن يكشفوا خطورتها إذ تتحول إلى لعنة إن لم نتعامل معها بوعي ومحاولة فهم، حيث يتم تقديس الموروث، وتسييد نموذجه وإزاحة المستقبل، وسيطرة وهيمنة الفكر الماضوي المتمثل في«العهد» ووصاياه؟ أم يحسم الأمر لصالح المستقبل، وتهب الشعوب بثورات ضد الأنظمة القمعية في القرى الثلاث؟ لم يحسم الصراع لأحد الأمرين.

اتسم المسلسل بالقيمة الإنتاجية العالية التي تتجلى في الديكورات والملابس والأجواء التاريخية، فالرهان الأهم في العمل كان في الديكور والملابس التي لم تعط انطباعًا محددًا للمشاهد بزمان ومكان العمل. كذلك الإضاءة التي أضفت جوًّا أسطوريًا، واستطاع فنيو الإضاءة باقتدار الإيحاء بأسطورية وغموض المكان مما يتناسب مع الأحداث الأسطورية ■

ماريو كوينتانا

فيصل رشدي *

كنت أتجاذب أطراف الحديث مع الأستاذة البرازيلية آنا ماريا مارتينشANA MARIA MARTINS حول أفضل الشعراء البرازيليين بعد أسطورة الشعر البرازيلي غونسالفش دياش، فكانت الإجابة على الشكل التالي: مانويل باندير‌ا، أوسلاد دي أندرادي، ماريو كوينتانا.

رغم دراستي للأدب البرازيلي فإن الاسم الثالث لم يلفت انتباهي وهو ماريو غوينتنا، فبدأت رحلتي في البحث عنه، فوجدت حياته غريبة ومليئة بالأحداث.

ولد كوينتانا عام 1906 بمدينة أليغريتا، حيث درس بها سنواته الدراسية الأولى، لم يطل به المقام في مدينته إذ سرعان ما شد الرحال رفقة أسرته إلى مدينة بورتو أليغيري، المدينة التاريخية التي عرفت عام 1500 أول تصادم بين المستكشفين البرتغاليين والهنود الحمر.

منذ ذلك اللقاء أصبحت لهذه المدينة رمزية تاريخية إلى يومنا هذا، لدى وصول ماريو لمدينة بورتو أليغيري رأى أن هذه المدينة تختلف كثيرًا عن مسقط رأسه.

درس كوينتانا بالمدرسة العسكرية، فكان يقضي النهار في الدراسة، وحينما يحل الليل، يستأنس بكتابة الشعر، إلى أن جمع ديوان بأكمله.

أمام واقع مزر، إضطر ماريو للعمل من أجل لقمة العيش. فعمل في دار للنشر والترجمة والصحافة، إلا أن مهنة المتاعب ظلت الوظيفة التي لازمته إلى وفاته.

وفي مجال الترجمة، ترجم ماريو أهم الأعمال الأدبية العالمية مثل «البحث عن الزمن الضائع» لمارسيل بروست، إضافة إلى ترجمته لأعمال الكاتبة الأمريكية والمناضلة النسوية فيرجينا وولف.

كانت حياة كوينتانا مليئة بالأحداث الغريبة فهو لم يعتد أن يسكن في المنزل، بل كان يفضل السكن في الفنادق، وقد اعتبر نفسه إنسانًا غير مستقر وأنه راحل في يوم من الأيام طال الزمن أم قصر. كانت لديه فلسفة في الحياة وهي أن يظل حرًّا في تفكيره، لذا لم يتزوج قط.

تميز كوينتانا ببساطة شعره، وكان يسعى دائما إلى كسب ود القارئ الذي اعتبره رهانه الأساسي. كان ماريو مرتبطًا بإعجاب القراء له من خلال المواضيع التي كان يتطرق إليها والتي تلامس الإنسان البرازيلي العادي في همومه وأفراحه وأحزانه.

يبحث الإنسان دائمًا عن البساطة وهو ما ترجمه ماريو إلى كلمات يبسط فيها الأشياء، إنه يبحث عن الحياة السعيدة للإنسان، ويدعو الإنسان إلى عدم التخلي عن أحلامه، حتى لو كان الأمر مستحيلا، يحاول ماريو أن يعطي الصورة الإيجابية للحياة حتى لو كانت سوداء. وهو ما عبر عنه في قصيدة « اليوتوبيا» التي تعد من روائع القصائد البرازيلية، يقول فيها: «إذا كانت الأشياء/ غير قابلة للتعريف/ هذا يجعله سببا لا نريده كيف يكون الحزن هو الطريق؟

إن لم يكن في طريقها نجم يهتدى به».

لكوينتانا عدد من الدواوين الشعرية من بينها: «أغاني» عام 1946، وديوان بعنوان «كوينتاناش» عام 1976 وديوان آخر بعنوان «المرآة السحرية «عام 1951.

البساطة هي الحياة بالنسبة لكوينتانا، عبر عنها بشعره الذي لم يخذله في حياته وبعد مماته. حياة سرعان ما ستنتهي بموته عام 1994 في الفندق الذي كان يسكنه، والذي تحول إلى مزار ثقافي يزوره محبوه ■

* باحث من المغرب

الأيديولوجيا وشباب الشعراء

محمد غبريس *

بين الأيديولوجيا والشعر، رحلة بحث في الوعي الإنساني والعوالم الداخلية، وتحليق في سماء الذاكرة، بحثاً عما يحقق التغيير المنشود، هي رحلة تنشد معاني الحرية والإبداع، إذ بدونهما سيكون الشعر في مهب الأيديولوجيا، وستكون الأيديولوجيا عبئاً ثقيلاً على الشعر، لا يمكن أن يحقق الشعر رسالته ويحلق في فضاء أوسع إذا منع عنه هواء الحرية، بذلك تخبو جذوته ويتراجع دوره الحقيقي ويفقد السيطرة على زمام الوقع واستشراف المستقبل.

إن علاقة الشعر والأيديولوجيا تتفاوت في صورها من بلد عربي إلى آخر، وبين شاعر إلى آخر، حيث يعاني المثقف العربي إشكالات متعددة، تجعله عاجزاً عن ممارسة دوره التنويري وتأدية واجبه الإصلاحي، إنه يعاني من اضطهاد السلطة التي تفرض قيوداً على حريته وتعمل على مصادرة أفكاره وآرائه، لقد دفع الثمن غالياً نتيجة مواقفه، فمورس في حقه الانتهاك والإقصاء والحرمان، منهم من زج في السجون ظلماً، ومنهم من رفض الخضوع واختار المنفى، ومن المثقفين من هادن السلطة وعقد معها صفقات لتلميع صورتها وتشويه أسماء مبدعين كبار، إذاً لابدّ من الحرية فهي التي تضع الأيديولوجيا على السكة الصحيحة لتدفع بالشعر نحو العلا، يقول غسان كنفاني: «أنا أحكي عن الحرية التي لا مقابل لها، الحرية التي هي نفسها المقابل».

لابدّ من الإشارة إلى الجيل الذي عايش العقود الماضية حيث لعبت الأيديولوجيا القومية والوطنية بأشكالها المتعددة دوراً مثمراً في النتاج الفكري والثقافي والإبداعي، التي كانت تحاكي هموم المواطن العربي وأوضاع الوطن العربي ومشاكله برمتها، حيث اتكأت على شعارات وخطابات وعناوين صاخبة وجدت تأييداً شعبياً بالمطلق.

لقد تأثر العديد من الشعراء العرب بالأيديولوجيا باعتبارها منظومة فكرية يمكن من خلالها التعبير عن الذاتي والمجتمعي، وقد تطلب بعض الظروف التمسك بالخطاب الأيديولوجي، لذلك نجد أن عدداً من الشعراء بنوا شهرتهم من خلال ذلك، تلك الظروف جعلت من الأيديولوجيا تتفاوت حدتها، وبدأ تأثيرها يتراجع خصوصاً في العقدين الأخيرين بعدما انصرف المواطن العربي إلى الاهتمام بأموره الحياتية والمعيشية.

يوجد باب في مجلة «دبي الثقافية» اسمه «أجنحة الخيال» وهو مختص بنشر مجموعة من الإبداعات من شعر وقصة وترجمة ونصوص نثرية لشعراء شباب، وكنت أقوم بنفسي بالإشراف على هذه الصفحات القليلة، حيث كانت تصلني شهرياً عشرات القصائد من مختلف أنحاء الوطن العربي، وتتنوع في الشكل والمضمون، بين التفعيلة والنثر والكلاسيكي، وأختار شهريا من أربع إلى ست قصائد لنشرها في كل عدد، القصيدة الجميلة تفرض نفسها للنشر، وتتفاوت درجة الإبداع من نص إلى آخر، ولكن بشكل عام ومن موقعي الإعلامي والثقافي، يمكن أن أجزم أن معظم القصائد التي تردنا على قدر كبير من الجودة والإبداع والتميز، وتعكس صورة الشباب العربي الجدير بالثقة، وتعقد الكثير من الآمال على حضوره وإرادته وأحلامه، من النظرة الأولى يمكن الاكتشاف أن للخطاب الأيديولوجي حضورا واضحا ولكنه غير مؤثر، كما يمكن قراءته من مستويات عدة، خصوصا أن القصائد تتبنى قضايا اجتماعية وسياسية عامة، وفي غالبيتها نجد التعبير الجمالي والوعي من دون أن يتحول النص الشعري إلى أيديولوجية، من هنا نجد أن هذه النصوص هي ابنة الحداثة ترى أن وظيفة الشعر ليست وظيفة أيديولوجية، وإنما جمالية روحية.

استطاع الشعراء الشباب أن يساهموا من موقعهم في إيجاد وتشكيل مساحات للحرية والاختلاف داخل بنيات المجتمع المختلفة، وتمكنوا باعتقادي من المواجهة والصمود أمام المتغيرات السياسية

والاجتماعية خصوصاً بعد تراجع التيّارات السياسية وغياب دور المؤسّسات، هؤلاء الشعراء استطاعوا من خلال كتاباتهم وإبداعاتهم أن يعيدوا إنتاج الحياة بأبعادها المختلفة، بأفراحها وأتراحها، بجمالها وبساطتها، بطقوسها المنوعة، وتخلوا عن الوعظ، وراحوا يستكشفون الجمال بطريقتهم الخاصة، انطلاقا من رؤية وفلسفة وأيديولوجية، ولا أقول أن الأمر وصل إلى صياغة مشروع خاص بهم، هم منتجون، وأكثر التصاقا بالحياة، وأكثر تحررا بالمعنى الإبداعي والإنساني، ينتمون إلى جهات مختلفة، منهم من يقف سياسيا في هذه الجهة أو تلك، ولكن معظمهم لم يكن أسير هذا الانتماء أو هذه الأيديولوجية..»يقول الروائي عبد الرحمن منيف: الشعر الذي يخلو من العنصر الإنساني، بما فيه من مجابهة وتحدٍّ للظلم والقباحة والخسة ينحدر بسرعة إلى النسيان ثم إلى الغياب»، إذا الشعر بهذا العمق والدلالة ينتصر أمام الصراعات.. مهما كانت الأيديولوجيات وألوانها.

يقول الدكتور شكري عزيز ماضي عن محمود درويش في كتابه «شعر محمود درويش/ أيديولوجيا السياسة وأيديولوجيا الشعر» الصادر من المؤسسة العربية في بيروت وعمّان: أحسب أن هذه المرتكزات والظواهر: الحرية، التجديد، التنافس، التنوع، الصراع السياسي، تفرض الحديث عن قضيتين مهمتين يمكن أن تلقيا بأضواء، على ما شهدته تجربته الشعرية من تحولات، وتسهما في فهم شعره وتذوقه وتجسيد خصوصية صوته الشعري الإبداعي، الأولى هي الشعر والأيديولوجيا والثانية هي الخيال السياسي والخيال الشعري.

تعالوا نلقي نظرة على القصيدة العربية المعاصرة التي رزحت تحت نير الواقع العربي المأزوم سياسياً واجتماعياً، سنجد أن في صراعها مع هذا الواقع حملت في طياتها البعد الأيديولوجي بألوان وأشكال متعددة، ويرى رولان بارت أنّ النص بحاجة إلى الأيديولوجيا التي هي ظلّ له. يقول: بعضهم يريد نصّا لا ظلّ له، مقطوع الصلة بالأيديولوجيا السائدة؛ ولكنّ ذلك يعني أنّهم يريدون نصّاً لا خصوبة فيه ولا إنتاجية، نصاً عقيما.

لقد اتكأ العديد من الشعراء الشباب على الأيديولوجية وظهرت إما مباشرة أو رمزاً في مضامينهم الشعرية، إلاّ أن الشكل الشعري الذي جاءت عليه قصائدهم حقق القيمة الجمالية والفنية، وقد تعرض المفكر المغربي عبد الله العروي لتحليل مفهوم الأيديولوجية في كتابه «مفهوم الايديولوجية» يقول في مقدمة هذا الكتاب: إن مفهوم الأيديولوجيا ليس مفهوما عاديا يعبر عن واقع ملموس فيوصف وصفا شافيا، وليس مفهوما متولدا عن بديهيات فيحد حدا مجردا، وإنما هو مفهوم اجتماعي وتاريخي، وبالتالي يحمل في ذاته آثار تطورات وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة، إنه يمثل «تراكم معان»، مثله في هذا مثل مفاهيم محورية أخرى كالدولة أو الحرية أو المادة أو الإنسان. أخيراً المجد كل المجد للقصيدة التي تحافظ على ينابيعها وإلهامها وإنسانيتها وحريتها وعوالمها العذبة النقية وسحرها وفتنتها وألقها دون أن تخدش الأيديولوجيا جلدها الناعم ودون أن تهبط درجة واحدة من عليائها إلى مرتبة السياسة ■

* شاعر وكاتب من لبنان

تواصيف

خنجر «بو سعيد»، تُصالج ولا تقصّ حبل

بوسعيد: أحد الأشخاص. - تُصالج: تلمع وتبرق وأصلها تصلق، وهي كلمة عامية تعني اللمعان.

أي أن «بوسعيد» يتفاخر بخنجره اللمّاعة، ولكن حقيقة الأمر أن تلك الخنجر مثلمة كليلة غير ماضية هشّة غير أصلية، ويلبسها كزينة فقط. انظر المثل الذي يقول: «الحس حس راعده، والحيل حيل ياعدة، في حرف الحاء. والمثل العربي القديم يقول «اسمع جعجعة ولا أرى طحناً»

يضرب هذا المثل الشعبي انتقاداً للشخص كثير الكلام والتهديد والوعيد ولكنه لا يفعل شيئاً ولا ينفّذ وعيده، وقد يضرب للدعابة.

أسهمت في بناء الأسطول البحري الملكي

الأنفوشي

أقدم مدرسة لصناعة السفن يدويًا

الأسكندرية - حسام عبد القادر

«الأنفوشي» من أهم مناطق الإسكندرية جذبًا للسياح، فهي ملتقى للصيادين، وبها قلعة قايتباي الشهيرة، كما تحتوى على متحف الأحياء المائية، وميدان المساجد، بالإضافة لمشاهد الميناء الشرقي الـذي كـان موقع منارة الإسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة، إلا أن هناك ما يميز هذه المنطقة قد يكون له تأثير اجتماعي وسياحي أكثر من كل ما سبق.

يوجد على امتداد شاطئ الأنفوشي أكثر من ستين ورشة لصناعة وبناء السفن، قد يمر السائح من أمامهم دون أن تلفت نظره، إلا أنه إذا تعمق في النظر ودخل داخل إحدى هذه الورش سيكتشف كثيراً من النوادر والعجائب منها ما يصاحب هذه الصناعة النادرة ومنها ما يخص القائمين عليها، بل وعملاء هذه الورش من الأثرياء ونجوم المجتمع من كل أنحاء العالم.

يرجع تاريخ هذه المهنة إلى أكثر من مائتي عام من عصر محمد علي باشا، وساهمت بعض هذه الورش في بناء الأسطول البحري الملكي في ذلك العصر، أي قبل ظهور الماكينات والمحركات وكان ذلك بالقلوع والأشرعة.

صناعة السفن

صناعة السفن

واشتهرت عائلات بعينها امتهنت هذه المهنة وورثتها لأبنائها وأحفادها، منهم أربـع عائلات هم الأشهر وعُرفت ورشهم بأسمائهم وهم: ورشة الدجيشي، والسلامي، ورجب، والجزيري.

ويفتخر علي الدجيشي من الجيل الثالث لعائلة الدجيشي بأن عائلته حصلت على شهادة تقدير من البحرية الأمريكية لمشاركتها في إصلاح عدد من القطع البحرية الأمريكية، كما صنعت يختاً للسفارة الفرنسية و40 قاربا مجهزا لأجهزة الأمن وحرس الحدود بالسعودية.

ويقول الدجيشي: «أسست ورشة الدجيشي منذ عام 1949م، وكنا قبل ذلك نعمل في ورشة في الميناء الشرقي أيام محمد علي باشا، وكان يعمل معنا ايطاليون ويونانيون ومالطيون وقد تعلمنا كثيراً من الأتراك وأكملنا الطريق».

ويضيف الدجيشي «تعتبر مصر رائدة في هذا المجال سواء في صناعة المراكب الخشبية أو الحديد، كما أن الأنفوشي هي المدرسة التي خرجت منها ورش أخرى في السويس ودمياط ورشيد، كما خرج منها أمهر العاملين وذهبوا إلى ليبيا وتونس والجزائر ليعملوا فيها».

رؤساء ومشاهير

وصنعت ورشة الدجيشي لانشات ومراكب ويخوت للرئيس عبد الناصر والسادات وللعديد من المشاهير في مصر والعالم العربي،

منهم شريفة فاضل ومحمد الحلو ومعظم رجال الأعمال المصريين.

ومن أشهر من أمتلك اليخوت في بداية تصنيعها في الإسكندرية عبود باشا صاحب أول توكيل ملاحي في مصر وكانت تكلفته في ذلك الوقت 8 جنيهات صنع بأجود أنواع الأخشاب، وكوكب الشرق أم كلثوم التي امتلكت هذا النوع عام 1945 وكانت بطول 12 مترا وكانت تستخدمه في التنزه .

وتستغرق صناعة أكبر يخت، كما يقول الدجيشي، 16 شهرا تقريبا، وأصغر يخت 5 أشهر، وذلك حسب الحجم وكم الشغل.

ويكثر الآن الطلب على اليخوت خاصة من الأجانب والعرب ورجال الأعمال المصريين، وكلمة «يخت» كلمة محببة للمشتري وتعبر عن رقي المركب، رغم أنها تشبه القوارب أو اللانشات، ويختلف اليخت عن القوارب في التشطيب النهائي وجودته، كما أنه يخرج في رحلات طويلة حوالي 10 إلى 15 يوما، ولذلك لابد أن تكون ورش التصنيع قريبة من البحر لتتم تجربة اليخت في البحر.

خبرات ومهارات مكتسبة

وقد يبلغ العجب مداه عندما نعلم أن تلك الصناعة النادرة والتي

تحتاج إلـى فنون مثل التصميم، الرسم الهندسي، الرسم البياني، فن العمارة، الديكور، كل هذه الفنون وغيرها يقوم بها عمال مهرة لا يملكون إلا مهاراتهم وبعضهم لا يعرف حتى القراءة ولا الكتابة ولم يتخرجوا من كلية الهندسة أو الفنون الجميلة وإنما اكتسبوا المهنة ومهاراتها أباً عن جد وبالخبرة أضافوا عليها حتى وصلوا إلى درجـة من الحرفية تصل للعالمية.

ويأتي إليهم طلبة الهندسة ليتعلموا منهم وليتأملوا رسوماتهم التي صمموها لكي يتم بناء المركب على أساسها وهي رسومات في غاية الدقة لا يوجد بها خطأ واحد، وهي مهنة نادرة ورغم ندرتها إلا أنها متوفرة في مصر خاصة في الإسكندرية ويأتي عملاء من كل أنحاء العالم إلى ورش صناعة السفن بمنطقة الأنفوشى بالإسكندرية من أجل صنع مركب أو لانش أو يخت حسب الطلب وذلك لدقة الصنع والمتانة ومهارة اليد بعيدًا عن المصانع الآلية الموجودة في أماكن أخرى بالعالم. كما يأتي إليها السائحون ليشاهدوا هؤلاء العمال أثناء تصنيع اليخوت خطوة بخطوة بدءا من الهيكل «البدن» وحتى الطلاء والتجهيز والذي يتم بدون مهندسين وبدون رسومات هندسية.

مهن نادرة

ويؤكد الحاج محمد فريرة صاحب ورشة لبناء المراكب وأشهر نجار مراكب في الأنفوشي بالإسكندرية أن المراكب أنواع منها مراكب الصيد ومراكب الخدمات بالميناء ومراكب لجميع الخدمات ونجاة السواحل ومراكب السياحة بجميع أنواعها سواء الركوب العام أو الخاص، هذا بالإضافة إلى قوارب الصيد الصغيرة، و«طج قطرة» (وهو نوع من أنواع المراكب التى تسحب المراكب فى المياه) وكل هذه الأنواع يتم صنعها في ورش صناعة السفن بالإسكندرية وهى منطقة خاصة جداً تعتبر منطقة أثرية فى وجهة نظر البعض نظراً لندرة المهنة وخصوصيتها الشديدة. وأقل ورشة يعمل عليها 30 عاملاً ما بين النجار والحداد والكهربائى والسباك والميكانيكى وصانع الألوميتال والـزجـاج والأستورجى وعامل التكييف وفني تركيب الأجهزة الملاحية وعمالة نزول المراكب إلى المياه بالإضافة إلى «الهلفاط» وهى مهنة نادرة جدا تحتاج إلى مهارة وخبرة و«الهلفاط» هو الذي يقوم بمنع دخول المياه بين ألواح الخشب عن طريق الحفر بشكل معين، وبالطبع كل العاملين على المركب يقومون بتشغيل محلات الخشب والكهرباء والصحى وغيرها

من المحلات الموجودة بالأسواق أى أن وجود مركب يتم صناعته يعتبر رواجًا لعدد كبير من المهن والصنايعية في نفس الوقت.

مهنة تحتاج إلى خيال إبداعي

ويضيف الحاج إبراهيم القبطان صاحب ورشة أيضا لصناعة المراكب أنه بعد انتهاء المركب وتصنيعها وتسليمها لصاحبها يبدأ في العمل عليها طاقم كامل من الفنيين والطباخين والعمال بأنواعهم أي أن صناعة مركب لا تساعد في تشغيل 30 عاملًا عليها فقط بل في تشغيل ما لا يقل عن 10 أفراد كطاقم لها بعد الانتهاء منها.

أما عن أهم متطلبات المهنة فيقول صادق رؤوف صاحب أحد الورش «إن هذه المهنة تتطلب الكثير من الخبرة، فلا يصح أن يعمل بها أحد دون أن يكون قد اكتسب خبرة عملية، فالنجارون هنا معظمهم لا يعلم القراءة والكتابة ولم يعتمدوا على الدراسة في شيء وإنما على الإنتاج والاستفادة من الأخطاء وتلاشيها، فالمهنة تعتمد علي التمرس وتحتاج إلى تركيز ذهني مع العمل اليدوي، كما تحتاج إلى خيال إبداعي». وتبدأ أسعار اليخوت من نصف مليون دولار وتصل إلى 10 ملايين دولار وفقاً للتجهيز، ويتم تأجير اليخت في اليوم الواحد بألف دولار، فكل شيء يدخل في صناعة اليخوت لابد أن يكون صنع خصيصاً للبحر فقط، وغالبًا ما تستورد جميع الخامات، مما يزيد في تكلفتها. وفي الإسكندرية يمكن القيام برحلة بحرية قصيرة داخل سواحلها وهي لا تتعدى ألف دولار بينما تتكلف رحلة من الإسكندرية إلى شرم الشيخ ما يقرب من 10 آلاف دولار، وتتطلب الرحلات الخارجية مصاريف باهظة لما يلزمها من تصاريح ووقود وإمكانات بحرية ومعدات من محركات متطورة وحديثة وأجهزة لاسلكية بعيدة المدى ورادار، وأجهزة لقياس عمق المياه وغيرها. وتتراوح أسعار اليخوت حسب الطلب، وتختلف حسب الغرض منها إذا كان نزهة اليوم الواحد أو لأغراض الإقامة وتكون بها عدة غرف قد تصل إلى 20 غرفة وقد يصل طوله إلى 40 مترا، وتتم دائما تجربة اليخت في الميناء الشرقي لأنها معدة لذلك جيدًا، هناك فنار ورصيف، وبعد تجربة الأداء يتم استخراج التصاريح سواء داخل القطر أو خارجه.ويقول رؤوف «إن تميز ورش الإسكندرية يأتي من أن هناك أنواعًا من الخشب لا تتوافر إلا في مصر مثل خشب التوت والسنط، وتصنع منه المراكب، ويطلق عليه عود عربي، حيث يشبه الهيكل الخارجي لآلة العود الموسيقية، فيما عدا ذلك جميع أنواع الخشب واللوازم الأخرى تكون مستوردة».

وانتقد رؤوف صناعة اليخوت بمادة «الفيبر» التي بدأت في الانتشار مؤخرًا موضحا أنها غير صحية لأنها تصنع من مواد كيميائية مشيرا إلي أن مدة استخدامها لا تتجاوز الست سنوات ويتم صيانتها مرة واحدة فقط بالمقارنة باليخت الخشبي الذي يستمر لمدة 25 سنه ويمكن تطويره وتعديله وصيانته أكثر من مرة ■

صناعة السفن

أنت أكثر من ذلك

فاطمة المزروعي *

الاكتفاء بما يتم تلقيننا في المدارس والمؤسسات التعليمية أو ما هو واجب علينا أن نعرفه، ليس كافياً لنصبح أشخاصًا فاعلين في المجتمع، لذا نشاهد من يواصل السعي نحو تلقي المعرفة وتزويد نفسه وعقله بالعلوم المختلفة، سواء من خلال الدورات المتخصصة أو حتى من خلال جهوده الشخصية بالقراءة والاطلاع.

وهذا التوجه لا يعني أنه شخص ناقص، بل يعني وبكل وضوح أنه إنسان طبيعي وفاهم لمتطلبات الحياة، فما هو العيب أو النقص في إنسان أخذ على عاتقه السعي إلى تطوير نفسه وزيادة إمكانياته الشخصية وقدراته الذاتية على خدمة الإنسانية كافة.

على سبيل المثال الورش التدريبية تكسب الإنسان المعرفة، وتكسبه الجرأة على مواجهة كافة مشاكل الحياة، سواء أكانت عملية أو اجتماعية أو سياسية أو غيرها.

ليست المواد والدروس التي تعلمناها وحفظناها على مقاعد الدراسة في كل مراحلها التعليمية، إلا مفاتيح لما هو أعظم وأهم في الحياة، لا يزال هنالك شيء ينبغي علينا تعلمه لمواكبة التطور العلمي والتقدم الهائل في جميع المجالات الحياتية، فمن أجل أن نستطيع الصمود والتميز وبقوة وسط هذا العالم الواسع، الذي أصبحت صعوباته ماثلة وواضحة لنا جميعا، نحتاج للمعارف والعلوم والثقافة العامة بجانب التحصيل العلمي والشهادة، لأن هذه الجوانب تمنحنا الخبرات التي نحتاجها، عندما نهب لمساعدة ضعيف أو إنسان متعثر.

عملية التدريب والتطوير الذاتي للقدرات العلمية والذهنية يفترض أن تكون مستمرة ومتواصلة ولكن بذكاء وتشويق للنفس، بمعنى أحسن اختيار الورش والدورات التي تلتحق بها، والتي فعلا تشعر بأنك تحتاجها وتنقصك، ولا تتوجه لمجالات أنت على علم بها، لأن هذا سيسبب لك السأم وفي أحيان قد يسبب تداخل وتعارض في المعلومات، ولا تنس القراءة، التي لا يجب أخذها كواجب وهمّ، بل اعتبرها تسلية وترفيهًا، وتبعا لهذا أحسن اختيار الكتاب الذي تقرأه، وكن على علم بأن لكل واحد منا ميوله في القراءة، فإذا أحسنت اختيار الكتاب الذي يناسبك تحققت لك الفائدة العظيمة.

وأعود للتدريب، لأننا نشاهد هذا الزخم من المراكز التدريبية وأيضا المدربين المتجولين إذا صح التعبير، ودون الدخول في مدى دقتها وحرفيتها، أتوجه للقارئ الذي لديه رغبة بتطوير نفسه وقدراته، بأن عليه حسن الاختيار والتقصي والبحث عن أي مركز ومفردات الدورة العلمية قبل الالتحاق بها وتكبد عناء الدفع المالي، ثم النتيجة الخروج دون فائدة، مما يسبب عزوف وعدم مواصلة الجهد للتطوير الذاتي.

نحن نعلم جميعا أن هناك مراكز تدريبية لم تنشأ إلا بهدف تحقيق المكسب المادي، ونعلم أن هذه النقطة تحديدا تؤثر في مخرجات وقوة برامج مثل هذه المراكز التدريبية، لذا علينا جميعا التنبه والتوجه نحو المراكز التي عرفة بجديتها وقوة برامجها حتى تتحقق لنا الفائدة المرجوة.

وفي اللحظة نفسها يجب التذكر أن لدينا وسائل أخرى وقد تكون أبسط من خلالها نستطيع تزويد النفس بالخبرات والعلوم التي نحتاجها، حيث يمكن لك أن تكون أنت مدرب نفسك فتكنولوجيا شبكة الإنترنت سهلت الوصول إلى المعلومات وطرق تطوير النفس، لكن يبقى دورك أنت في اختيار المصادر الجيدة و الملائمة لتدريب نفسك وتطويرها... وتذكر دوما أن أي مرحلة تصلها أنت أكثر منها، وتستطيع الوصول لما هو أهم وأعظم ■

*كاتبة من الإمارات

بين الدين والتدين
الصورة الذهنية للموالد في مصر

القاهرة - رانيا هلال

تكشف النظرة التاريخية لحقل الأديان في المجتمع المصري عن عمق التدين المصري، ورسوخ الجذور الدينية فى البنى النفسية والإدراكية الفردية والجماعة، أيًا كانت ديانتهم وانتماءاتهم المذهبية.

في هذا الصدد أقام مركز «دال» للبحوث والدراسات الإجتماعية ندوة بعنوان «الصورة الذهنية للموالد» استضاف فيها الدكتور سامح إسماعيل مدير الأبحاث بالمركز الذي تحدث باستفاضة عن التدين الشعبي في مصر وأحد مظاهره وهي الموالد. ووصف إسماعيل التدين الشعبي بأنه محصلة لتكيف تاريخي بنائي متكامل، بين الرسالة الدينية بما تحويه من عقائد وعبادات ومعاملات وطقوس من جهة، والهياكل والأبنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من جهة ثانية، وأضاف: كانت محصلة هذا التكيف جملة من الظواهر الإجتماعية البشرية المتغيرة من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر، هذا النمط من التدين يعبر عن الدين كما يعاش وكما يمارسه الناس في حياتهم اليومية بما يتعارفون عليه خلال هذه الممارسات من رؤى وتصورات وأعراف وتقاليد ألحقها بالدين، إنه تدين يصدر عن الظروف الحياتية التي يوجد فيها الأفراد والجماعات.

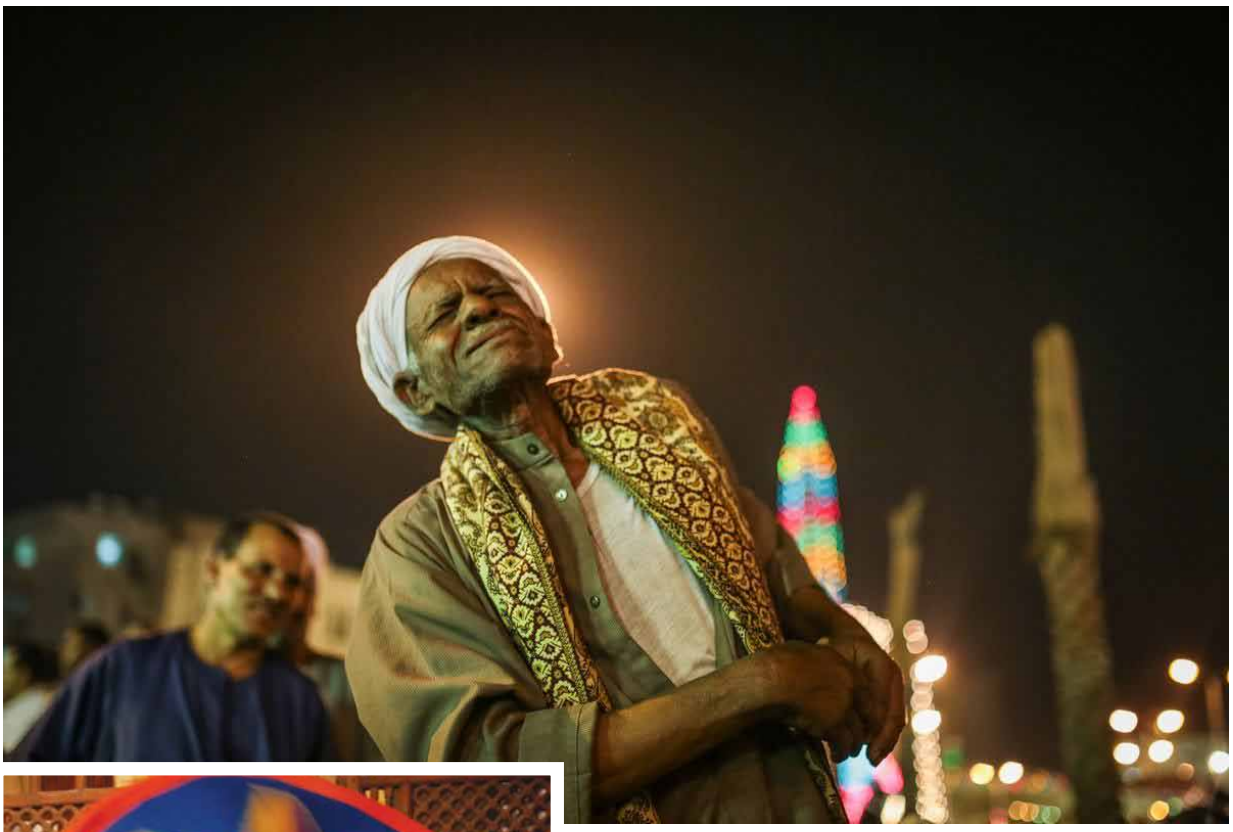

التدين الشعبى إذن هو الدين كما يمارسه عموم المصريين في حياتهم اليومية، وحيث نجح المصريون، وبإقتدار في صهر أديانهم بثقافتهم القومية إلى الحد الذي يدفع إلى التقرير بأن الاثنين قد صارا شيئًا واحدًا يصعب أحيانا التمييز بينهما، أي بين ما هو ديني وما هو منتج ثقافي، فالتدين الشعبي المصري على تنوعه هو في جوهره دين واحد يقوم على الإيمان بالله وبعالم الغيب والقضاء والقدر.

مكون ثقافي تاريخي مصري

على مدى التاريخ ترسبت الكثير من العادات والرموز، حتى شكلت فيما بينها منظومة يتلاقى فيها الرمز بالتاريخ بالمكون النفسي، فمثلًا يشيع استخدام رمز الغزالة فى التراث الصوفي، وهو رمز فرعوني يرمز إلى المكان الذى توجد فيه أرواح الأحباب الراحلين، حيث جاء فى متون الأهرام أن حورس وإيزيس وأنوبيس وتحوت كانوا يبحثون عن أوزوريس، إلى أن وجده حورس في أرض الغزلان. وقد ارتبطت ظاهرة الموالد والأضرحة بالأمثال الشعبية في المكون الإجتماعي للمصري بشكل يعكس إيمانه بالأولياء وتكريمه لهم، فنجد المثل العامي يرصد هذه العلاقة «اللي يقدر على ندر يوفيه» ومن هنا نجد أن عملية النذور ظاهرة إجتماعية مرتبطة بإنتشار الأضرحة وهناك من الأمثلة

أيضا « الشيخ البعيد سره باتع» أو «بكرة تموت يا أبو جبة واعملك فوق قبرك قبة» ولدينا أيضًا المثل الشهير»إحنا دافنينوا سوا» والذي جاء بعد أن اتفق اثنان على إقامة ضريح فوق جثة حمار ميت، وشاع بين الناس من الخرافات والأساطير حول الميت وعندما اختلف أحدهما على تقسيم النذور هدده الآخر بقوله «احنا دافنينوا سوا».كما جاء في الأثر عن مقولة «خلّي البساط أحمدي» أنها جاءت بعد الكرامات التي ينسبها العامة للأولياء، ما ينسب إلى السيد أحمد البدوي من أنه كان له بساط صغير على قدر جلوسه يسع من أرادوا الجلوس معه ولو كانوا ألفاً.

الهدف من الموالد

تهدف إقامة الموالد في المقام الأول إلى تمجيد الرب وتبجيل أحبابه والحصول على بركتهم وشفاعتهم وإنعاش الروح والجسد. أما مواعيد الموالد فنكتشف مرونة كاملة في تحديد موعد المولد وتاريخه، تعتمد على ندرة معرفة تاريخ الولي أو التأخير في جمع التكاليف للزينة بعد جني الحصاد وبيعه. فمثلًا لو كان التاريخ بالتقويم الهجري لمر بكل المواسم، وربما في أحد هذه المواسم تكون أرض المولد مزروعة فيتم تأجيل المولد حتى موعد الحصاد.

الأولياء والأضرحة

أثير حول المقامات والأضرحة الكثير من القصص والروايات، مثل مقام الشيخ منصور المقام على صخرة في قلب النيل بأسوان، الضريح يأتيه المتزوجون حديثًا ليحصلوا على بركة الشيخ حتى ينجبوا الأطفال. وإلى جوار قبر الشيخ «أبي القاسم أبي علي» في أخميم بصعيد مصر توجد شجرة مقدسة يدق زوار الضريح المسامير في جذعها للتخلص من آلام الصداع، وللأشجار المقدسة استخدامات عديدة بحسب الاحتياجات اليومية للقاطنين جوارها.

كما يقال عن «أبي حسن الشاذلى» الذي يحكى عنه أنه شعر بدنو أجله فطلب من زوج ابنته «المرسى أبو العباس» أن يسلم جثته إذا جاءته المنية لرجل ملثم يمتطي صهوة جواد سوف يظهر له حينها، واشترط على «أبي العباس» عدم اتباع الملثم الذي سيقوم بغسل الجثمان ودفنه، لكن فضول المرسي تغلب على وصية الشاذلي فاتبع الملثم ورأى وجهه ولم يكن سوى أبي الحسن نفسه!. وقال المحاضر إن الإنسان يلجأ إلى العالم الباطني حينما يعجز عن التكيف مع مشكلات العالم الواقعي ويشرع في بناء علاقات قوية مع مكونات هذا العالم من جن وملائكة وأرواح وتتميز تلك العلاقة بهالة من التقديس وتقديم فروض الولاء والطاعة والقرابين والنذور لتحقيق ما يعجز الإنسان عن بلوغه بمعطيات العالم الواقعي وأهم المحطات التي يقف عندها على مرامي هذا العالم هى الزار والذكر والسحر والنذور ■

العقلية الكونية والثقافة العربية

د. إدريس سلطان صالح *

أصبح العالم اليوم قرية صغيرة، وزاد شعور الإنسان بأنه يعيش في منطقة جغرافية صغيرة تمثل جزءاً من عالم أشمل، وأنه مرتبط بالعالم وسكانه من حوله، يؤثر فيهم ويؤثروا فيه، وأن ما يعانيه من مشكلات قد يكون نتيجة لأفعال الآخرين في مناطق أخرى من العالم، وأن معاناتهم قد تكون نتيجة لأفعاله في منطقته الصغيرة.

ولعل هذا الشعور هو ما كان دافعًا لظهور مفهوم العقلية الكونية Global Mindedness، والتى تعنى النظرة العالمية التي يرى فيها الفرد نفسه مرتبطًا بالمجتمع العالمى، ولديه شعور بالمسؤولية تجاه كل أفراد العالم، وتنعكس هذه المسئولية فى اتجاهاته ومعتقداته وسلوكياته تجاه الأخرين والبيئة.

فالشخص ذو العقلية الكونية شخص يهتم بالناس فى كل جزء من العالم، ولديه مسئولية أخلاقية تجاههم ويسعى لتحسين ظروف حياتهم، ويقدر تنوع الثقافات في العالم، ويؤمن بأن كل ثقافة لديها ما تقدمه لخدمة البشرية، وأيضًا يؤمن بدور كل فرد في إحداث التغيير العالمى، أى أنه شخص يفكر فيما هو صالح للمجتمع العالمى، ويساهم في زيادة الوعى بالترابط بين جميع الشعوب والأمم. ولذلك يمكن النظر إلى العقلية الكونية من أبعاد متعددة، منها:

المسؤولية: وتعني الاهتمام بالبشر في كل أنحاء العالم، والشعور بالمسؤولية الأخلاقية ومحاولة تحسين ظروفهم.

التنوع الثقافي: ويعنى القناعة أن كل ثقافة لديها أشياء قيمة يمكن أن تقدمه لغيرها، والشعور بالمتعة في استكشاف ومحاولة فهم الأطر الثقافية الأخرى.

الكفاءة: وتعني معرفة تأثير أفعال الفرد عالميًا، وأن الانغماس والمشاركة في القضايا القومية والعالمية شيء له أهمية قصوى.

التمركز العالمي: ويعني التفكير في إطار ما هو صالح للمجتمع العالمي وليس مجرد ما يمكن أن يفيد الفرد فى وطنه فقط، وكذلك الرغبة في إصدار الأحكام المبنية على معايير عالمية وليست المعايير المتمركزة حول العرق أو الجنس أو الدين.

الترابط الداخلي: ويعني الوعي وتقبل الترابط القائم بين كل البشر وكل الأمم، مما يحدث إحساسًا بالانتماء العالمي أو الترابط مع الأسرة العالمية. ولأهمية تنمية العقلية الكونية وما يرتبط بها من تقدير واحترام للتنوع الثقافي العالمي، اتجهت كثير من المنظمات الخاصة بالثقافة والتربية والعلوم إلى إصدار المواثيق والمعاهدات الدولية التي تكفل الاهتمام بالعقلية الكونية وما يرتبط بها من تقدير واحترام التنوع الثقافى العالمي، بما يساعد على تحقيق التكامل العالمي، ومن أهمها إعلان اليونسكو بشأن التنوع الثقافى، والإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي.ونتيجة لهذا الاهتمام بالعقلية الكونية، أصبحت ثقافتنا العربية ومؤسساتها مطالبة بالاستجابة لذلك في برامجها وأهدافها ومشروعاتها، لتكون ثقافة من أجل منظور عالمى، ثقافة تساعد على تنمية العقلية الكونية في العالم العربي، ثقافة تعزز قدرة الفرد على فهم وضعه في المجتمع المحلى والعالمى، والقدرة على اتخاذ القرارات الفعالة تجاه العالم، عن طريق الوعي بالأمم والثقافات، مع التركيز على فهم كيفية ترابط العالم وثقافاته، ومسؤولية الفرد في هذه العملية.

فاليوم لم يعُد في استطاعتنا الانعزال والتقوقع داخل بيئتنا الجغرافية فحسب، بل أصبحنا مطالبين بثقافة جديدة تعمل على نشر المفاهيم الثقافية الأساسية، والخصائص المميزة لثقافتنا العربية والثقافات الأخرى، وتنمية الفهم حول كيفية تفاعل الناس مع بعضهم البعض ومع بيئاتهم، وتنمية القدرة على فهم واحترام وتقدير التنوع الثقافى كجانب مهم لإثراء الحياة، ومصدر أساسى للإبداع ■

* أستاذ مشارك بجامعة المنيا – مصر

السائرون نحو السعادة

د.فاطمة حمد المزروعي*

لعلّ موضوع السعادة هو من أكثر الموضوعات التي تناولتها الأديان والفلسفة، والفنون والعلوم الإنسانية كل في مجال اختصاصه، فقاربته في محاولة لتعريفه، مع تبيان محدداته وأسبابه، مفصلة أثره في حياة الفرد والمجتمع. بذلك تكون السعادة ذات حمولة تاريخية مثقلة وطويلة. لكن ما يهم فعليا هو معرفة الطريق المؤدي إليها.

حياة الإنسان كالبندول في الساعة، في حركة مستمرة، ما بين نهار وليل، نجاح وفشل، ما بين نعيم وشقاء. بينهم يعيش الإنسان حياته، ساعيا للبحث عن السعادة، رغم أنها نسبية من شخص إلى آخر إلا أن الدراسات أثبتت وجود قواسم مشتركة لأسباب السعادة وطرقها. سأقف عند واحدة من هذه الدراسات، التي أجرتها الأستاذة الدكتورة سونيا ليوبوميرسكي في جامعة كاليفورنيا، فوجدت أن 50 % من أسباب سعادة الفرد مرتبطة بالمحددات الوراثية، في حين أن 40 % مرتبطة بطبيعة الشخصية وجهودها؛ لتحقيق السعادة، أما 10 % المتبقية فتعود للبيئة المحيطة بالفرد.سأقف عند دور الفرد في تحقيق سعادته وهنائه، فلو تأملنا مثلا الحكمة التي تقول إن نصيب الفرد من السعادة مرتبط برغبته الصادقة فيها. تبدو الحكمة غريبة للوهلة الأولى، فمن لا يرغب في السعادة؟! غير أن الرغبة هنا لا تعني وجود دافع وتحديد الهدف فحسب، إنما عدة أمور، أولها وعي المرء بشخصيته، من خلال فهمه لنقاط ضعفها وقوتها، ما يحب وما يكره، إضافة لهدفه الأساسي في الحياة، أحلامه وتطلعاته، ما أهم أولوياته؟ ما الذي يطمح إليه؟ كي يحقق لذاته لرضا بما أنجز. لهذه المعرفة دور كبير في قدرة الإنسان على اختيار ما يريد، من تخصص علمي، ومهنة وهوايات، مع ابتعاده عما لايحبه وما يسبب له الضيق. إذا فالوعي بالذات وفهمها تؤدي إلى القدرة على اختيار الأشياء، والحكم عليها بتقييمها. إن التقييم لا يتأتى بين ليلة وضحاها، لكن من خلال التربية والتعليم والتجربة الحياتية؛ لأن الساعي للنجاح يكون متيقظا لذاته، فاهما لها، قادرا على الاختيار والتقييم؛ هذا يؤدي، بمرور الأيام، إلى محبة الشخص لحياته، نمط عيشه، محبة تساعده على إدراك جمال حياته، فيتذوق مثلا مقطوعة موسيقية أو قصيدة شعر. إنه استمتاع باللحظة ذاتها، دون حزن أو ندم على الماضي، أو قلق من مستقبل آت. هو يعيش سعادته متجنبا المقارنة بين ذاته والآخرين، في الممتلكات والمقتنيات، قادرا على الإفلات من فك الإعلانات والدعاية التي تربط بين امتلاك الكماليات والسعادة؛ ليجلب لنفسه بذلك المتعة التي يصبو إليها؛ لأن الفرد مسؤول عن سعادته.

أما أحداث الحياة والأقدار التي قد تعصف بما يخطط له الإنسان؛ فإنها لاتفت عضده، لأنه مدرك بأن هذه الأقدار كأمر مسلم بها؛ لا يستطيع تغييرها، إضافة إلى أن الأيام قد تنتقص سعادته في يوم؛ لتزيدها في يوم آخر؛ لذلك فإنه ينسجم مع هذه التقلبات والعقبات. يعيش الموقف الحزين، غير أنه لا ينغمس فيه، ولاتتوقف حياته ؛بسبب انسجامه مع ذاته، وتوازنه العاطفي؛ لأنه يملك وعيا ذاتيا يقظا، يقظة ترصد مشاعره الداخلية وحركة الحياة والأحياء، لتقيمها وتتعظ بها، مركزا بوصلته دائما نحو أهدافه في الحياة. هذا الاتزان العاطفي ناتج عن إيمانه بأن السعادة تنبع من ذاته،فهو الأساس، وتتغذى من نظرته المتفائلة والمشرقة؛ لإيمانه بأن الغد الأجمل ينتظره. وحياته تكتمل بالآخرين، فهم العائلة والأصدقاء، يشاركونه سعادته ويشاركهم؛ كأنه يؤمن بمقولة أوغست كونت: لكي تحتفظ بالسعادة عليك أن تتقاسمها مع الآخرين.

وبعد، فإن الإنسان مسؤول عن سعادته؛ فليبحث عنها في داخله؛ كي يصنع أسبابها بنفسه ■

*باحثة وأديبة من الامارات

صناعة شباك الصيد «الليخ»

تصنع شباك صيد السمك في الماضي من خيوط الغزل، ويتم حياكتها من قبل مجموعة من الرجال المهرة، ويضاف إليها عدد من «الكرب» كي تطفو فوق سطح البحر

تصوير: مرشد الهاجري

الحدث معنا كما يجب أن يكون

الشريك الإستراتيجي
IPIC ابيك

عالم WORLD One World, 6 Continents

إحدى قنوات ABU DHABI MEDIA

NILESAT	7° W	12467 H	27500	2 / 3	DVB-S2, 8PSK	MENA
BADR	26° E	11804 H	27500	3 - 4	DVB-S, QPSK	MENA
HOTBIRD	13° W	11747 H	27500	3 - 4	DVB-S, 8PSK	EURO

YassportsTV

yastv.ae